رسول الله وخاتم النبيين
دين ودولة

القسم الثالث

إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً



أ. د عبد العزيز بن إبراهيم العُمري
أستاذ السيرة النبوية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

كرسي المهندس عبد المحسن الدريس
للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة

رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته

رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

دين ودولة

تأليف

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقًا)

[٣]

إنا فتحنا لك

فتحاً مبيناً

[٣]

إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقاً)

ح عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم.

رسول الله وخاتم النبيين/عبد العزيز بن إبراهيم العُمري – الرياض، ١٤٣٢هـ

٥ مج

ردمك: ٩-٧٥٦٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٧٥٦٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

١- السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٣٢/٥١٦١

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٥١٦١ ردمك: ٩-٧٥٦٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/٢٠١١م

ص. ب: ١٠٠٤٣٧ الرياض: ١١٦٣٥

هاتف: ٢٧٤٦٦٧٧ ، فاكس: ٢٧٥٩٠٢٠

E-mail:*azizomary@hotmail.com*

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾[التوبة].

معاهدة المدينة:

جاء الرسول ﷺ ليقيم مجتمعاً إنسانياً عادلاً، يحفظ حقوق الإنسان وكرامته وأمنه، وجاء بالدين الصحيح ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران].

ومع هذا فقد كان الناس بالخيار في أن يدخلوا الإسلام، لا يكره أحد من الناس على ذلك ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة]. فالناس في ذلك أحرار، بعد أن يبلغهم الأمر.

إلا أنَّ ضمان النظام وحياة الناس وأمنهم والعدل فيما بينهم وحفظ حقوق الجميع لا خيار فيه، فهي ملزمة للجميع، ولذلك فإن الرسول ﷺ حين جاء المدينة كان المسلمون فيها أقلية مقارنة مع غيرهم من يهود المدينة ومشركيها، ومع ذلك حرص ﷺ على التفاهم مع الجميع، وكتابة عقد بينهم لضمان الحقوق وحمايتها، وقيام حياة آمنة مشتركة في المدينة.

ومع أن الرسول ﷺ جعل أساس العلاقة الولاء

والـبراء، إلا أن التعـايش مـع الآخـرين والاهتمـام بالمصـالح المشـتركة لا يمنـع الـولاء والـبراء والعلاقـة علـى أسـاس العقيـــــدة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات].

ولـذلك سـعى الرسـول ﷺ لتنظـيم العلاقـة بـين السـكان مسـلمين وغـير مسـلمين، وكتـب في مرحلـة مبكـرة معاهـدة علـى ذلـك،[(١)] ((وكـان رسـول الله ﷺ عنـد قدومـه المدينـة وادع يهـود وكتـب بينـه وبيـنهم كتابـاً، واشـترط علـيهم أن لا يمـالئوا عـدوه، وأن ينصـروه علـى مـن دهمـه))،[(٢)] وهـي ما عرفت بوثيقة المدينة، أو موادعة المدينة.

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٥٠١؛
لدراسـة موسـعة عـن تخـريج الروايـات الـواردة عـن الوثيقـة انظـر:د. أكـرم العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج١/٢٧٦.
وقـد ضـعف أحـد البـاحثين القـول بالوثيقـه، (انظر:اليـامي ضـيدان عبـدالرحمن، بيـان الحقيقـة في الحكـم علـى الوثيقة،"وثيقـة المـدين" مكتبـة المعـارف، الريـاض، ١٤٠٨.) ورأيـه محـل نظـر، فشـواهدها كثـيرة وثابتـة بطـرق عديـدة وإن اختلفـت رواياتها لكـن بعضـها يعضـد بعضـاً في إثبـات وجـود الوثيقـة مـع التفـاوت في ألفاظهـا ومحتواهـا والمشـاركون فيهـا مـن روايـة لأخرى.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/٨٦.

إن هــذه الوثيقــة أو الصــحيفة كمــا سماهــا الــبعض أو الدسـتور المشـترك كمـا سماهـا آخـرون،[١] ثابـت كتابتهـا في بدايـة هجـرة الرسـول ﷺ وقبـل بعثـه للسـرايا وغزواتـه، وورود روايـات أخـرى لوثـائق وكتـب حـدثت بـين الرسـول ﷺ ومـن معـه مـن المسـلمين وبـين يهـود وغيرهـم مـن سـكان المدينة لا ينفي الوثيقة الأولى أو يناقضها.

وفي هـذا إجابـة علـى تسـاؤل الـبعض هـل كانـت صـحيفة واحدةأم أنها أكثر من صحيفة[٢]؟ .

فهـذه الكتـب والوثـائق الجديـدة بعضـها تأكيـد للوثيقـة الأولى بمناسـبة خاصـة، وبعضـها وثـائق جديـدة تؤكـد الأصل الأول ثابتة بروايات يعضد بعضها بعضاً.

ولعـل وجـود بـوادر نقـض لـبعض بنـود الوثيقـة مـن قبـل جماعـات مـن يهـود ممـا دعـا لتجديـدها أحيانـاً مـن بعضـهم أو إنشاء عهد جديد.

لقـد كانـت الوثيقـة (كتـاب مصـالحة وحسـن جـوار علـى

---

(١) انظر: صالح الشامي، من معين السيرة، ص ١٨٠.

(٢) الجميـل: محمـد بـن فـارس، النـبي ﷺ ويهـود المدينـة، ط١،مركـز الملـك فيصـل للبحوث والدراسات، الرياض، ١٤٢٢هـ، ص٨٤.

أن يسالموه، ولا يعينوا عليه عدوه، وأن يقفوا بجانبه في وجه من يعاديه ويهدد أمن المدينة المنورة).[١]

إن هذه المعاهدة تعني إقامة نظام على رأسه النبي ﷺ وتحديد مسؤوليات أمنية ودفاع مشترك على جميع السكان، مع عدم إكراه أحد على دينه، علماً أنه في هذه المرحلة كان تهديد المدينة عموماً والنبي ﷺ خصوصاً قائم بقوة، حيث أن مشركي مكة يصدرون التهديدات الواحد تلو الأخر، و ينبغي التنبه إلى أنه في هذه المرحلة المبكرة من الهجرة لم تكن التشريعات قد اكتملت فيما يتعلق بمعاملة أهل الذمة من الجزية وغيرها، ومن الزكاة لأهل الإسلام، مع حفظ الحقوق لهم جميعاً، فالمرحلة مبكرة وسابقة للتشريعات المالية المختلفة التي تحددت في مراحل لاحقة، بواجبات مالية معينة كل حسب حاله.

ولم يكن وراداً في هذه المعاهدة ولا في غيرها إبعاد أي من يهود أو سكان المدينة من غير المسلمين، ما داموا ملتزمين بشروط المعيشة المشتركة، والسلام الاجتماعي

---

(١) عبد الحميد طهماز، سيرة النبي، ص ٢٧٣.

العـام لكـل سـكان المدينـة، ومـا يمكـن أن يكـون شـبيهاً بالمواطنـة المشـتركة المعاصـرة، مـع حفـظ كـل فئـة لحقهـا في الاعتقاد والديانة، دون إكراه على الإسلام.

إن هـذه المعاهـدة المدنيـة تعـد، مثـالاً لتنظـيم عـادل ومسـؤولية اجتماعيـة ومرجعيـة نظاميـة مكتوبـة للتحـاكم يرجـع إليهـا، وهـي تشـبه بعـض الأنظمـة في الـدول الحديثـة الـتي تتـيح حريـة الـدين وعـدم الإكـراه عليـه، مـع الالتـزام بـالأمن والنظـام المشـترك والمسـؤولية الجماعيـة، و هـذه المعاهـدة اعتـبرت أساسـاً في قيـام دولـة المدينـة النبويـة وتركيـز المسـؤولية فيهـا بيـد الرسـول ﷺ، تمهيـداً لتطبيـق الشـريعة حسـب نزولهـا، وتأكيـداً للمسـؤولية بيـد أعـدل الناس ﷺ.

الإذن بالقتال:

مـن المعـروف أن رسـول الله ﷺ كـان يتلقـى الأمـر والإذن مـن الله سـبحانه وتعـالى في كـل شـؤونه وأعمالـه المرتبطـة بالـدين والتشـريع. والقتـال باسـم الـدين مـن أخطـر الأمـور، وقـد تعـرض الرسـول ﷺ وأصـحابه منـذ انطـلاق دعوتـه في مكـة لأشـد أنـواع الأذى، فقـد أُوذوا في الله، وسـلبت أمـوالهم وأريـق دم بعضـهم، وحـبس الكـثير منهم

وشـرد آخـرون واضـطروا لـترك بيـوتهم وأمـوالهم في مكـة والهجرة إلى الحبشة أو المدينة في آخر الأمر.[١]

ومـع كـل هـذه الأحـوال فـإن الرسـول ﷺ كـان في مكـة يـدعو أصـحابه للصـبر والتحمـل، واحتسـاب الأجـر عنـد الله، ويـذكرهم بـالمؤمنين مـن الأمـم السـابقة، مـا فعـل بهـم مـن أذى وقتـل، وفي الوقـت نفسـه يفـتح قلـوبهم علـى الأمـل ومبشـرات انتشـار الإسـلام وإتمـام الأمـر لـه في كـل آفـاق الـدنيا ودخولـه ((في كـل بيـت حجـر ومـدر))[٢] قـادم. وأن الأمـن للمـؤمنين قـادم ((ليـتمن الله هـذا الأمـر حتـى يسـير الراكـب مـن صـنعاء إلى حضـرموت مـا يخـاف إلا الله)).[٣]

وأن الممالك الطاغية في زمانه زائلة وسيغنم المسلمون كنوز كسرى.[٤] وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى ناصر دينه وعباده

---

(١) انظر: الهجرة إلى المدينة من هذا الكتاب.

(٢) انظر: أذى المشركين للرسول ولأصحابه من هذا الكتاب.

(٣) رواه البخاري، فتح الباري، ج٧/١٩٥؛ ورواه أحمد في المسند، ج٥/١١٠.

(٤) ابن إسحاق، السيرة النبوية والمغازي، ص ٢٤١؛ ومسند الإمام أحمد، ج٤/٨٩، ١٠٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤.

وانظر: عبد العزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، مرجع سابق،

الصالحين ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾ [التوبة].

وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة واستقراره بها لم يدعه المشركون على حاله، بل كانوا يهددونه ويطاردون أصحابه المهاجرين، ناهيك عن استمرار الاعتداء على من في مكة ممن بقي من المسلمين ومن يزورها منهم سواء من القرشيين أو من غيرهم.

وكانت الهجرة إلى المدينة مرحلة جديدة في إيجاد قوة للمسلمين وتجنيدهم للدفاع عن الإسلام وأهله.

ولذلك فإن من شروط بيعة العقبة الثانية ((أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم))، إنها بيعة الدفاع ولو أدى الأمر إلى قتال، ولذلك أدرك أسعد بن زرارة هذا الأمر فحدث الأنصار قائلاً لهم: (إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس).[1]

كان الأمر واضحاً في تمييز المرحلة الجديدة بعد الهجرة،

ص٢٠.

(١) انظر: بيعة العقبة الثانية.

ولذلك كان المهاجرون والأنصار على استعداد تام للتضحية والفداء والجهاد قبل فرضه، يدركون التبعات على عواتقهم وأموالهم، كما كانت قريش تدرك تبعات المرحلة، حيث انزعج مشركوها كثيراً عندما علموا ببيعة العقبة، وحاولوا منع الرسول ﷺ من الهجرة، لأنها في النهاية تعني الصدام مع هؤلاء المؤمنين المظلومين بعد تكوين قوتهم: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال]. ولإدراكهم للمرحلة القادمة في أمة الإسلام ونمو قوة المسلمين والتخطيط لدفع الأذى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج].

كان المشركون يعلمون أن الرسول ﷺ لم يقاتل في مكة ولم يأمر أصحابه بذلك، وإن كان في بعضهم قدرة، وخصوصاً بعد إسلام عمر ﷺ وزيادة إعدادهم، وقوله: (أحلف بالله لو قد كنا ثلاثمائة رجل تركناها لكم أو تركتموها لنا).[(١)]

الإذن بقتال المشركين أو (الجهاد) كما هو مصطلح

(١) انظر: اسلام عمر بن الخطاب.

شرعي هو تشريع رباني بنص القرآن، من أهدافه الدفاع عن المظلومين، وإسماع الناس كلمة الحق والدين بجهاد من يعتدي على دعاة الرسول ﷺ، ويمنع عامة الناس من سماع كلمة لا إله إلا الله، أو يعتدي على أوطان المسلمين وحرماتهم، والجهاد ارتبط بكونه في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله وفي سبيله يقدم المال والنفس وكل شيء.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء].

وبعد مدَّة من الاستقرار في المدينة، وعناية الله بعباده المؤمنين، وصبر منهم والتزام بأمر الله والكف عن القتال، نزل على رسول الله ﷺ آيات قرآنية يأذن الله فيها بالقتال: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحج].[1]

ومن خلال الآية يتضح أن الإذن جاء بعد منع، وأن الإذن

(١) وضع ابن هشام في السيرة عنواناً خاصاً سماه: بدء قتال المشركين، ج٢/٥٩٠.

ليس فيه فرض ولا إجبار،إنما هو سماح من الله سبحانه وتعالى، وتتحدث الآية بوضوح بأنهم ظلموا، كما تتضمن وعداً صريحاً من الله سبحانه وتعالى بنصرهم وهو القادر على ذلك ، أما أنواع الظلم الذي تعرضوا له فمنه ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾ [الحج] إن سبب إخراجهم دوافع الظلم والعداء التي جعلت قريشاً ومن تابعها يفعلون بالمؤمنين ما فعلوا.

وماذا سينتج عن هذا الأمر؟ فهي سنة التدافع البشري التي يعلمها الله سبحانه وتعالى في بني آدم منذ وجدوا على هذه الأرض، وهي حقيقة قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١ ﴾[البقرة].

وتتوالى الآيات على نبيه لتؤكد التمكين للمؤمنين وأن له معنىً وهدفاً هو : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ

ﱡﭐ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﱠ [الحج].

كان الرسول ﷺ يعلم أن التمكين والجهاد يحتاج إلى قوة، وإلى إعداد الرجال بالدرجة الأولى ثم العتاد وما يرتبط به.

وقد نزل بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ﴾ [البقرة].

وفي هذه الآيات أمر من الله سبحانه وتعالى بقتال الذين يفتنون الناس عن دين الله.

لقد كان القتال لمنع الظلم وليس الاعتداء، ومن هنا نزل قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾ [البقرة].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ﴾ [النساء].

لقد أصبحت حياة رسول الله ﷺ مقاومة للشرك، مليئة بالجهاد بمفهومه الشامل وعلى رأسه القتال

للمشركين بعد مرحلة الإذن بالقتال، حتى إن كثيراً ممن ألف في حياة الرسول ﷺ وفي سيرته عنون لذلك بما يوحي بغلبة الجهاد والمغازي على السيرة النبوية.(١)

لقد كان المشركون يقاتلون النبي ﷺ، فلماذا لا يقاتلهم؟ ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التوبة].

ولذلك فقد بلغت غزوات الرسول ﷺ وسراياه ما يزيد على (٦٠) ستين غزوة وسَرية، منها ثماني عشرة غزوة قادها بنفسه، قاتل في ثمان منها.(٢) (٣)

وهناك اختلاف بين العلماء في العدد يأتي في التفريق بين الغزوة والسرية،(٤) أحياناً، أو احتساب الحادثة

(١) ممن ألف بهذا العنوان: ابن إسحاق، كتاب المغازي والسير؛ ابن أبي شيبة، كتاب المغازي ؛ الواقدي، كتاب المغازي، والبخاري في صحيحه،(كتاب المغازي)، وموسى بن عروة، وعروة بن الزبير وغيرهم.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٣٥٣.

(٣) انظر: مناقشة العدد من خلال المصادر المختلفة عند: بريك أبو مايلة العمري، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة .. دراسة نقدية، ص ٥٨.

(٤) بريك أبو مايلة العمري، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، ص

سريه أو غزوة و ليس في وقوع الحدث أصلاً.

إن الجهاد والمغازي في أيام الرسول ﷺ من أعظم أسباب التمكين لرسول الله ﷺ في أيامه وأسباب القضاء على الشرك والجاهلية، كما كانت إعداداً للانطلاقة الكبرى للفتوح الإسلامية التي كان أهم أهدافها منع الظلم عن الناس وإتاحة الفرصة لهم لسماع كلمة الحق مع التأكيد على أنه ((لا إكراه في الدين)) (١) والوعد بأنه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة].

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [القصص].

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المائدة].

وهو تشريع كفى به أنه أُقر من رب العالمين، وذُكر في القرآن الكريم بما يجاوز العشرين مرة، ونزلت فيه أحكام

٥٤؛ وانظر : روايات ابن أبي شيبة في كتابه المغازي، تحت عنوان :" في غزوات النبي ﷺ كم غزا "، ص ١٦٩.

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٣٢١.

محـددة درسـها الفقهـاء وسـارت عليـه الأمـة، وقـد تميـز الرسـول ﷺ عـن معظـم الأنبيـاء السـابقين بالجهـاد والغـزوات ودخولـه بنفسـه معـارك مختلفـة وتنظيمـه وقيادتـه لهـا بكافـة جوانبهـا[١]، وتطبيقـه للجهـاد كمـا في الشـريعة الإسـلامية مـن قـوةً ورحمـةً وعـدل وحريـة في وقـت واحد[٢]..

كمـا كـان لهـا تضـحيات وشـهداء بـذلوا أنفسـهم وأموالهم في سبيل الله[٣].

وإن أساء بعض المخطئين ممن يعتدون على المسلمين واستخدموا هذا المصطلح لأعمال إجرامية، فإن هذا الخطأ منهم وتحوير المفاهيم أو خطأ استخدامها لا يعني تجاهل الجهاد الإسلامي الحقيقي عبر العصور دون استثناء، وأن تكون الأمة جاهزة للدفاع عن نفسها مستعدة لذلك، وفق ما أمر الله

(١) انظـر: خطـاب، محمـود شـيت؛ الرسـول القائـد، ط٢مكتبـة الحيـاة، بغـداد، ١٩٦٠، ص٦.

(٢) كـولن: فـتح الله؛ الرسـول ﷺ قائـداً التنظـير والتطبيـق، ترجمـة أورخـان محمـد علي، دار النيل، القاهرة، ١٤٢٥هـ ص١١.

(٣) انظـر: قطـب، محمـد؛ غـزوات رسـول الله ﷺ وسـجل الشـهداء، المكتبـة العصرية،١٤٢٥هـ .

سبحانه وتعالى وإلا هوجمت واستضعفت الأمة من قبل أعدائها، الذين رأينا في العصر الحاضر كيف فعلوا بالمسلمين في كل مكان، إن الدفاع عن الدين وحماية الوطن ورباه أمام الأعداء جزء مما شرع الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[الحج].

فينبغي أن لا ننسى هذا المفهوم وأنه لا يُردع الأعداء إلا بالقوة والجهاد، فمجرد ذكره يرعب أعداء الإسلام.

إن الكثيرين يحاولون تشويه المفهوم الإسلامي، للجهاد وإلصاقه بأعمال خارجة عنه ليسلخوا هذا المفهوم عن الأمة، بل ربما كَرَهوا فيه أبناء المسلمين بما يسمعون من وسائل الإعلام من ربط بينه وبين الاعتداء أو(الإرهاب).

سواء في ذلك الإعلام العالمي الذي بيد أنصار إسرائيل أو بعض وسائل الإعلام المملوكة بأموال مسلمين وتوجهاتها تخدم أعدائه، فقد أُكثر من طرق هذا الموضوع بطريقة تخدم الأعداء، ساعدهم في ذلك

أعمال بعض المفتونين الذين يعتدون على الناس باسم الدين.

صيام رمضان:-

عرف الصيام عند أهل الكتاب قبل الإسلام، ولا يزال كذلك عند بعضهم مع تحريفهم في كيفيته ومدته عن ما جاءهم من شريعة أصلاً، مع وجود بقية من بعض الشعائر المرتبطة بالصيام ((لمّا قَدِمَ النبي ﷺ إلى المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا: هذا هو اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون ونحن نصومه تعظيماً له فقال رسول الله ﷺ نحن أولى بموسى منكم ثم أمر بصومه)).(١)

وفي شعبان من السنة الثانية لهجرة المصطفى ﷺ نزل فرض الصيام على المسلمين في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ

(١) صحيح البخاري، ج٤/٢٦٩.

فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة]، فأصبح الركن الرابع من أركان الإسلام.

وارتبطت أحكام كثيرة بالصوم وتشريعاته، بعد أن صار ركناً من أركان الإسلام، ونزل عدد من الآيات عن الصيام منها قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البقرة].

كما تبع ذلك تشريعات في دخول الشهر وخروجه،

وتبعه عيد الفطر وله أحكامه، وأصبح تحري الشهر وصيامه عبر العصور الإسلامية إلى اليوم الحاضر من اهتمامات المسلمين، وأصبح الصغار والكبار يهتمون بهذا الشهر الكريم ويقيمون له شعائره الخاصة، من الصيام والقيام ويكثرون فيه أعمال البر والطاعات والصدقة، وألفت فيه الكثير من الكتب والدروس والأعمال العلمية والدراسات المختلفة إلى اليوم الحاضر.

وقد اقترن شهر الصوم بنزول القرآن ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة]، ولذلك كان الرسول ﷺ يكثر من تلاوة القرآن خصوصاً في رمضان، كما كان ﷺ يعتكف فيه، وجاءت في الاعتكاف أحكام وتشريعات مختلفة ارتبطت به.[١]

كما اقترن بوجود ليلة القدر،[٢] فيه ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ [القدر]، فكانت الأمة تتحرى هذه الليلة بالأعمال الصالحة من القيام والصدقة والصلة والاعتكاف.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، أبواب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر، ج٢/٢٥٥.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج٢/٢٠١٣.

وبالتالي كان الصيام قريناً للقيام وتلاوة القرآن، وصار رمضان شهر الطاعات والقربات والصدقات وسائر أعمال البر الخيرات، وهكذا هو عند أمة الإسلام إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

ومن يراقب حال المسلمين في رمضان، وما يطرأ عليهم فيه من تغيير وصلاح فردي وجماعي وعطاء وبذل يدرك أهمية هذه الشعيرة في حياة الأمة.

تحويل القبلة:-

كانت قبلة المسلمين قبل الهجرة وبعدها مباشرة تجاه بيت المقدس. وفي شعبان من السنة الثانية للهجرة صرف الله قبلة المسلمين من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام،[1] في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة].

وقد حاول يهود ومن على شاكلتهم فتنة المسلمين عند تحويل القبلة، فسماهم الله سبحانه وتعالى السفهاء: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [البقرة].

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى امتحان يمر به المسلمون، وهو اتباع الرسول ﷺ من عدمه في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، عنوان " صرف القبلة إلى الكعبة "، ج٢/٦٠٦؛ وابن كثير، عنوان " تحويل القبلة "، ج٢/٣٧٢.

عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة].

وقد نجح المسلمون بفضل الله، فقد ورد أن أول صلاة صلاها رسول الله إلى المسجد الحرام بمكة هي صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى مع الرسول ﷺ تجاه مسجد للأنصار، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت))، (١) وعرف مسجدهم، ولا يزال إلى اليوم الحاضر، بمسجد القبلتين، وهو أحد أشهر مساجد المدينة اليوم.(٢)

وقد حاول يهود إثارة الفتنة بتساؤلهم عمَّن مات قبل تحويل القبلة وصلاته كلها إلى المسجد الأقصى، فجاء الرد في القرآن — كما ذكرنا سابقاً: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟

---

(١) انظر: البخاري، صحيحه، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو الكعبة حيث كان، حديث رقم: ٣٩٩، ٣٩٩؛ تفسير ابن كثير، ج١/٢١٦.

(٢) انظر: عبدالعزيز كعكي، المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ج١/١٧٠.

شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ [البقرة].

ولم تكتف الآيات بذلك، بل أشارت إلى علم اليهود بهذا الأمر، وأنها قبلة للمسلمين بأمر الله ومع علمهم بذلك، فقد عاندوا وكذبوا: ﴿ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤ ﴾ [البقرة].

كما أكدت الآيات خلاف يهود المستمر للمسلمين في القبلة وفي غيرها، مهما كانت الأدلة: ﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠ ﴾ [البقرة]. وأكدت الآيات على التوجه بالقبلة للبيت الحرام في كل مكان.

وأمر القبلة ليس هيناً عند المسلمين، فعبر العصور والأماكن يجتهدون في متابعتها ومعرفة وجهتها قبل أي صلاة، والمسافر في البلدان المختلفة يجد محاريب الصلاة في المساجد موجهة إلى القبلة التي أمر الله بها، ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [البقرة].

ولذلك ففي العصر الحاضر نجد الإشارة لها في غرف بعض الفنادق وبعض المطارات وغيرها، في العالم الإسلامي وخارجه، وصارت القبلة شعاراً للمسلمين ومطلباً لهم في كل مكان والمسافر لغير البلاد الإسلامية تجده يحمل بوصلة خاصة لتحديد القبلة، أو يسال عن الاتجاهات، حتى صارت بعض الفنادق في البلاد غير الإسلامية تحدد القبلة للمسلمين في الغرف بعلامات خاصة، واشتهر المسلمون في العالم بهذا الأمر حتى صارت الكعبة شعاراً لهم وتميزوا بوحدة القبلة من أي مكان في العالم، فكانت متابعة المواقيت للصلاة والوجهة (القبلة) ميزة للمسلمين عن غيرهم فعند المسلم الوقت والجهة مرتبطان بالصلاة لهما مكان في

القلب.

بداية السرايا والغزوات :-

لم تتوقف قريش عن أذى المسلمين بعد هجرتهم إلى المدينة، فكانت تحبس بعضهم في مكة، وتهدد الأنصار وتمنعهم من الوصول إلى مكة، وتؤذي من يقع في أيديهم، ووصلت تهديداتهم للمهاجرين في المدينة، حيث تم اختطاف بعض مهاجري مكة من المدينة،[١] وكانوا يعلنون وباستمرار تهديدهم للرسول ﷺ، وكل من يتبعه.

وفي هذه الظروف نزل الإذن بالقتال، وتطلب الأمر الإعداد بما في ذلك من تجهيز للنفس والسلاح والدواب والتدريب والمعلومة. ثم بدأت الانطلاقة لما يعرف بالسرايا والغزوات النبوية.[٢]

ويطلق اسم الغزوة على الجيش الذي يقوده الرسول

---

(١) انظر: قصة اختطاف عياش بن أبي ربيعة، في موضوع الهجرة من هذا الكتاب.

(٢) وضع البخاري في صحيحه باباً سماه " باب كم غزا النبي ﷺ "، وذلك في آخر كتاب المغازي، ج٥/١٤٥.

ﷺ بنفسه، والسرية على الجيش النبوي الذي يسيره النبي ﷺ ويقوده أحد الصحابة.[١]

وكان العداء واضحاً من قريش للمسلمين، وبالتالي فإن المسلمين لم يقفوا مكتوفي الأيدي، كما أضرت قريش بالمسلمين ومصالحهم فقد سعى المسلمون بعد الإذن بقتالهم إلى ضرب مصالح قريش، حيث كانت تجارتها تمر بالقرب من المدينة، فاختار المسلمون تهديد طرق تجارتهم والتضييق عليهم، وإشعار قريش بقدرة المسلمين على التصدي والمناورة والإضرار بأعدائهم.

وكانت السرايا إعداداً عسكرياً ومناورات تدريبية لجند الرسول ﷺ إضافة إلى أهدافها المحددة في حينها.

كما كانت في الوقت نفسه إشغالاً عملياً للشباب والرجال وطاقتهم، وخصوصاً المهاجرين الذين وصلوا المدينة وليس لبعضهم عمل محدد يشغلهم، إضافة إلى تدريب القادة منهم والعامة على الأعمال العسكرية، والصبر والسفر والتحمل والقتال والاستعداد له.

---

(١) انظر: بريك أبو مايلة العمري، السرايا والبعوث النبوية، ص ٥٤؛ الزرقاني، المواهب اللدانية، ج١/٣٨٧.

السرايا الأولى:- [١]

تعد السرايا والغزوات السابقة لغزوة بدر الكبرى سرايا أولية أعقبت الإذن بالقتال، ولم يتضح فيها تفوق المسلمين وكانت مناورات تدريبية وتحركات محدودة سبقت غزوة بدر، ومن أهمها:

سرية حمزة بن عبد المطلب (إلى سيف البحر):-

حدثت في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة النبوية بعد سبعة أشهر من هجرة النبي ﷺ، عقد رسول الله ﷺ أول لواء لجيش إسلامي بقيادة حمزة بن عبد المطلب وكان قوامه المهاجرين ﵃،[٢] وقد شيع رسول الله ﷺ الجيش بنفسه، وكان هدف الجيش اعتراض عير لقريش قادمة من الشام إلى مكة، فيها ثلاثمائة رجل من قريش، منهم أبو جهل الحكم بن هشام، وقيل كانوا أقل من ذلك، وقد توجه حمزة بجيشه إلى ناحية العيص مناطق جهينة، ولم تقع أي معركة بين الطرفين، حيث حرص

---

(١) انظر: بريك أبو مايلة العمري، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة .. دراسة نقدية تحليلية، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٧هـ؛ عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص ١٤٣.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٥٩٥.

(مجدي بن عمرو الجهني) أحد زعماء جهينة على الحجز بين الفريقين، وكان حريصاً على حلفه مع قريش وعلى موادعة النبي ﷺ، وانصرف حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ولم يقاتل، ولعل في عدم وجود قتال بين الطرفين مصلحة للمسلمين، حيث ذكر أن مجدي بن عمرو الجهني قدم على النبي ﷺ في المدينة فأجازه.(١)

وهذا دليل على حسن تعامل المسلمين وتقديرهم لزعماء المنطقة، وتقدير موقفه في الحجز بين الطرفين ومنع القتال، ولعل الموقف اثبت له الفرق بين سلوك المسلمين وغيرهم.

سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب:-

ابن عمِّ رسول الله ﷺ أحد شهداء بدر بعد ذلك.(٢)
كانت في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة النبوية.

أرسله ﷺ على رأس جيش قوامه ثمانون رجلاً كلهم

(١) انظر: الطبري، السيرة النبوية، ص١٠٥، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١٧٢/٢. وانظر: أحمد بن محمد الأمين الشنقيطي، البعوث والغزوات النبوية، ص ٢٨.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٧٠٦/٢.

مـن المهـاجرين ﭬ، [١] وعقـد لـه ﷺ لـواءً أبـيض، وكانـت وجهتـه نـواحي رابـغ، [٢] لقطـع الطريـق علـى عـير لقـريش كـان يقودهـا أبـو سـفيان بـن حـرب، ومعـه عكرمـة بـن أبـي جهـل، علـى مـا يقـارب المـائتين مـن رجـال قـريش، وتنـاوش الطرفـان وترامـوا بالنبـال، ولم يقـع قتـال مباشـر بـين الطـرفين، وقـد كـان سـعد بـن أبـي وقـاص يرمـي أسـهمه ببراعـة مما جعلـه يصـيب عـدداً مـن المشـركين بجـراح، فكـان أول من رمى سهماً وأراق دماً في سبيل الله. [٣]

وكـان في قافلـة المشـركين عتيبـة بـن غـزوان المـازني، والمقـداد بـن عمـرو، وكانـا مسـلمين، ففـرا مـن قـريش والتحقا بأصحاب رسول الله ﷺ. [٤]

سرية سعد بن أبي وقاص:-

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٥٩١.

(٢) ذكـر ابـن هاشـم أن وجهـتهم ثنيـه المـرة مـاء بالحجـاز، ج٢/٥٩١؛ وانظـر: يـاقوت الحمـوي، معجـم البلـدان، ج٢/٨٥؛ وعنـوان لهـا د. بريـك أبـو مايلـة، سـرية عبيـده بـن الحـارث إلى رابـع، انظـر: السـرايا والبعـوث النبويـة حول المدينة ومكة، ص ٨٩.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٥٩١.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٧.

في شهر ذي القعدة من السنة الأولى للهجرة عقد رسول الله ﷺ لواء لسعد بن أبي وقاص في عشرين رجلاً حمل لواءه المقداد بن عمرو حليف بني زهرة.[١] وقد حدد لهم ﷺ هدفاً قافلة لقريش، وأمرهم أن لا يتجاوزوا الخرار وهو وادٍ يصب في الجحفة،[٢] فلما وصلوها وجدوا أن قافلة قريش سبقتهم، فلم يجاوزوا ما أمرهم رسول الله ﷺ، وكان سعد بن أبي وقاص ومن معه يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار إمعاناً في السرية والتخفِّي.[٣]

سرية عبد الله بن جحش (إلى نخلة):-[٤]

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش في اثني عشر رجلاً من المهاجرين في سرية إلى نخلة ومعه ثمانون من

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٧.

(٢) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٦/١٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦٠٠؛ الواقدي، المغازي، ج١/١١؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٧؛ بريك أبو مايلة العمري، السرايا والبعوث النبوية حول مكة والمدينة، ص ١٩٥.

(٤) نخلة: اليمانية موضع على بعد ليلة من مكة. انظر: بريك أبو مايلة، السرايا والبعوث النبوية، وقد وضع صورة للوادي، حيث وقعت أحداث السرية، ص٩٥.

المهاجرين.[١]

وحـــدد لـــه وجهـــة، وأعطـــاه كتابـــاً، وأمره أن لا يفتحـــه إلا بعـد أن يسـير يـومين في الوجهـة الـتي حـددها لـه. وبعـد مسـيرة يـومين نظـر عبـد الله بـن جحـش في كتـاب الـنبي ﷺ فـإذا فيـه: ((إذا نظـرت في كتـابي هـذا فـامض حتـى تنـزل نخلـة بـين مكـة والطـائف فترصـد بهـا قريشـاً وتعلـم مـن أخبارها)).[٢]

فلمـا قـرأ الكتـاب قـال: سمعـاً وطاعـة يـا رسـول الله، ثـم أخبر أصـحابه بمـا أمـر بـه رسـول الله ﷺ في كتابـه، وذكـر لهـم أن رسـول الله ﷺ نهـاه أن يسـتكره أحـداً مـن أصـحابه في المسـير معـه وقـال لهـم: ((مـن كـان مـنكم يريـد الشـهادة ويرغـب بهـا فينطلـق، ومـن كـره ذلـك فليرجـع، فأمـا أنـا فمـــاضٍ لأمـــر رســـول الله ﷺ، فمضـــى ومضـــى معـــه أصحابه لم يتخلف منهم أحد)).[٣]

وواصـل عبـد الله بـن جحـش ومـن معـه مـن المهـاجرين

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦٠١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الطريق إلى نخلة، عدا عتبة بن غزوان وسعد بن أبي وقاص اللذين أضلا بعيراً لهما، فانفصلا عن الجيش، بحثاً عن البعير.[(١)]

ووصل عبد الله بن جحش نخلة المكان المستهدف بأمر الرسول ﷺ، فمرت بهم عير لقريش تحمل أُدماً وزبيباً، وتجارة لقريش من الطائف، فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل وابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان من موالي المغيرة، وكانوا في آخر يوم من رجب، وهو أحد الأشهر الحرم عند العرب. وتشاورت السرية في قتالهم من عدمه خشية القتال في الأشهر الحرم، وفي الوقت نفسه خشوا أن تدخل العير في حدود الحرم وهم بالقرب من مكة، أو أن تقابلهم قريش بهجوم معاكس، فاستقر أمرهم على مقاتلة قافلة قريش، وأجمعوا القتال، فتمكنوا من قتل عبد الله بن الحضرمي،[(٢)] وأسر رجلين، وفر الرابع، فاستاقوا العير والأسيرين إلى المدينة المنورة، فلما وصلوا المدينة تكلم الناس عن قتالهم في الشهر الحرام فقال ﷺ: ((ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام)) فأُسقِط

---

(١) ابن هشام، ج٢/٦٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/٢٧٤.

(٢) انظر: ابن هشام،السيرة النبوية، ج٢/٦٠٣. محمد أبو شهبه، السيرة النبوية، ج٢/١١٩

في يد عبد الله بن جحش ومن معه من السرية وظنوا أنهم هلكوا، واشتد تعنيف إخوانهم من الصحابة لهم، وأخذ المنافقون والمشركون يروجون لذلك، وشنوا حملة على المسلمين، وأنهم استحلوا الأشهر الحرم. وفي هذا الظروف الصعبة على أصحاب السرية نزل على الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة].

وقد سر رسول الله ﷺ وسر الصحابة بهذه الآيات وانكشف عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا يشعرون به من غم، [(١)] فقبض الرسول ﷺ الغنيمة وصرفها في مصرفها، وأمسك بالأسيرين حتى عاد سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان إلى المدينة فقبل فداء

---

(١) ابن كثير، تفسيره، ج١/٢٧١.

الأسيرين من قريش.[١]

وكانت الغنيمة وفداء الأسيرين من أول ما كسبه المسلمون من غنائم قريش، كانت هذه السرية من أخطر السرايا على قريش، حيث قطعت وهددت الطريق بينهم وبين الطائف وهي أقرب المدن إلى مكة، وبالتالي شعروا بقوة المسلمين وخطرهم على تجارتهم في محيط مكة ناهيك عن طريق الشام.

من الملاحظ أن تلك السرايا الأولى كان عماد جندها المهاجرون ومعظمهم من قريش وقادتها رجال من قريش من أقرب الناس إلى النبي ﷺ، وتوجهت للإضرار بقوافل قريش التجارية والتضييق على تجارها ورجالها، وهم الذين آذوا المهاجرين وأخرجوهم من ديارهم بغير حق وسطوا على أموالهم ودورهم، فبادر المهاجرون بالمشاركة، وكانوا عماد تلك السرايا.[٢]

إن الذين شاركوا من المسلمين فيها كان باختيارهم،

(١) ابن حجر، الإصابة، ص ٢٨٦/٢.

(٢) انظر: عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص ١٤٣؛ بريك أبو مايلة، السرايا والبعوث النبوية حول مكة والمدينة، ص ٦١.

ولم يجبر أحد منهم على المشاركة، بالإضافة إلى أن الأنصار لم يشتركوا فيها في هذه المرحلة، ولعل الرسول ﷺ أراد إشغال المهاجرين الذين تزايدت أعدادهم، وفي الوقت نفسه تدريبهم وتعريفهم بالطرق والمناطق المحيطة بالمدينة المنورة، والتي ربما كانت جديدة على بعضهم.

كما أن الأنصار مشغولون بمزارعهم وأهليهم، وفي الوقت نفسه يتولون الدفاع عن المدينة وعن رسول الله ﷺ فيها، تنفيذاً لعهده معهم في بيعة العقبة الثانية.

ولا شك أن هذه السرايا قد أكسبت المشاركين فيها قوة وتدريباً وتحملاً، ومعرفة بالطرق والقبائل واستعداداً نفسياً وعسكرياً لمشاركة الرسول ﷺ في غزواته.

وقد حققت نجاحاً في استهداف قوافل قريش، وإشعارها بالخطر الذي تواجهه وبقدرة المسلمين على التعرض لهم كما تتعرض قريش للمسلمين والمقيمين بمكة والذين يمرون بها، وتحاول فتنتهم عن دينهم، كما أشارت الآيات القرآنية: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ

أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ [البقرة].

وقد حصلت بعضها قرب مكة فيما بينها وبين الطائف وبعضها إلى الساحل غرب وشمال مكة، وفي كل ذلك تهديد مباشر لمكة وآخذ للطرق التجارية التي تسلكها، وأحاطه بمكة من كل مكان، وخصوصاً شمالاً وشرقاً وغرباً.

الغزوات الأولى:-

قبل غزوة بدر التي تعد فرقاناً وفاصلاً بين كثير من الأحداث في السيرة النبوية، بل وفي التاريخ العالمي كله قام الرسول ﷺ، ، بنفسه بغزوات متعددة قادها بنفسه، بالإضافة إلى السرايا التي بعث على رأسها من قادها الصحابة ﷺ، وكانت أهدافها في هذه المرحلة متقاربة، حيث تركز على قطع تجارة قريش إلى الخارج والتعرض لقوافلها التجارية ورجالها، وإشعار قريش بقوة المسلمين وقدرتهم على الدفاع عن أنفسهم بل واستعادة

ما أخذ من أموالهم في مكة.

غزوة الأبواء:- [١]

وتسمى (بواط)، [٢] في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة بعد قرابة اثني عشر شهراً من هجرة الرسول ﷺ. وقد حمل لواءه ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.[٣]

وقد عين ﷺ سعد بن عبادة أميراً على المدينة أثناء غيابه.

وخرج بالمهاجرين، وكانت وجهته ﷺ اعتراض عير لقريش، وهي تمر ناحية جبل رضوى[٤] من ديار جهينة.

وكان قائد عير قريش أمية بن خلف، وهو من أكثر

---

(١) الأبواء : قرية من أعمال الفرع بالمدينة، تبعد عنها ثلاثة وعشرون ميلاً ؛ انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ص : ٥٩١، هامش رقم : ٢ .

(٢) جبل لجهينة ناحية جبل رضوى المشهور قرب ينبع (البكري، معجم ما استعجم ج١/٢٨٣).

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٥٠٣.

(٣) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٣٥٦.

(٤) رضوى: جبل في تهامة الحجاز نواحي ينبع على ليلة منها وليلتين من البحر وسبع ليال من المدينة. (البكري، معجم ما استعجم، ج١/٦٥٥)

قريش عداء لرسول ﷺ.

ولم يلق الرسول ﷺ كيداً ولا قتالاً ، وأثناء الغزو لقي ﷺ بني ضمرة من بني عبد مناة وعقد معهم عهداً جاء فيه : ((بسم الله هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لبني ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصرة على من رامهم ، إلا أن يحاربوا في دين الله عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ولهم النصر على من بر منهم واتقى)).(١)

وهناك من يرى أن الأبواء وبواط غزوتين منفصلتين في زمن متقارب.(٢) وقد رجع الرسول ﷺ سالماً بعدها لم يلق كيداً.

غزوة العشيرة : - (٣)

وهو موضع في ناحية ينبع غرب المدينة ، موطن لبني مدلج ، وخرج إليها رسول الله ﷺ في مائتين من

---

(١) محمد حميد الله ؛ الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٢٦٢ وثيقة رقم (١٥٩)
وانظر: أحمد الشنقيطي، البعوث والغزوات، ص ٣١.
(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٥٩١، ٥٩٨.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٥٩٨.

أصحابه، وحمل رايته عمه حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وكان خروجه في جمادى الأولى من السنة الثانية للهجرة، [(١)] ولم يكره أحداً للخروج معه.

وكان هدف الغزوة عير ضخمة لقريش، جمعت فيها الكثير من أموالها وكانت متوجهة إلى الشام، وقد أورد ابن هشام تفاصيل دقيقة عن طريق الغزوة، وما مر به رسول الله ﷺ من مياه، [(٢)] وقد فاتته ﷺ القافلة، ووصل مناطق بني مدلج وهم حلفاء بني ضمرة فوادعهم ﷺ وقد ورد ذكر الغزوة في صحيح البخاري. [(٣)] ولعل هذه الغزوة متداخلة مع غزوة بواط أو الأبواء مقرونة أحدهما بالأخرى [(٤)]

غزوة سفوان:- (بدر الأولى). [(٥)]

عند قدوم الرسول ﷺ من غزوة العشيرة بأيام أغار

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/١٧٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٥٩٨.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٥٩١.

(٤) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٣٦٢

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦٠١. ابن سعد، ج٢/٩، وسفوان وادي معروف نواحي بدر.

كرز بن جابر الفهري على المواشي التي تخرج من المدينة للرعي خارجها، وتسمى (سَرحاً)، [1] ونهبها، فخرج رسول الله سريعاً في أثره ومعه جماعة من المسلمين، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، ولحق ﷺ بكرز بن جابر الفهري لكنه فاته، ووصل ﷺ إلى سفوان ناحية بدر ثم رجع إلى المدينة، وقد أسلم كرز بعد ذلك وحسن إسلامه وجاهد مع الرسول ﷺ، واستشهد في فتح مكة. [2]

وقد ذكرت بعض التفصيلات المرتبطة بها، ومنها ما ورد، عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة جاءت جهينة، فقالت: إنك قد نزلت بين أظهرنا، فأوثق لنا حتى نأمنك وتأمننا، فأوثق لهم ولو يسلموا، فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مائة، وأمرنا أن نغير على حي من كنانة إلى جنب جهينة، قال: فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً، فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا: لم تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقلنا: إنما

---

(١) السَرح الماشية التي تخرج للمرعى .
الزبيدي، تاج العروس، ج٢/١٦٣.
(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٣/٢٩٠.

نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام في الشهر الحرام، فقال: بعضنا لبعض: ما ترون ؟ فقالوا: نأتي رسول الله ﷺ فنخبره، وقال قوم: لا، بل نقيم هاهنا، وقلت أنا في أناس معي: لا بل نأتي عير قريش هذه فنصيبها، فانطلقنا، إلى العير وكان الفيء إذ ذاك (من أخذ شيئاً فهو له) فانطلقنا نلي العير، وانطلق أصحابنا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فأخبروه الخبر، فقام غضبان محمراً لونه ووجه، فقال: ذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرقين، إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة، لأبعثن عليكم رجلاً ليس بخيركم، أصبركم على الجوع والعطش، فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي، فكان أول أمير في الإسلام.(١)

غزوة بدر [١٧ رمضان سنة ٢هـ]:- (٢)

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص: ١٧٢ـ١٧٣؛ وقد ألحق خبر سعد بن أبي وقاص، بعنوان غزوة بدر الأولى.

(٢) لمزيد من التوسع حول أحداث هذه الغزوة ومروياتها وتخريج تلك الروايات انظر: أحمد محمد العليمي باوزير: مرويات غزوة بدر، الطبعة الأولى، مكتبة طيبة، الرياض ١٤٠٠هـ، ابن أبي شيبة، المغازي، غزوة بدر الكبرى متى كانت، ص١٧٤.

تعد هذه المعركة أشهر المعارك في التاريخ الإسلامي على الإطلاق، حيث سماها الله سبحانه وتعالى يوم الفرقان، في قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾[الأنفال].

وورد أنها المذكورة في قوله تعالى: : ﴿ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الدخان].

ومن أسبابها أن رسول الله ﷺ كان يتتبع أخبار قريش ويتربص بهم، وقد آذوه وأخرجوه وأصحابه من ديارهم، وسطوا على أموالهم وسجنوا بعضهم وعذبوهم، فعلم ﷺ أن عيراً لقريش قد قدمت من الشام في طريقها إلى مكة، وهي بالقرب من المدينة، فندب الرسول ﷺ من كان حاضراً من الصحابة للخروج معه، [1] "وخرج معهم على عجل دون استعداد مسبق، وكان يصحبه ﷺ ((بضعة عشر وثلاثمائة))[2] "رجلاً

(١) انظر حديث البخاري: (فتح الباري)، ج ١٥ / ١٤٧، وانظر شرح ابن حجر، للحديث، ابن هشام السيرة النبوية ج ٢ / ٦٠٦.

(٢) من حديث البخاري (فتح الباري) ج ١٥ / ١٥٦.

أكثـرهم راجلـة ، لـيس معهـم سـوى فرسـين وسـبعين بعـيراً ،[١] كـانوا يظنـون أنهـم سـيلقون العـير (القافلـة) وأنهـم لـن يلقـوا قتـالاً ، ولـذلك فـإنهم لم يكونـوا مستعدين الاستعداد الكامل للمعركة.

كـان قائـد قافلـة قـريش هـو أبـو سـفيان بـن حـرب ، حـذراً خائفـاً علـى أمـوال القافلـة الـتي معـه ، ولـذلك كـان يتحسـس الأخبـار علـى وجـل مـن المسـلمين ، فعلـم أن الرسـول ﷺ قـد خـرج في طلبـه والعـير الـتي معـه ، فغـير الطريـق الـتي كـان يسـلكها وسـار بـالعير بـالقرب مـن السـاحل في طريـق لم يكـن المسـلمون يتوقعونهـا ، وفي الوقـت نفسـه أرسـل إلى قـريش في مكـة يسـتنفرها لتنقـذ قافلتهـا مـن المسـلمين ، وخرجـت قـوات قـريش مسـرعة لتنقـذ العـيرـ بزعمهـا ـ ، يترأسـها [أبـو جهـل الحكـم بـن هشـام]، وخـرج معـه كبـار رجـالات قـريش وشـجعانها ورؤوس الكفـر المعانـدون لله ورسـوله مـن أهلـها ،[٢]

---

(١) الواقـدي: المغـازي ج ١ / ٢٧، ابـن سـعد: الطبقـات الكـبرى، ج ٢ / ١٢.

(٢) انظـر: صـحيح البخـاري (فـتح البـاري)، ج ١٥ / ١٤٧، ابـن هشـام السيرة النبوية، ج٢/٦٠٩؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٢ / ١٣.

ونجح أبو سفيان في إنقاذ العير من المسلمين، واقترب من مكة وأمن على قافلته، وأرسل مندوباً إلى أهل مكة، يبلغهم بنجاة العير، ويطلب منهم العودة إلى مكة.

ولكن أبا جهل زعيم كفار قريش أصر على التحدي والكبر والخيلاء، وأعلن أنه لن يرجع حتى يرد ماء بدر، وينحر الإبل ويطعم الطعام ويشرب الخمر، وتعزف القيان، وتسمع العرب بمسيرهم، فتكون هيبة لهم طول الدهر، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنفال]، وبالفعل واصلوا مسيرتهم إلى بدر هدفهم المنشود". [(١)]

وكان أبو جهل يعلم صدق رسول الله ﷺ فقد قال له أصحابه وهو يسير إلى رسول الله ﷺ يوم بدر: " أرأيت مسيرك إلى محمد أتعلم أنه نبي. قال: نعم. ولكن متى كنا تبعاً لعبد مناف.[(٢)]

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢ / ٦١٨، ابن سعد الطبقات الكبرى ج٢/١٣، الواقدي: المغازي ج١/ ٤٢؛ مهدي رزق، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٣٤٠.

(٢) ابن بي شيبة، المغازي، ص ١٩٩.

علـم ﷺ بتحـرك قـريش فجمـع الصـحابة يستشـيرهم، وكـان ﷺ وهـو المعصـوم المسـدد يستشـير أصـحابه دائمـاً لأمـور مهمـة، منهـا أمـران رئيسـيان: الأول توحيـد صـفوف المسـلمين وتطييـب خـواطرهم، وهـو أمـر مهـم جـداً، خصوصـاً مـع الأنصـار في هـذه المرحلـة، وهـم أهـل الدار، والثاني الوصول إلى القرار الأصوب والأحكم.

وطـرح ﷺ الأمـر علـى جمـوع صـحابته المـرافقين لـه قـائلاً لهـم: ((أشـيروا علـي أيهـا النـاس))، وتكلـم جمـع مـن المهـاجرين فـيهم أبـو بكـر وعمـر رضـوان الله عليهمـا، وكـان مـن المـتكلمين المقـداد بـن عمـرو الـذي قـال: "يـا رسـول الله والله لا نقـول لـك كمـا قالـت بنـو إسـرائيل لموسـى ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ المائـدة: من الآيـة ٢٤، [١] ولكـن اذهـب أنـت وربـك فقـاتلا إنـا معكمـا مقـاتلون، فـو الـذي بعثـك بـالحق لـو سـرت بنـا إلى بـرك الغمـاد لجالـدنا معـك مـن دونـه حتـى تبلغـه)). [٢]
فـدعا لـه الرسـول ثـم قـال مـرة أخـرى ((أشـيروا علـي أيهـا

---

(١) من الآية ٢٤ من سورة المائدة .

(٢) انظـر: حـول هـذه المشـاورة: ابـن هشـام السـيرة النبويـة ج ٢/٢١٥، وقـارن بحديث البخاري (فتح الباري) ج١٥/ ١٥١؛ .

الناس))، وكان ﷺ يريد رأي الأنصار فهم أهل الدار، وهم الأكثرية ويريد ﷺ أن يكسب قلوبهم ولا يتصرف إلا بقناعة منهم تحافظ على الصف المسلم، وهذا أول لقاء بين الرسول ﷺ وجنده من المهاجرين والأنصار، وبين قريش ورؤوس الكفر فيها، يلوح فيها القتال والموت، فبادر سعد بن معاذ رضي الله عنه يقول: ((لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ فأجاب ﷺ: أجل، فرد سعد بالثناء على رسول الله ﷺ، وذكر لهم أنهم على عهده وقال ((يا رسول الله امض لما أردت فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً وإنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله".[(١)]

فسر رسول ﷺ بقول سعد ودعا له وللمهاجرين والأنصار، واطمأن إلى موقف جنده من اللقاء.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ج ٢/ ٦١٥، وابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٧٧؛ وانظر: تخريج هذه الحادثة بالتفصيل عند د. أكرم العمري: السيرة الصحيحة ج٢/٣٥٩، د. مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٣٤١.

فسار ومعه الصحابة، وهو يقول لهم سيروا و أبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين وذلك مصداق لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأنفال]، وسار الرسول ﷺ ومن معه باتجاه بدر، وهم موقنون أنهم سينالون عير قريش أو جيشها.

ونزل المسلمون قرب بدر وهم يتحسسون الأخبار عن الأعداء، وعلم ﷺ أن القوم ما بين التسعمائة إلى الألف، وعرف من في الجيش من صناديد قريش فقال ﷺ: ((هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها))، وتيقن الرسول ﷺ ومن معه أن المواجهة ستكون مع ذات الشوكة شجعان مكة وفرسانها، وأن العير قد فاتتهم.

وجاء الحباب بن المنذر إلى رسول الله ﷺ، وكان نزول المسلمين أدنى ماء بدر فقال متأدباً مع الرسول يعرض عليه رأياً صائباً ((يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أأنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟)) فقال ﷺ: ((بل هو الرأي والحرب والمكيدة)) فقال: ((يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي

أدنى ماء من القوم فتنزله ثم نغور ما وراءه من القُلُب ونبني عليه حوضاً ونملؤه ماء فنشرب ولا يشربون))، فدعا له الرسول ﷺ، وقال: لقد أشرت بالرأي".(١) وكان هذا الموقف من الرسول القائد ﷺ درساً عظيماً في استماع القائد إلى رأي جنده، للوصول إلى الموقف الأسلم، واتخاذ الأسباب الدنيوية والمادية مع التوكل على الله، وهو الأساس في كل تحركاته ﷺ.

وكان الرسول ﷺ يُخبر بمصرع عدد من زعماء مشركي قريش، ويُري الصحابة الأماكن التي سيصرعون بها،(٢) مما زاد من يقينهم بنصر الله لهم.

وبنى الصحابة عريشاً لرسول الله ﷺ، يخلو فيه بعض الوقت للدعاء والصلاة،(٣) مع بقائه في مقدمة الصفوف

(١) من رواية ابن إسحاق، (ابن هشام): السيرة النبوية ج٢/٦٢٠، انظر تخريج هذه الحادثة عند د. رزق الله: السيرة النبوية، وقد حكم عليها بأنها رواية حسنة لغيرها ص ٣٤٥.

(٢) انظر: الواقدي : المغازي ج١/٤٩، ابن هشام السيرة النبوية ج ٦١٥/٢، وانظر إلى تخريج ذلك عند د. أكرم العمري: السيرة الصحيحة ج٢ / ٣٥٩، رزق الله: السيرة النبوية، ص ٣٤٤ ؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٠٦.

(٣) من حديث للبخاري: (فتح الباري) ج ١٨ / ٢٥٤، الواقدي: المغازي

في القتال فقد كان أشجع الشجعان ﷺ.

وصلت قريش قبل المعركة، فلما أقبلت قال ﷺ: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك فنصرك الذي وعدتني، اللهم إحنهم الغداة.(١)

حاول بعض حُكماء قريش أن يثنوا قومهم عن الحرب ويقنعوهم بالرجوع إلى مكة، لكن أبا جهل وأمثاله من رؤوس الكفر، أفسدوا عليهم وأقنعوا قريشاً بالعناد والمجابهة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.(٢)

بات المسلمون ليلة بدر يدعون الله ويتضرعون إليه بالنصر والفوز على الأعداء، وأنزل الله سكينته عليهم فكانوا هادئين وأصابهم النعاس، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنفال].

ج٤٩/١، انظر تخريج ذلك عند د. أكرم العمري، السيرة النبوية، ص ٣٤٦.

(١) الواقدي : المغازي ج٥٩/١، انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٨.

(٢) ابن هشام : السيرة ج٢ / ٦٢٢ ؛ الواقدي : المغازي ج١ / ٦٣.

وكان الرسول ﷺ تلك الليلة يصلي ويبكي متضرعاً إلى الله بالدعاء أن ينصر المؤمنين. وكان مما قال في دعائه ﷺ في العريش في تلك الليلة أو من صبيحتها: ((اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً)) فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو في الدرع يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر].[١]

أما مشركو قريش فقد باتوا يأكلون ويشربون الخمر وتعزف لهم القيان، ويفاخرون بقوتهم وما أوتوا من الماديات، ويصرون على كفرهم وشركهم ومعاندتهم لله ورسوله، وكان أبو جهل يدعو على نفسه فيقول: اللهم أقطعُنا للرحم وأتانا بما لا يعرف فاحنه الغداة، فكان ذلك استفتاحاً منه فنزلت: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال].[٢]

وفي صبيحة يوم المعركة صلى المسلمون خلف رسول

(١) رواه البخاري : (فتح الباري) ج١٨ /٢٥٤ .

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٨٤.

الله ﷺ، وبعد الصلاة خطبهم وحضهم على القتال والصبر.[١]

ثم أشرف الرسول ﷺ بنفسه على تنظيم صفوف المسلمين وتوجيههم، وكان مما قال لهم ﷺ : ((إذا كثبوكم - يعني أكثروكم - فارموهم واستبقوا نبلكم))،[٢] وكان ﷺ يعجبه الرمي ويحث عليه. وبينما رسول الله ﷺ يسوي الصفوف إذ بـ (سواد بن غُزية) رضي الله عنه[٣] قد ند من الصف فيوسه الرسول ﷺ بسهم كان في يده ويقول له استو يا سواد، فيقول أوجعتني يا رسول الله فدعني أقتد منك، فيكشف له ﷺ عن بطنه الشريف ليقتاد لنفسه، فيُقبل بطن رسول الله ﷺ .. فيقول له الرسول ﷺ: ما حملك على هذا يا سواد؟ فيقول: يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له ﷺ.[٤]

---

(١) من رواية لعلي بن أبي طالب، عند ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٨٧.

(٢) من حديث البخاري (فتح الباري) ج١٥/١٧٣ .

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٢/٩٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢/٣٧٤.

(٤) الواقدي، المغازي، ج١/٥٦ - ٥٧)؛ ابن حجر، الإصابة، (٢/٩٥).

وانتظر القوم أمر الرسول ﷺ ببدء القتال، ورجع الرسول ﷺ إلى العريش وأخذ يدعو ربه: ((اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد، اللهم أنجز لي ما وعدتني))،[(١)] ولم يزل يدعو وبجواره أبو بكر رضي الله عنه حتى أشفق عليه فقال له: يا نبي الله بعض مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك ثم أغفى إغفاءة ثم قال: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده،[(٢)] فاستبشر المسلمون بعد أن خرج إليهم ﷺ، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر].[(٣)] وأخذ ﷺ يدعوه ويشجع الناس على القتال ويذكرهم بالجنة ويبشرهم بنزول الملائكة معهم . وهم الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال]، وفي قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ

---

(١) انظر: ابن حجر (فتح الباري)، ج١٨/٢٥٤ .

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٨٠.

(٣) انظر: حديث البخاري،في صحيحه،كتاب التفسير، سورة القمر، باب قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر، ج٥/٥٤؛ ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/٢٤؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٨٠.

ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾[الأنفال].

وفي الوقت نفسه أعدت قريش صفوفها واستعدت للقتال، ونظر إليهم رسول الله ﷺ عسى أن يكون فيهم أحد ذو عقل، وكان فيهم رجل على جمل أحمر يناقش قومه فقال ﷺ: إن يكن في القوم أحد فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر فقال حمزة: هو عتبة بن ربيعة، كان نهاهم عن القتال ففشل في ذلك.(١)

وقد حاول أحد القرشيين الشرب من الماء مخترقاً صفوف المسلمين، فتصدى له حمزة بن عبد المطلب فقتله.(٢)

ثم بدأت أول مبارزة في المعركة بين عتبة بين ربيعة وابن أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة من المشركين، وبين حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث من المسلمين ﷺ وكلهم من آل النبي ﷺ،

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٨٧.

(٢) ابن هشام السيرة النبوية، ج٢/ ٦٢٤؛ الواقدي: المغازي ج١/ ٦٨ .

وانتهت تلك المبارزة بمقتل المشركين الثلاثة وجرح عبيدة بن الحارث ﵁ ثم استشهاده.[(١)] لقد كان آل البيت أول المقاتلين ومنهم أول الشهداء.

ثم التحم الجمعان وبدأت المعركة وأخذ الرسول ﷺ حفنة من الحصى ورماها على القوم وقال ((شاهت الوجوه)).[(٢)] وفي هذا انزل قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[الأنفال]، واشتد القتال بين الطرفين، و كان الرسول ﷺ في مقدمة الصفوف حتى أن الصحابة كانوا يحتمون به ﷺ، وكان لكثير من الصحابة مواقف بطولية في هذه المعركة.

ولاحت بشائر النصر للمسلمين، وانهزم المشركون وقتل صناديد قريش أمثال "أبي جهل"[(٣)] و"عتبة بن ربيعة" و "أمية بن

---

(١) انظر: حديث البخاري عن علي بن أبي طالب: (فتح الباري)، ج١٥ /١٦١.

(٢) ابن هشام السيرة النبوية ج٢/٧٠٦ .

(٣) انظر إلى مقتل أبي جهل من حديث عبد الله بن مسعود عند البخاري (فتح الباري) باب قتل أبي جهل، ج١٥ /١٥٨؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٨، ١٩٩.

خلف" وغيرهم من كفار قريش الذين بلغ عددهم سبعين رجلاً، وولى الأحياء منهم الأدبار منهزمين لا يلوون على شيء.(١)

وأقام المسلمون مع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام في بدر بعد المعركة، دفنوا فيها شهداءهم، الذين بلغوا أربعة عشر شهيداً،(٢) وأما قتلى المشركين فقد ألقوا في قليب بدر، ووقف عليهم رسول الله ﷺ: حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان يا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله ما

---

(١) انظر حديث أنس بن مالك عند البخاري. (فتح الباري) ج ١٥ / ١٦٧، ابن هشام: السيرة النبوية ج٢/ ٦٤٢، ٦٣١، ٦٣٨،٦٣٤، (وانظر العنوان الذي وضعه لذلك ص ٧٠٨)،الواقدي: المغازي ج١/٨٢،٨٥،٨٨، ٩٢، ١٠٠.

(٢) انظر أسماء شهداء المسلمين في بدر عند : ابن هشام السيرة النبوية ج٢/٧٠٦، ٧٠٧، وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٠٤، ٢٠٦.

وانظر:الصبحي، محمدبن عبدالله غبان، شهداء غزوة بدر الكبرى، الجمعية التاريخية السعودي، الرياض، سلسلة بحوث تاريخية الاصدار الخامس عشر، ربيع الأول ١٤٢٤هـ.

تكلـم مـن أجسـاد لا أرواح لهـا، فقـال رسـول الله ﷺ: "والـذي نفـس محمـد بيـده، مـا أنـتم بـأسمع لمـا أقـول مـنهم"، قـال قتـادة: أحيـاهم الله حتـى أسمعهـم قولـه توبيخـاً وتصغيراً وحزناً وندماً)).[١]

وقـد بعـث رسـول الله ﷺ زيـد بـن حارثـه علـى ناقـة رسـول الله ﷺ مبشـراً لأهـل المدينـة، فوصـلها وهـم يـدفنون رقيـة بنـت رسـول الله ﷺ الـتي توفيـت والرسـول ﷺ في الغـزوة، فسـر المسـلمون بـالخبر وأغتـاظ اليهـود والمنـافقون ولم يصدقوه.[٢]

وبعـد ذلـك عـاد الرسـول ﷺ ومـن معـه مـن المجاهـدين إلى المدينـة سـالماً غانمـاً فاسـتقبله المسـلمون في المدينـة بالسـرور العظـيم لسـلامته ﷺ، ولانتصـار المسـلمين هـذا النصر المبين.[٣]

وكـان معهـم سـبعون مـن أسـرى قـريش، وقـد استشـار ﷺ أصـحابه مـا يصـنع بهـم، فقـالوا يـا رسـول الله نأخـذ

---

(١) البخاري، المغازي، (فتح الباري)، ج ١٥/ ١٦٨.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٢.

(٣) انظـر: ابـن هشـام السـيرة النبويـة ج ٦٤٣/٢، الواقـدي، المغـازي ج/١٤٤.

الفـداء نتقـوى بـه في سـبيل الله ، [١] فقـال ﷺ أنـتم عالـة فـلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق. [٢]

وقـد أحسـن المسـلمون إلى أسـراهم في المعاملـة ، فكـانوا يطعمـونهم مـن أكلـهم ويلبسـونهم مـن ملابسـهم ، وقـد قـدم أقـاربهم مـن مكـة بعـد ذلـك يـدفعون الأمـوال مقابـل إطـلاق سـراحهم ، [٣] وقـد تـأثر هـؤلاء الأسـرى ببقـائهم في المدينـة وشـهادتهم صـدق المسـلمين وحسـن الإسـلام ، فأسلم معظمهم في فترات لاحقة.

وقد نزلت بعض الآيات في أحداث غزوة بدر ومنها قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٩٣.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٦.

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢١٦.

مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ
وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ
وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ
إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ
كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن
يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمۡ
فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾
وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ
فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ
ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ
رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن
تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا
وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال].

ويقول الله سبحانه وتعالى عن أحداث هذه الغزوة في موضع آخر من السورة نفسها ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۗ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنفال].

وتواصل بقية سورة الأنفال الحديث عن بعض القضايا المتعلقة بالجهاد عموماً وبغزوة بدر خصوصاً، وأصبحت تلك السورة تسمى سورة الجهاد، وداوم المسلمون على قراءتها في صفوف القتال قبل المعارك في كل غزوات الفتح، وخصوصاً في عهد الراشدين حيث كانوا يعينون القراء في كل جيش لتلاوتها

نظراً لأهمية تعلم وقراءة هذه السورة لما فيها من معاني الجهاد وقواعده.[(١)]

وكانت غزوة بدر هي أول انتصار للمسلمين على مشركي مكة، وقد تناقل العرب أخبارها، وعلم الناس بعدها أن المسلمين أصبحت لهم قوة يحسب لها حسابها.

بين بدر وأحد:-

غيرت نتائج غزوة بدر الكثير من الأوضاع في حلقة الصراع بين قريش وحلفائها وبين الرسول ﷺ، الذي كان حريصاً على أمن المدينة وأهلها وعلى أن تستمر الأوضاع في صالح المسلمين، كما كان حريصاً على استيعاب رد فعل قريش وغيرها من الأعداء على انتصار المسلمين في بدر، وأن لا يكون هناك تراخٍ أو ضعف، وقد كان واضحاً أن قريشاً لن تسكت على الهزيمة وقتل رجالها وأسرهم، وتطلب هذا الأمر متابعة دائمة من الرسول ﷺ واستمرار الأعمال العسكرية وما يرتبط بها من سرايا وغزوات، لحفظ المدينة وأهلها وأشهر تلك

---

(١) انظر: الأزدي، فتوح الشام، ص ٢١٨؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٣٤؛ وعبدالعزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١١٩.

الأعمال بعد غزوة بدر وقبل أحد هي :

غزوة بني قينقاع : -

كان يهود بني قينقاع ضمن قبائل وجماعات يهودية تقيم بالمدينة قبل وصول رسول الله ﷺ إليها. وعند هجرته وادعهم مع غيرهم من يهود في صحيفة المدينة ،[١] وكان ضمن الموادعة المشاركة في الدفاع عن المدينة المنورة وتأمين أهلها.

وكان يهود يعلمون بصدق رسول الله ﷺ ، وتنزلت الكثير من الآيات والسور على رسول الله ﷺ في المدينة تناقش يهوداً وتتحدث عن أنبيائهم وتاريخهم وانحرافهم.

وكان ﷺ كثيراً ما يناقش علماءهم ويزورهم في مدارسهم ويحاول إقناعهم بدين الله ، ولم يسلم إلا عدد قليل منهم أعقلهم وأشهرهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه.[٢]

وبعد غزوة بدر أصبح الأمر واضحاً بتفوق المسلمين على قريش. وهذا يعني قوة المسلمين في المدينة. مصداق

(١) انظر : موضوع وثيقة المدينة من هذا الكتاب.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٣٥٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣/٢٦٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٤١٣.

لوعد الله بنصر عباده المؤمنين، وكان ﷺ رحيماً باليهود حريصاً على هدايتهم، وهم أهل كتاب يعرفون الحق.

وكذلك بعد عودته من غزوة بدر ((فإن رسول الله ﷺ جمعهم في سوق بني قينقاع، ثم قال: يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم إني نبي مرسل، تجدون ذلك وعهد الله إليكم قالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس)).[1]

وفي الوقت الذي كان ﷺ يحمل لبني قينقاع الرحمة والهداية ويذكرهم بما وقع لقريش كانوا يردون عليه بتهديد واضح وصريح واستعداد لقتاله وتلقينه درساً فهم أهل الحرب والرجال ـ كما زعموا ـ وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله أنزل فيهم وفي تهديدهم لرسول الله ﷺ ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ [آل عمران].[2]

---

(١) إبراهيم العلي، صحيح السيرة، ص ١٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، حديث رقم ٣٠٠١. انظر

هـذا التهديـد الواضـح منهم يعـد نقضـاً صـريحاً لعهـدهم مـع رسـول الله ﷺ (فكـانوا أول يهـود نقضـوا مـا بيـنهم وبـين رسول الله ﷺ).[١]

وحـدثت واقعـة أشـعلت العـداء بـين الطـرفين، ذلـك أن امـرأة مـن العـرب قـدمت بجلـب لهـا، فباعتـه بسـوق بـني قينقـاع، وجلسـت إلى صـائغ بهـا، فجعلـوا يريـدونها علـى كشـف وجههـا، فأبـت، فعمـد الصـائغ إلى طـرف ثوبهـا فعقـده إلى ظهرهـا، فلمـا قامـت انكشـفت سـوءتها، فضـحكوا بهـا، فصـاحت. فوثـب رجـل مـن المسـلمين علـى الصـائغ فقتلـه، وكـان يهودياً، وشـدت اليهـود علـى المسـلم فقتلـوه، فاستصـرخ أهـل المسـلم المسـلمين علـى اليهـود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.[٢]

وقيل إنها نزلت فيهم ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

سيرة ابن هشام، ج٣/٤٧.

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٣/٤٧. صـالح الشـامي، مـن معـين السـيرة، ص ٢٤٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٤٨.

[الأنفال].(١)

وقد بادر الرسول ﷺ بجمع جند المسلمين وحصار بني قينقاع في حصونهم خمس عشرة ليلة، (٢) أنزل الله فيها الرعب في قلوبهم، فاستسلموا لأمر رسول الله ﷺ ونزلوا على حكمه، وكانوا حلفاء لبعض الأنصار، فتبرأ المسلمون منهم، وعلى رأسهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه الذي تبرأ إلى الله والى رسوله منهم، وخشي المنافقون على يهود وهم مساعدوهم في أذى رسول الله ﷺ، ولذلك قام عبد الله بن أُبي بن سلول، حين أمكن الله منهم رسول الله ﷺ، " فقال: يا محمد، أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد أحسن في موالي، قال: فأعرض عنه. فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ ".
قال ابن هشام: وكان يقال لها: ذات الفضول.

قال ابن إسحاق: فقال له رسول الله ﷺ: أرسلني، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُللاً، ثم

(١) ابن سعد، السيرة من الطبقات، ج٢/٢٩.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٤٩.

قال: ويحك! أرسلني، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربع مئة حاسر وثلاث مئة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، قال: فقال رسول الله ﷺ، هُم لك".[(١)]

وكانت النتيجة العفو عن قتلهم، وهم مستحقون له وإجلائهم عمن المدينة، حيث غنم المسلمون أموالهم وديارهم، وتم خروجهم خلال ثلاثة أيام وتوجهوا الى بلاد الشام.

وفي موقف عبد الله بن أبي نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٤٨.

يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ
يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ
مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾
[المائدة].

وقد كان إجلاء بني قينقاع ضربة قوية ليهود المدينة، الذين وقفوا عاجزين في هذه المرحلة عن نصرة إخوانهم من يهود حيث ضربهم الله بالذلة والخوف.[١]

كما أن ما غنمه المسلمون من بني قينقاع فيه سلاح كثير وأدوات صياغة وأموال مختلفة، انتفع بها المسلمون، وقد قسمه الرسول ﷺ بين المسلمين واصطفى الخُمُس[٢] واستفاد من سلاحهم في الغزوات التي تلت.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٤٩؛ ابن كثير، تفسيره، ج١/٦٢٨.

(٢) ابن سعد، السيرة من الطبقات، ج٢/٢٩؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٧.

غزوة بني سُليم : -

بنو سُليم قبيلة تجاور المدينة، مساكنهم في نواحي نجد ويجاورهم غطفان، وقد أعدوا تجمعاً لتهديد المدينة على ماء يقال له الكَدر، [١] فعلم رسول الله ﷺ بذلك، فخرج إليهم في أواخر شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة بعد عودته من غزوة بدر، وقد عين أميراً على المدينة عند خروجه، ولما بلغ سليم ومن معهم خروج الرسول ﷺ هربوا وتركوا أنعامهم، فظفر بها رسول الله ﷺ ولم يلق كيداً، [٢] وعاد إلى المدينة ولم يلق كيداً كبيراً، وكان لهذه الغزوة دور في تحذير القبائل المختلفة القريبة من المدينة، وإفهامها يقظة الرسول ﷺ ومن معه من جند الصحابة، وأنهم مستعدون لأي طارئ، ولذلك بادر بهذه الهجمة الاستباقية قبل استعداد أعدائه مما اضطرهم للهرب.

غزوة السويق : -

(١) الكدر: ماء مشهور لبني سليم يقع شرق المدينة على بعد ثمانين بُرد؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٤٤١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٦٤؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٥٣٩.

كان أبو سفيان بن حرب من زعماء المشركين في مكة، ولم يشاركهم في غزوة بدر لوجوده في القافلة. ولما أصيبت قريش في بدر، وهزمت وجاءت أخبار ذلك لأبي سفيان نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ، وينتقم لقتلى قريش وأسراهم في بدر، فخرج في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، ومعه مائتي مقاتل من قريش، واقترب من المدينة، وتمكن من الوصول إلى "سلام بن مشكم"، وهو من زعماء يهود بني النضير ليلاً، فسقاه ومونه وأعطاه أخبار المدينة ورسول الله ﷺ وأصحابه، ثم خرج من ليلته وبعث بعض أصحابه فقتلوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له، وحرقوا النخيل في أطراف المدينة، وفروا سريعاً، فلما علم رسول الله ﷺ بهم استعمل على المدينة " أبا لبابة بشير بن عبد المنذر"، وخرج سريعاً في أثرهم ففر أبو سفيان ومن معه إلى مكة، واضطروا للتخلي عن بعض ما يحملونه من طعام وغيره حتى يسرعوا في الفرار، وكان من جملة ذلك سويق كثير، (١) وقد وجدها

---

(١) السويق: طعام من الشعير أو الحنطة المحموسة، تؤكل جافة أو تطبخ مع الماء، أو الزيت، ولا يزال معروفاً في الحجاز وغيرها بنفس الاسم.

الرسول ﷺ ومن معه فسميت الغزوة بالسويق.[١]

ولم يتمكن أبو سفيان من تحقيق أهدافه وأثبتت الغزوة أن المسلمين بقيادة الرسول ﷺ بالمرصاد لأعدائهم وأنهم يحمون المدينة من كل معتدٍ ويطاردون من تسول له نفسه أذى المسلمين فيها.

غزوة ذي أَمَرٌ (غطفان):-[٢] .

في شهر محرم من السنة الثالثة للهجرة النبوية. حيث أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة ومن بني محارب أعدوا جمعاً لمهاجمة المدينة، فبلغت الأخبار رسول الله ﷺ فخرج ومعه أربعمائة وخمسون مقاتلاً وتوجه إلى تجمع القبائل المعادية، فهربوا في رؤوس الجبال، فأقام الرسول ﷺ في نواحيهم قريباً من الشهر على ماء يقال له ذو أمر وعسكر مع أصحابه، وغطفان فارِّين في رؤوس الجبال.

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣؛ الواقدي، المغازي، ج١/١٨١؛ ابن سعد، الطبقات، ج٢/٣٠.

(٢) ماء ناحية نجد في ديار غطفان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٢٥٢.

فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له " غَوْرث بن الحارث" أو دُعْثور بن الحارث فقالوا: قد أمْكَنك الله مِن قَتْل محمد. فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل، حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمد ما يمنعك مني اليوم؟ قال: الله. ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده. فأخذه رسول الله ﷺ، فقال: من يَمْنعك منِّي؟ قال: لا أحدَ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه.(١)

فلما رجع إلى أصحابه قالوا: ويلك، مالك؟ قال: نظرتُ إلى رجل طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنه مَلَك، وشهدت أن محمداً رسول الله ﷺ، والله لا أُكثِّر عليه جمعاً، وجعل يدعو قومَه إلى الإسلام.

قال: ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١/٩٤؛ ابن سعد الطبقات، ج٢/٣٤؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣/١٨٩.

أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المائدة].[١] وقد ورد أن الآيات نزلت في بني النضير حين هموا بقتل الرسول ﷺ.

غزوة بُحْرَان:- [٢]

استعد جمع من سُليم لمهاجمة المدينة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج في جيش من أصحابه قوامه ثلاثمائة مقاتل، فتوجه إلى تجمع سُليم في بُحران من نواحي الفرع بالقرب من المدينة، ففروا وتفرقوا قبل أن يصلهم النبي ﷺ.

فعسكر أياماً في مناطقهم، ثم عاد إلى المدينة مرة أخرى،[٣] بعد أن أثبت للأعداء حزمه وقوته في مواجهتهم وحفظ هيبة المسلمين، وكان ذلك في ربيع الآخر سنة ٣هـ.

وفي ترتيب الغزوات السابقة وضع البخاري في

(١) انظر : ابن كثير، تفسير القرآن، ج١/٥٩٥.

(٢) بُحْرَان: ماء على طريق مكة إلى الشام، ناحية الفرع، بين المدينة ورابغ، البلاذري، معجم معالم السيرة، ص ٤٠.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٤٥؛ ابن كثير، السيرة النبوة، ٣/٤؛ انظر : صالح الشامي، من معين السيرة، ص : ٢٤٣.

صحيحه باباً سماه باب غزوة العشيرة أورد فيه قول ابن إسحاق: أول ما غزا النبي ﷺ الأبواء ثم بواط ثم العشيرة.(١)

سرية زيد بن حارثة (القَرَدَة)(٢) .

كان من سياسة رسول الله ﷺ الاستمرار في حرب اقتصاديات مشركي مكة وتهديد قوافلهم والتعرض لها مما جعل قريشاً تغير طريقها إلى الشام،(٣) وتحاول التوجه إلى العراق عن طريق نجد، ومن هناك إلى الشام فخرجت إحدى قوافلها في شهر جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة، فيها أبو سفيان بن حرب،(٤) وصفوان بن أمية، وعبد الله بن أبي ربيعة،(٥) وغيرهم من زعماء قريش.

وكانت معهم أموال عظيمة من الفضة والأواني

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب١ ج ٥/٢.
(٢) االقَـرَدة: في أطراف نجد ناحية المدينة من أطراف القصيم الغربية ناحية الرمة، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٣٢٢)
(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٥٠.
(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٥٠.
(٥) ابن سعد، السيرة النبوية، من الطبقات الكبرى، ج٢/٣٦.

والسلع وأخذوا طريق نجد قاصدين العراق.

فكـون ﷺ جيشـاً عـين عليـه صـاحبه ومـولاه زيـد بـن حارثـة وبعثـه للحـاق بالقافلـة متوجهـاً إلى ناحيـة الربـذة، (١) مـن أرض نجـد واعترضـوهم عنـد القَـرَدة ، فأصـابوا العـير وغنموهـا ومـا فيهـا، وفـر الرجـال هـاربين إلى مكـة، وقـدم زيـد ومـن معـه بـالعير علـى رسـول الله ﷺ فقسـمه رسـول الله ﷺ في مصـارفه، وقـدرت القيمـة بمـا يقـارب المائـة ألـف درهم. (٢)

وقـد اسـتفاد منهـا المسـلمون كـثيراً، وقـد أسـر في الغـزوة فـرات بـن حيـان العجلـي دليـل القافلـة، فعـرض عليـه

(١) الرَبَـذَة : في أطـراف نجـد ناحيـة المدينـة مـن أطـراف القصـيم الغربيـة حاليـاً شمـال مهـد الـذهب حاليـاً، الـبلادي، معجـم المعـالم الجغرافيـة في السـيرة، ص ١٣٥.

انظـر كتـاب: الربـذة صـورة للحضـارة الإسـلامية المبكـرةفي المدينـة المنـورة تـأليف : دكتـور الآثـار سـعدبن عبـد العزيـز الراشـد ط١؛الرياض:جامعة الملك سعود سنة : ١٤٠٦هـ

(٢) ابن سعد، السيرة النبوية، من الطبقات الكبرى، ج٢/٣٦؛

وانظـر: مهـدي رزق الله، السـيرة النبويـة في ضـوء المصـادر الأصـلية، ص ٣٧٧.

رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم.[١]

زواج علي وفاطمة (رضي الله عنهما):-(٢)

فاطمة بنت رسول الله، قال عنها ﷺ: ((فاطمة سيدة نساء أهل الجنة))،[٣] وقال عنها ﷺ: ((فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)).[٤]

كانت أصغر بنات النبي ﷺ وأحبهن إليه مع حبه ﷺ للجميع منهن (رضوان الله عليهن)، فهي الوحيدة الباقية من بنات النبي آخر حياته وأقرب الناس إليه، وبقيت من بعده عدة أشهر، وروت عنه أحاديث، ولذلك تعلقت أذهان الأمة بها أكثر من غيرها من بنات الرسول ﷺ، كما أن انقطاع نسل الرسول ﷺ إلا من فاطمة جعلها أكثر ذكراً من غيرها.

---

(١) ابن سعد، السيرة النبوية، من الطبقات الكبرى، ج٢/٣٦.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، باب منقبة فاطمة عليها السلام، ج٥/٢٠٩؛ ووضع ابن إسحاق، في السيرة عنوان زواج فاطمة (رضي الله عنها)، ص ٢٣٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، ج٤/٢٠٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، ج٤/٢١٠.

ولدت (رضي الله عنها) قبل البعثة بحوالي سنتين، [١] كانت ممن يدافع عن الرسول ﷺ في مكة عند أذى قومه له، حملت سلى الجزور الذي طرحه القوم على رأسه وسبتهم وأبعدتهم عن رسول الله ﷺ. [٢]

وردت روايات مناقب فاطمة عن أم المؤمنين عائشة في أحاديث متفرقة وكانت عائشة تقول: (ما رأيت أحداً قط أفضل من فاطمة غير أبيها). [٣]

وكذلك ما روته عائشة رضي الله عنها: (أن فاطمة أقبلت تمشي كأن مشيها مشي رسول الله ﷺ، فقال مرحباً يا بنتي، ثم أجلسها عن يمينه، ثم أسر إليها حديثاً فبكت، ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم أقرب فرحاً من حزن، فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره فلما مات سألتها؟ فأخبرتني أنه قال: إن جبريل كان يعارض القرآن في كل سنة مرة، وأنه عارضني العام

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١١٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/١٩؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٧٧.

(٢) انظر : تخريج الحديث بطوله في وفاة النبيﷺ من هذا الكتاب .

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٧٨.

مـرتين، ومـا أراه إلا قـد حضـر أجلـي، وإنـك أول أهلـي لحوقاً بـي ونعـم السلف أنـا لـك، فبكـت فقـال: إلا ترضـين أن تكوني سيدة نساء العالمين فضحكت.(١)

وقـد لحقـت فاطمـة برسـول الله ﷺ مهـاجرة إلى المدينـة وكانت شابة.(٢)

وكـان علـي رضي الله عنه شـاباً هـاجر مـع رسـول الله ﷺ إلى المدينـة، وهـو أقـرب النـاس إلى رسـول الله ﷺ نسـباً وروحـاً وإيمانـاً، وقـد تربـى في بيـت رسـول الله ﷺ، وكـان أول المـؤمنين بـه مـن الشـباب، وأعـرف النـاس بصـدقه، فـداه بنفسـه يـوم الهجـرة، لـه مـن المكانـة عنـد رسـول الله ﷺ وعند المسلمين ما ليس لأحد غيره.

وفي محـرم مـن السـنة الثانيـة للـهجرة، كـان علـي رضي الله عنه

---

(١) أخرجـه البخـاري في صـحيحه، كتـاب الاسـتئذان، بـاب مـن نـاجى بـين يـدي النـاس، ولم يخـبر بسـر صـاحبه، ج٧/١٤؛ كتـاب المغـازي، بـاب مـرض النـبي ﷺ ووفاتـه، ج٥/١٣٨؛ وانظـر: ابـن حجـر، الإصـابة، ج٤/٣٧٨.

(٢) انظـر: ترجمتهـا رضي الله عنها، عنـد ابـن سـعد، الطبقـات الكـبرى، ج١/١٩؛ ابـن حجر، الإصابة، ج١/٣٧٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١١٨.
(وراجع ترجمتها في المعايشون للنبي ﷺ من هذا الكتاب)

يرغب في خطبة فاطمة من رسول الله ﷺ، إلا أنه كان حيياً ويهاب الرسول ﷺ، إضافة إلى كونه شاباً لا تجربة له في مثل هذا الأمر.

وقد حاول بعض الصحابة خطبة فاطمة (رضي الله عنها)، إلا أن الرسول ﷺ ردهم بلطف، وكأنه ينتظر أن يتقدم علي ﷺ لخطبتها، وقد شجعت علي ﷺ بعض جواري الأنصار على ذلك.(١)

قال علي ﷺ: ((فلما قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما أستطيع أن أتكلم فقال: ما جاء بك؟ فسكت، فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ قلت: نعم، قال: وهل عندك من شيء تستحلها به؟ فقلت: لا والله يا رسول الله، فقال: ما فعلت بالدرع التي سلحتكها، فقلت: هي عندي قال: فأعطها إياه.(٢)

وقيل إن رسول الله ﷺ دخل على فاطمة وأخبرها بطلب علي فسكتت، فعلم ﷺ أن ذلك إقرارٌ منها.

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج١٩/٨؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٥٤٤/٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٢١/٨؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٥٤٣/٢.

وقـد كـان زواجـاً بسـيطاً متواضـعاً أنفـق فيـه علـي ﷺ مما يجد.

وقــد ورد أنــه حامَــلَ وجلــب حطبــاً لأحــد صــوّاغي المدينـة يقـول علـي ﷺ: ((لمـا أردت أن ابـتني بفاطمـة بنـت رسـول الله ﷺ واعـدت رجـلاً صـوَّاغاً مـن بـني قينقـاع أن يرتحـل معـي فنـأتي بـأذخر أردت أن أبيعـه مـن الصـوَّاغين واسـتعين بـه في وليمـة عرسـي)).[1] وقـد سـاهم بعـض الأنصار والمهاجرين في هذه الوليمة المتواضعة المباركة.

وقــد جهزهــا رســول الله ﷺ بجهــاز بســيط وجــرتين للمـاء،[2] وقـد ورد أنـه ﷺ قـال لعلـي ليلـة دخلتـه بفاطمـة: لا تحـدث شـيئاً حتـى تلقـاني، فـدعا بمـاء فتوضـأ منـه ثـم أفرغـه عليهمـا، وقـال اللـهم بـارك فيهمـا وبـارك عليهمـا وبارك لهما في نسلهما.[3]

وقـد حـرص الرسـول ﷺ أن يسـكن فاطمـة وعلـي ﷺ بجـواره، وقـد علـم حارثـة بـن النعمـان الأنصـاري بـذلك،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما قيل في الصواغ، ج٣/١٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٣.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٤.

فتحــول عــن حجــرة لــه مجــاورة لمســجد الرســول ﷺ تقــع شمــال حجــرة عائشــة، وطلــب مــن الرســول ﷺ أن يأخــذها لعلــي وفاطمــة وقــال: والله الــذي يأخــذ أحــب إلــي مــن الــذي يــدع، قــال ﷺ صــدقت، فتحــول وســكن علــي وفاطمــة مكانــه. فكانــا مجــاورين لرســول الله يمــر عليهمــا ويستأنس بهما ويدعو لهما ويوجههما.(١)

وقــد رويــت أحاديــث كــثيرة عــن هــذه الزيــارات المباركــة للبيــت المبــارك الــذي خــرج منــه ســيدا شــباب أهــل الجنــة الحســن والحســين (رضــي الله عنهمــا) وأم كلثــوم وزينــب بنات علي من فاطمة رضي الله عنهم.(٢)

وقــد كانــت (رضــي الله عنهــا) تعــيش مــع علــي رضي الله عنه في شــظف مــن العــيش وشــدة منــه، ولم تكــن الــدنيا همهمــا، ومــع ذلــك كانــا يتألمــان مــن كثــرة العمــل وقــد ورد عنــد

(١) ابــن ســعد، الطبقــات، ج٣/٤٨٨؛ والــذهبي، ســير أعــلام النــبلاء، ج٢/٣٨٠.

(٢) الــذهبي، ســير أعــلام النــبلاء، ج٢/١٣٤، ١٢٢؛ وانظــر: الحــديث عــن الحســن والحســين (رضــي الله عنهمــا)، في موضــوع المعايشــون للرســول ﷺمن هذا الكتاب.

ابــن كثــير، الســيرة النبويــة، ج٢/٥٤٤؛ وانظــر: تفصــيل الحــديث عــن فاطمــة (رضي الله عنها)، في موضوع المعايشون للرسول ﷺ من هذا الكتاب.

أحمد في مسنده ((قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وجاء الله أباك يسبي فاذهبي فاستخدميه. فقالت: أنا والله قد طحنت حتى محلت يدي: فأتيت النبي ﷺ فقال: (ما جاء بك أي بنية؟) قالت: جئت لأسلم عليك واستحييت أن أسأله. فأتينا جميعاً. فقال علي: يا رسول الله. والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى محلت يداي وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ: (والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم)، [1] فرجعا. فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رأسيهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رأساهما، فثارا، فقال: (مكانكما) . ثم قال: (ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟) قالا: بلى فقال: (كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام فقال: تسبحان في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعة

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٥.

وثلاثين).[١]

وكغيرهما من البشر يحدث بينهما أحياناً ما يحدث بين الأزواج، فكان الرسول ﷺ يصلح بينهما، حتى أن علياً قال لها: والله لا آتي شيئاً تكرهينه. روى ابن حجر قال: كان بين علي وفاطمة كلام، فدخل رسول الله ﷺ وآله فلم يزل حتى أصلح بينهما، ثم خرج فقيل له: دخلت وأنت على حال وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك، فقال: وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إليَّ.[٢]

وقد ورد عن أم سلمة أنها قالت: " في بيتي نزلت ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٧٩؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٦.

والحسن والحسين فقال: هؤلاء أهل بيتي".[١] ومع هذا فالآية في عامة أهل البيت ومنهن أمهات المؤمنين، اللاتي بدأت الآية بالحديث عنهن، ولا يعقل أن يُجزئ الكارهون لأمات المؤمنات الآية ويرونها خاصة في علي وفاطمة وأبنائهما رضي الله عنهم أجمعين، فإثباتهم لا ينفي غيرهم، فزوجات النبي من أهل البيت كغيره من الناس فلا تخرج الزوجات من الآية، فالآية نصت في أولها عليهن، بل هي موجهه لهن.

ولعل عمل رسول الله ﷺ مع علي وفاطمة وابنيهما ليقطع الطريق على المشككين في دخولهم ضمن أهل البيت وإلا فالآية أثبتت أن نساءه ﷺ منهم.

غزوة أحد (شوال سنة ٣ هـ):-[٢]

لم تسكت قريش بعد هزيمتها في بدر، فأخذت تعد العدة لغزو المسلمين في المدينة، وقام أعداء الإسلام كل منهم بدوره، فالذين قُتل آباؤهم أو أبناؤهم أو أحد من أهليهم كانوا يسيرون

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٩٧.

(٢) ابن إسحق السيرة، ص ٣٠١، ابن هشام ج ٣ / ٦٠ .
وانظر: بامدحج، غزوة أحد "دراسةدعوية"، ط١، دار اشبيليا، الرياض١٤٢٠هـ

في الناس ليحرضوهم على رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين،[١] وكان اليهود يدورون في مكة ويشتركون في تحريض زعمائها، والمنافقون في المدينة يعدون قريشاً ويمنونهم بالمساعدة إن قدموا لاستئصال محمد ومن معه من المسلمين ويتحملون الإعداد المعنوي والمادي لذلك، وفيهم نزل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال]، .[٢]

وتم استعداد قريش ومن حالفها من قبائل تهامة وغيرهم، وتوجه جيشها بحديده ورجاله وعبيده، وبعض نسائه يقصدون المدينة، وقد بلغ عددهم ما يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل.[٣]

في هـذه الأثنـاء كانـت الأخبـار تـأتي لرسـول الله ﷺ

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٤٧٣.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ /٦٠، الواقدي : المغازي ج١/١٩٩، الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، ج ٤/ ٢٧١.

(٣) ابن إسحق: السيرة، ص ٣٠٢، الواقدي، المغازي، ج١/٢٠٢، ٢٠٣ ؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/ ٢٧٣ .

من عيونه في مكة عن تحركات القوم بالتفصيل.[١]

جمع الرسول ﷺ المسلمين واستشارهم في الأمر كعادته، واختلفت آراؤهم، فمنهم من رأى الخروج للقاء الأعداء خارج المدينة وكانوا الأكثرية، ومنهم من رأى البقاء في المدينة، وقتال المشركين من داخلها إن هم قدموها، وكان الرسول ﷺ يميل إلى الرأي الثاني وهو البقاء داخل المدينة.[٢] وكان أصحاب الرأي القائل بالخروج للقاء القوم من شجعان المسلمين وأكثروا على الرسول ﷺ، فدخل داره ثم خرج إليهم وقد لبس درعه وسلاحه واستعد للقتال، فندم الذين أكثروا على الرسول ﷺ بالخروج، وقالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك فإن شئت فاقعد. فقال ﷺ : "ليس لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل ".[٣]

(١) الواقدي، المغازي، ج ١ / ٢٠٧، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣٧/٢، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ /٢٧٣.
(٢) ابن إسحق، السيرة، ص ٣٠٢، الواقدي المغازي، ج ٣١٠/١ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٢٧٥/٤.
(٣) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ٣ / ٣٥١، وانظر: تخريج الحديث عند رزق الله السيرة النبوية، في ضوء المصادر الأصلية، ص ٣٨١ .

كـان ﷺ قـد رأى رؤيـا قصـها علـى أصـحابه، ومنهـا كمـا روى البخـاري قولـه: ((رأيـت في رؤيـاي هـذه أنـي هـززت سـيفاً فـانقطع صـدره فـإذا هـو مـا أصـيب مـن المـؤمنين يـوم أُحَـدُ. ثـم هززتـه بـآخر فعـاد أحسـن مـا كـان فـإذا هـو مـا جـاء الله بـه مـن الفـتح واجتمـاع المـؤمنين، ورأيـت فيهـا بقـرًا والله !! خـير فـإذا هـم المؤمنـون يـوم أحد)).[١]

وكانـت قـريش قـد نزلـت أَحَـدَ الأوديـة بـالقرب مـن المدينـة فخـرج الرسـول ﷺ ومعـه ألـف مـن أهـل المدينـة، وفي الطريـق إلى أُحُـد رجـع زعـيم المنـافقين عبـد الله بـن أُبـي سـلول، ومعـه ثلـث الجـيش خـاذلين لرسـول الله ﷺ، وزعـم ابـن أُبـي أنـه مـا فعـل ذلـك إلا لأنـه كـان يـرى البقـاء في المدينة ومضى المؤمنون مع رسول الله ﷺ.[٢]

(١) رواه البخـاري في صـحيحه، كتـاب المغـازي، بـاب مـن قتـل مـن المسـلمين يـوم أحـد، ج٥/٣٩؛ وانظـر: الروايـات الأخـرى عنـد الصـالحي الشـامي، سـبل الهـدى والرشـاد، ج٤/٢٧٤؛ وانظـر: ابـن أبي شـيبة، المغـازي، ص ٢٤٢.

(٢) الواقـدي، المغـازي، ج ١ / ٢١٩، ابـن سـعد، الطبقـات، ج ٢/٣٩، وانظر: البخاري، فتح الباري، ج ١٥/٢٣٢.

كانـت أُحُـد منـزل رسـول الله ﷺ ومـن معـه مـن المـؤمنين، واختـار الرسـول الموقـع بنفسـه، ونظـم صـفوف المسلمين فيـه، حيـث جعـل مركـز الجـيش الشـعب، وجعـل جبـل أحـد مـن خلفهـم، واختـار جـبلاً صـغيرًا أمـام القـوم وعـين فيـه الرمـاة وأمّـر علـيهم عبـدالله بـن جـبير ﵁ وأوصـاهم أن يثبتـوا في مكـانهم، حتـى يـأتيهم أمـر الرسـول ﷺ. وأن ينضـحوا المشـركين عـن المسـلمين بالنبـل، حتـى لا يـأتوهم مـن الخلـف. وأوصـاهم بالثبـات مهمـا كانـت نتيجـة المعركـة وانتظـار مـا يصـدر لهـم مـن أوامـر الرسـول ﷺ. روى البخـاري في صـحيحه عـن الـبراء بـن عـازب ﵁ قـال: ((لقينـا المشـركين يومئـذ وأجلـس الـنبي ﷺ جيشًـا مـن الرمـاة، وأمّـر علـيهم عبـد الله، وقـال: لا تبرحـوا، وإن رأيتمونـا ظهرنـا علـيهم فـلا تبرحـوا، وإن رأيتمـوهم ظهروا علينا فلا تعينونا)). الحديث.(١)

واختـار الرسـول ﷺ مصـعب بـن عمـير ﵁ لحمـل

---

(١) انظـر: روايـة البخـاري في صـحيحه، كتـاب المغـازي، بـاب غـزو أحـد، ج٥/٣١؛ ابـن إسـحاق، سـيرة ابـن إسـحاق، ص ٣٠٥؛ الواقـدي، المغـازي، ج١/٢١٩؛ الصـالحي الشـامي، سـبل الهـدى والرشـاد، ج٤/٢٨٢.

لــواء المســلمين، وتــولى ﷺ ترتيــب صــفوف أصــحابه المجاهـدين معـه، وذكـرهم بموعـود الله مـن الجنـة، وبالصـبر والثبات عند اللقاء، ثم رد بعض الصغار إلى المدينة.(١)

ومـن جهـة المشـركين قـام زعـيمهم أبـو سـفيان بـن حــرب رضي الله عنه بتعبئــة المقــاتلين، وكــانوا قرابــة ثلاثــة آلاف مقاتــل أكثــر مــن أربعــة أضــعاف المســلمين، وقســمهم، وجعــل علــى الميمنــة خالــد بــن الوليــد رضي الله عنه وأخــذ ذوو الصــيت والصــوت مــنهم يحرضــون النــاس علــى القتــال واستئصــال محمــد ﷺ ومــن معــه مــن المســلمين، وقامــت نســاء قــريش بتحــريض الرجــال علــى القتــال، وذكــرنهم بمن قتل من أهلهم في بدر العام الماضي.(٢)

بـدأت المعركـة وقـد أخـذ كـل موقعـه، وأخـرج الرسـول ﷺ سـيفًا كـان معـه فقـال مـن يأخـذ هـذا بحقـه، فقـام إليـه أبـو

(١) ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص ٣٠٣، ٣٠٨ .
الواقــدي، المغــازي، ج١/٢٢١، الصــالحي الشــامي، ســبل الهــدى والرشــاد، ج٤/ ٢٨٢،٢٨٣.

(٢) ابــن إســحاق، الســيرة، ص ٣٠٦ ؛ الواقــدي، المغــازي، ج ١/٢٢٠، ابــن ســعد، الطبقــات الكــبرى، ج ٢/٤١، الصــالحي الشــامي، ســبل الهــدى والرشاد، ج٤/ ٢٨٣ .

دجانة سماك بن خرشة ﷺ وقال: يا رسول الله وما حقه؟ فقال ﷺ: أن تضرب به هام المشركين حتى ينحني، فاخذه أبو دجانة، وأخرج من جيبه عصابة حمراء فربطها على رأسه وأخذ يختال بالسيف، فقال ﷺ: ((إن هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في مثل هذا الموطن)).(١) وبدأ القتال، وقاتل أبو دجانة بسيف رسول الله ﷺ قتال الأبطال،(٢) كما قاتل حمزة ﷺ بشجاعة لا نظير لها، وقاتل غيرهم من شجعان المسلمين، حتى لاحت الهزيمة في صفوف المشركين، وبدا النصر واضحًا للمؤمنين، وولى المشركون من الميدان، وتبعهم المسلمون يقتلون منهم، وأخذ المسلمون يجمعون الغنائم، فلما رأى الرماة ذلك من على الجبال تحركوا من أماكنهم، وحاول عبد الله بن جبير ﷺ أن يمنعهم من المغادرة مذكرًا إياهم بأمر الرسول ﷺ، ولكنهم عصوه وانصرفوا ولم يثبت معه

---

(١) انظر ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٣٦.

(٢) ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص ٣٠٥، الواقدي، ج ٢٤١/١، وانظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٥٨/٤ .

إلا نفر يسير دون العشرة.[١]

كـان خالـد بـن الوليـد ﷺ ومعـه جماعـة مـن فرسـان قـريش يرقبـون الموقـف عـن كثـب، فلمـا رأى خالـد أن الرمـاة قلـة لا يسـتطيعون منـع الخيـل حمـل علـيهم فقتلـهم وقائـدهم، ثـم نـزل بالفرسـان إلى المسـلمين، وهـم مكشـوفون فـأتوهم مـن الخلـف، ورجـع جنـد قـريش إلى سـاحة المعركـة بمسـاعدة الفرسـان، وتغـير مسـير القتـال وأصبح في صالح مشركي قريش.[٢]

وحـاولوا أن يصـلوا إلى رسـول الله ﷺ شخصـيًا ليقتلوه، وتبارى في ذلك شجعانهم.

وصـمد رسـول الله ﷺ وقاتـل قتـال الأبطـال، وقتـل بيـده (أُبـي بـن خلـف) الـذي كـان معانـدًا وحريصًـا علـى قتـل الرسـول ﷺ ويـردد: محمـد ...!! لا نجـوت إن نجـا، فـرفض الرسـول ﷺ أن يبـادر إليـه أحـد مـن الصـحابة غـيره، حيـث واجهـه ﷺ بنفسـه بحربـة أصـابته في عنقـه فمـات منهـا فيمـا

---

(١) انظـر: البخـاري (فـتح البـاري)، ج ٢٢٥/١٥ ؛ ابـن إسـحاق، السـيرة ص٣٠٦، الواقدي، المغازي، ج ٢٢٩/١ .

(٢) البخـاري (فـتح البـاري)، ج٢٢٥/١٥، ابـن إسـحاق، السـيرة، ص ٣٠٧، الواقدي، المغازي، ج٢٣٥/١، ابن سعد، الطبقات، ج ٤١/٢ .

بعد.[(١)]

ثم إنه ﷺ وقع في أحد الحفر فشج رأسه وكسرت رباعيته وشُقت شفته.[(٢)] وصمد نفر من الصحابة مع رسول الله ﷺ واستماتوا في الدفاع عنه، منهم أبو طلحة الأنصاري ﷺ، وسهل بن حنيف، ومنهم مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين - الذي استشهد بين يدي النبي ﷺ- ، ومنهم علي بن أبي طالب وأبو دجانة وسعد بن أبي وقاص ﷺ أجمعين، حيث قال رسول الله ﷺ لسعد وهو يرمي دفاعًا عنه: ((ارم فداك أبي وأمي.[(٣)] كما كان معهم في الدفاع عن الرسول ﷺ أم عمارة (رضي الله عنها).[(٤)]

---

(١) ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص ٣١٠، الواقدي، المغازي، ج ٢٥٢/٢، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٣٠٧/٤، ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٣٩.

(٢) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري)، ج١٥/٢٤٣، ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص ٣١١، الواقدي، المغازي، ج١/٢٤٧؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٣١٠ ؛ انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٤٥.

(٣) البخاري، فتح الباري، ج١٥/٢٢٥؛ انظر: ابن أبي شيبة، ص ٢٣٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري)، ج١٥/٢٣٥، ابن إسحاق، سيرة

وأشـاع المشـركون أنهـم قتلـوا رسـول الله ﷺ، فَفَـت ذلـك في عضـد المسـلمين فقـام الصـحابي أنـس بـن النضـر ﷺ فقـال: مـا يجلسـكم؟ قـالوا: قتـل محمـد رسـول الله قـال: فمـا تصـنعون بالحيـاة بعـد قومـوا فموتـوا علـى مـا مـات عليـه رسـول الله ﷺ، ثـم اسـتقبل القـوم فقاتـل حتـى قتـل ﷺ، فوجـد بـه يومئـذ سـبعون طعنـة فمـا عرفـه إلا أخته ببنانه.[١]

واستشـهد جماعـة مـن أصـحاب رسـول الله ﷺ وصـل عـددهم إلى السـبعين رجـلاً، مـنهم عمـه حمـزة بـن عبـد المطلـب ﷺ، قتلـه وحشـي وهـو غـلام حبشـي،[٢] وسـعد بـن الربيـع،[٣] ومصـعب بـن عمـير،[٤] وعبـد الله بـن

ابن إسحاق، ص ٣٠٧، الواقدي، المغازي، ج١/٢٤٠، ٢٤٣، ٢٧٨.

(١) ابن إسحق، السيرة النبوية، ص ٣٠٩، الطبري، تاريخه، ج٣ /١٨ .

(٢) انظر: باب مقتل حمزة عند البخاري (فتح الباري)، ج ١٥/ ٢٤٥، ابن إسحق، السيرة النبوية، ص ٣٠٨ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤ / ٣١٨، ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٤١.

(٣) الواقدي، المغازي، ج١/٢٩٣، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٣٢٦.

(٤) انظر: البخاري (فتح الباري)، ج ١٥/٢٢٩.

جحش،[١] وحنظلة الغسيل وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. والتجأ الرسول ﷺ ومن معه، من الصحابة إلى الشعب، وعلا أبو سفيان الجبل على الرسول ﷺ ومن معه، فقال رسول الله ﷺ: اللهم لا ينبغي لهم أن يعلونا، فقاتل عمر بن الخطاب وبعض الصحابة ورموهم بالحجارة حتى أنزلوهم، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ فقال ﷺ لا تجيبوه، ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثم قال: أفي القوم عمر بن الخطاب؟ .... ثم قال أبو سفيان إن هؤلاء قد قتلوا ولو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يتمالك عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقى الله لك ما يخزيك، ثم قال أبو سفيان : أُعل هُبل، فقال ﷺ أجيبوه قالوا ما نقول. قال: قولوا الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا العُزَّى ولا عُزّى لكم، فقال ﷺ أجيبوه قال، ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر فأجابوه، وقالوا: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، ثم قال أبو سفيان : إن موعدكم بدر العام

---

(١) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٣٢٢/٤ .

القادم.[١]

وقد شاركت نساء المسلمين في المعركة: (كن النساء يوم أحد يجهزن على الجرحى، ويسقين الماء ويداوين الجرحى).[٢]

وغادرت قريش أرض المعركة، بعد أن هلك منهم أربعة وعشرون قتيلاً، وداوى المسلمون جرحاهم، وفيهم رسول الله ﷺ، وصلى الرسول ﷺ على الشهداء الذين بلغوا سبعين شهيدًا ودفنوهم.[٣]

ثم رجع الرسول ﷺ ومن معه إلى المدينة ودخلوها والنساء تبكي القتلى، فتأثر رسول الله ﷺ وذرفت عيناه.[٤]

---

(١) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري)، ج١٥/٢٢٧، ابن إسحاق، السيرة، ص ٣١٣، الواقدي المغازي، ج١/ ٢٩٧، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٣٢٥.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٣٢.

(٣) انظر البخاري (فتح الباري)، ج١٥/٢٢٥ ؛ ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص٣١٣؛ الواقدي، المغازي، ج ١ / ٣٠١، ٣١٠، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤ /٣٣٠، ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٣٩.

(٤) انظر: الواقدي، المغازي، ج ١/ ٣١١، ٣١٥، ٣١٦، ابن هشام،

وكـان ﷺ حـذرًا فخشـي مـن عـودة قـريش إلى المدينـة ، فخـرج علـيهم في اليـوم التـالي لطلـب العـدو وإرهابـه حتـى لا يعــود إلى المدينــة ، وقــال ﷺ : ((لا يخــرج معنــا إلا مــن حضر معنا بالأمس)).[1]

ووصــل المســلمون إلى حمــراء الأســد[2] ، علــى مســيرة عشـرة أميـال مـن المدينـة ، وبقـوا فيهـا مـا يزيـد علـى ثلاثـة أيـام ، ووصـلت أخبـارهم إلى قـريش ، وكـانوا قـد فكـروا بـالعودة للـهجوم علـى المدينـة مـرة أخـرى وثنـاهم عـن ذلـك تتبــع الرســول ﷺ لهــم ، وجعلــهم يســرعون بــالعودة إلى مكة.[3]

السـيرة النبويـة، ج٣/٩٨، ابـن حجـر : (فـتح البـاري) ج ١٥ / ٢٥٥، ٢٥٦، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ / ٣٣٤.

(١) انظـر: البخـاري (فـتح البـاري)، ج ١٥ / ٢٥٣، (وانظـر شـرح ابـن حجـر علـى الحـديث)، الواقـدي، المغـازي، ج ١ / ٣٣٤، ابـن سـعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ ٤٨، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ١٠١.

(٢) منطقة جنوب غرب المدينة أصبحت حياً من أحياء المدينة حالياً.

(٣) انظـر: البخـاري (فـتح البـاري)، ج ١٥ / ٢٥٣، (وانظـر شـرح ابـن حجـر علـى الحـديث) الواقـدي، المغـازي، ج ١ / ٣٣٤، ابـن سـعد، الطبقـات الكـبرى، ج٣/١٠٤، الصـالحي الشـامي، سـبل الهـدى والرشـاد، ج ٤ / ٤٣٨ - ٤٤٢، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٥٢.

وقد نزلت آيات من القرآن الكريم تتحدث عما جرى على
المسلمين في أحد ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ
ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا
تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ
ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا
عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ
تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ
يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا
تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ
خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً
نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ
يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ
ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا
يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل
لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى

ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾[آل عمران].

ثم يقول الله سبحانه وتعالى في موضع آخر من السورة نفسها: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾
وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾
وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾
ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾
وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾
فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾
ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾
فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ

ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾[آل عمران].

وهكذا كانت هذه الغزوة ابتلاء لصف المؤمنين وتمحيصًا اختار الله فيها بعض الشهداء وفضح فيها المنافقين، وتاب على المؤمنين، فكانت من أهم غزوات الرسول ﷺ، شهدها بنفسه وأصابه وأصاب المؤمنين الكثير من الجراح والبلاء، واختار الله فيها أكبر عدد من الشهداء في حياة المصطفى ﷺ.

أصحاب الرجيع: (1)

الرجيع اسم موضع من بلاد هُذيل بين مكة وعُسفان.(2) في صفر من السنة الرابعة للهجرة قدم رهط من عضل والقارة من الهون من مضر على رسول الله ﷺ في المدينة، وقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً

(١) انظر: عنوان غزوة بني لحيان، عند ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٩٥؛ وصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، ورعل وذكوان، ج٥/٤٠.(والرجيع ماء لهذيل بناحية الوطية اليوم على نحو سبعين كيلو متراً شمال شرق مكة المكرمة) انظر: بريك العُمري، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة دراسة نقدية تحليلية، ص٢٢٥

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج١/٦٤١

فابعــث نفــراً مــن أصــحابك يفقهونــا في الــدين ويعلموننــا شــرائع الإســلام (فبعــث الــنبي ﷺ ســرية عينــاً وأمَّــر علــيهم عاصــــم بـــن ثابـــت وهـــو جـــد عاصـــم بـــن عمـــر بـــن الخطــاب(١)، فــانطلقوا حتــى إذا كــانوا بــين عســفان ومكــة ذُكــروا لحــيّ مــن هــذيل يقــال لهــم بنــو لحيــان، فتبعــوهم بقريــب مــن مائــة رام فاقتصــوا آثــارهم حتــى أتــوا منــزلاً نزلـوه فوجـودا فيـه نـوى تمـر تـزودوه مـن المدينـة فقـالوا: هـذا تمــر يثــرب، فتبعــوا آثــارهم حتــى لحقــوهم، فلمــا انتهــى عاصـــم وأصـــحابه لجئـــوا إلى (فدفـــد).(٢) وجـــاء القـــوم فأحــاطوا بهــم فقــالوا: لهــم لكــم العهــد والميثــاق إن نــزلتم إلينــا أن لا نقتــل مــنكم رجــلاً، فقــال عاصــم: أمــا أنــا فــلا أنـزل في ذمـة كـافر، اللـهم أخـبر عنـا نبيـك، فقـاتلوهم حتـى قتلــوا عاصــماً في ســبعة نفــر بالنبــل، وبقــى خبيــب وزيــد ورجــل آخــر،(٣) فــأعطوهم العهــد والميثــاق فلمــا أعطــوهم العهــد والميثــاق نزلــوا إلــيهم فلمــا اســتمكنوا مــنهم حلــوا

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٢/٢٤٤.
(٢) فدفـد: أو فدافـد مـاء معـروف بـالقرب مـن ديـار هـذيل. انظـر: البكـري، معجم ما استعجم، ج٢/١٠١٥.
(٣) هـــو: عبـــدالله بـــن طـــارق ﷺ، انظـــر: ابـــن هشـــام، الســـيرة النبويـــة، ج٣/٢٤٤؛ الواقدي، المغازي، ج١/٣٥٧.

أوتـار قسـيهم فربطـوهم بهـا ، فقـال الرجـل الثالـث الـذي معهمـا : هـذا أول الغـدر فـأبى أن يصـحبهم فعـالجوه فجـرروه علـى أن يصـحبهم فلـم يفعـل فقتلـوه ، وانطلقـوا بخبيـب وزيـد حتـى باعوهمـا بمكـة ، فاشـترى خبيـب بنـو الحـارث بـن عـامر بـن نوفـل ، وكـان خبيـب هـو قتـل الحـارث يـوم بـدر فمكـث عنـدهم أسـيراً ، حتـى إذا أجمعـوا قتلـه اسـتعار موسـى مـن بعـض بنـات الحـارث اسـتحدّ بهـا فأعارتـه ، قالـت : فغفلـت عـن صـبى لـي فـدرج إليـه حتـى أتـاه فوضـعه علـى فخـذه ، فلمـا رأيتـه فزعـت فزعـة عـرف ذلـك منـى وفي يـده الموسـى ، فقـال : أتخشـين أن اقتلـه مـا كنـت لأفعـل ذلـك ـ إن شـاء الله تعـالى ـ وكانـت تقـول مـا رأيـت أسـيراً قـط خـيراً مـن خبيـب ، لقـد رأيتـه يأكـل مـن قطـف عنـب ، ومـا بمكـة يومئـذ ثمـرة ، وأنـه لموثـق في الحديـد ، ومـا كـان إلا رزق رزقـه الله فخرجـوا بـه مـن الحـرم ليقتلـوه ، فقـال : دعـوني أصـلى ركعـتين ، ثـم أنصـرف إلـيهم ، فقـال : لـولا أن تـروا أن مـا بـي جـزع مـن المـوت لـزدت ، فكـان أول مـن سـن الـركعتين عنـد القتـل هـو ، ثـم قال : اللهم أحصهم عدداً ثم قال :

ولست أبالى حين أقتل مسلما

على أي شق كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شِلوٍ ممـــزع

ثـم قـام إليـه عقبـة بـن الحـارث فقتلـه ، وبعثـت قـريش إلى عاصـم ليـؤتي بشـيء مـن جسـده يعرفونـه ، وكـان عاصـم قتـل عظيمـاً مـن عظمـائهم يـوم بـدر ، فبعـث الله عليـه مثـل الظُّلّـة مـن الـدبر فحمته مـن رسـلهم ، فلـم يقـدروا منـه علـى شيء).[1]

لقـد مـات هـؤلاء الصـحابة علـى حُـب رسـول الله ﷺ وفـداء الإسـلام بـأرواحهم ، والحفـاظ عليـه مهمـا كـان الـثمن ، فقـد ورد أن زيـداً لمـا جـاءوا بـه ليقتلـوه ، قـال لـه أبـو سـفيان بـن حـرب وكـان علـى الشـرك : يـا زيـد أتحـب محمـداً الآن؟ عنـدنا مكانـك تضـرب عنقـه وأنـت في أهلـك ، فـرد عليـه زيـد ﷺ : والله مـا أحـب أن محمـداً الآن

---

(١) مـن روايـة البخـاري مـن حـديث أبي هريـرة، كتـاب المغـازي بـاب (غـزوة الرجيـع ورعـل وذكـوان وبئـر معونـة وحـديث عضـل والقـارة وعاصـم بـن ثابـت وخبيـب بـن عـدي، ج٥/ ٤٠ ،٤١؛ وانظـر: ابـن هشـام، السـيرة النبوية، ج٣/١٠٨؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٩٥.

في مكانـه الـذي فيـه تصـيبه شـوكة تؤذيـه وأنـا جـالس في أهلـي!! فقـال أبـو سـفيان: مـا رأيـت أحـداً مـن النـاس يحـب أحـداً كحـب أصـحاب محمـد محمـداً!![1] كمـا أن موقـف خبيـب بـن عـدي ﷺ عنـدما تسَّـرب إليـه الطفـل وكـان في حجـره ومعـه المـوس واضـحاً في حقـن دمـاء الأبريـاء، حيـث خشـيت الأم علـى طفلـها وارتبكـت وارتعبـت فمـا كـان مـن خبيـب إلا أن بـادر بسـؤالها: أتخشـين أن أقتلـه وأجـاب في الوقـت نفسـه، مـا كنـت لأفعـل ذلـك إن شـاء الله! كـان صـاحب مبـدأ ودعـوة ومـا كـان صـاحب انتقـام ولـذلك فـإن موقفـه هـذا أثـر علـى هـذه الأم، وبقـي في نفسها تحدث الناس به.

كـان هـذا المصـاب الجلـل صـعباً علـى رسـول الله ﷺ وأصـحابه ولكنهـا الـدعوة وهـؤلاء قافلـة مـن شـهدائها ﷺ أجمعين.

بئر معونة:-

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٣/٢٤٨؛ ابـن كثـير، البدايـة والنهايـة، ج٨/٧٦؛ ابـن حجـر، الإصـابة، ج١/٤١٨؛ والـذهبي، سـير أعـلام النبلاء، ج١/٢٤٨؛ وانظر: محمد أبو شبهة، السيرة، ج٢/٢٣٧.

في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة قدم وفد من بني عامر يترأسه أبو براء عامر بن مالك (ملاعب الأسنة)، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام (فلم يسلم ولم يبعد) وطلب براء أن يرسل الرسول الله ﷺ معه بعض القراء من الصحابة لدعوة أهل نجد إلى الإسلام، فخشي ﷺ عليهم ولكن أبا براء قال أنا جارٌ لهم، فأمن ﷺ وكتب كتاباً إلى عامر بن الطفيل، وبعث حرام بن ملحان خال أنس بن مالك رضي الله في سبعين من الأنصار والمهاجرين فيهم عامر بن فهيرة.(١)

فساروا حتى نزلوا بئر معونة ناحية نجد وقابل حرام بن ملحان عامر بن الطفيل وسلمه كتاب رسول الله ﷺ، وقبل أن يقرأه عامر، أوعز إلى أحد رجاله فأنفذ الرمح في ظهر حرام، فأصابه في مقتل فقال حرام: فزت ورب الكعبة! ثم إن عامر بن الطفيل استصرخ بني عامر فرفضوا أن يخفروا جوار أبي براء الذي أجارهم، وهو من قومهم، فاستصرخ عليهم مجاوريهم بني سليم (رُعل وذكوان وعُصية)، فخرجوا معه مسرعين حتى

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان، ج٥/٤٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/١٢٠.

أحاط عامر بن الطفيل ومن معه من فلول القبائل بأصحاب رسول الله ﷺ، فحاصروهم وقتلوهم ولم يسلم منهم إلا رجلان كانا في سرح القوم، هما عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن محمد بن عقبة، ثم قُتل المنذر بن محمد وأُخذ عمر بن أمية أسيراً. فلما علم القوم انه مُضري أطلقه عامر بن الطفيل بعد أن جز ناصيته، فتوجه إلى رسول الله ﷺ في المدينة وفي الطريق لقي رجلين من بني عامر معهما عهد من رسول الله ﷺ فقتلهما، وهو لا يعلم عهدهما ثأراً لأصحاب بئر معونة. فلما قدم على النبي ﷺ أخبره بما جرى للصحابة القراء واخبره بقتل الرجلين فقال ﷺ (لقد قتلت قتيلين لأ دينهم).[1] وأما أبو براء الذي أجار أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شق عليه فعل ابن أخيه عامر بمن أجارهم من أصحاب رسول الله ﷺ فتوجه ابنه ربيعة للانتقام من عامر بن الطفيل الذي خفر ذمة وإجارة أبيه، فطعنه بالرمح ولم يتمكن منه فقتله. وقد دعا الرسول ﷺ على هؤلاء الغادرين شهراً كاملاً ((عن أنس بن مالك ﷺ

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/١٢١؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/١٤٣.

قال: دعا النبي ﷺ على الذين قَتَلوا يعني أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً حين يدعو على رعل ولحيان وعصية عصت الله ورسوله ﷺ))[١] كما دعا على عامر بن الطفيل مباشرة فأصابه الله في غدة فمرض في بيت امرأة من بني سلول، فكره ذلك، وكان يقول: " في غدة كغدة البعير في بيت امرأة سلولية". فركب فرسه وخرج فمات على ظهرها فأكلته السباع والطيور، [٢] وقد روى البخاري أن النبي ﷺ كما نعى القراء قال: (إن أصحابكم قد أصيبوا، وأنهم قد سألوا ربهم فقالوا ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك، ورضيت عنها فأخبرهم عنهم فأنزل الله فيهم قرآناً كان يتلى " بلغوا عنا قومنا إنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ".[٣] وقد حزن الرسول ﷺ حزناً شديداً على الشهداء في بئر معونة كما حزن على شهداء الرجيع، حيث وصلت أخبارهم في يوم واحد. وكان ما حدث مصاباً جللاً، حيث لم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان. ج٤/٤٤.

(٢) انظر : وفد بني عامر من هذا الكتاب.

(٣) من رواية البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة، ج٥/٦٤؛ وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/١٤٠.

يقتل مثل هذا العدد من الصحابة في المعارك، وقد قتل هؤلاء بالغدر وهم من حملة القرآن والدعاة إلى الله في مرحلة مبكرة، وهذه التضحية فداءاً للدين على يد هؤلاء الأعراب الغُدّر تعطينا درساً في مقدار ما بذل أصحاب رسول الله ﷺ في حمل رسالته والدعوة إلى الإسلام .

كما أن موقف حرام بن ملحان حينما طعن كان واضحاً أنه وإن كان القتيل فهو المنتصر وصدق الله ﷻ ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [التوبة]. قد كان ؓ يدرك معنى الشهادة، وكان لقوله فزت ورب الكعبة أثر عظيم في نفوس من حضره، كيف يكون قتيلاً مغدوراً مصاباً وفي الوقت نفسه فائزاً، إنها المعاني العظيمة التي يدركها حرام بن ملحان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ .

غزوة بني النضير ربيع الأول ٤هـ:-

كان بنو النضير من قبائل يهود يقيمون في المدينة المنورة قبل هجرة الرسول ﷺ إليها، وكانوا ضمن من وادع الرسول ﷺ من يهود المدينة وكتب معهم عهداً في

صـحيفة المدينـة يتضـمن الموادعـة والـدفاع عـن المدينـة والتعاون في الديات ضمن بنود أخرى.(١)

وقد خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير في منازلهم أطراف المدينة يطلب مساعدتهم في دية رجلين قتلهما عمرو بن أمية الضمري بعد أن نجا من حادثة بئر معونة، ـ كما مرَّ ذكره ـ وكان ﷺ جالساً تحت أحد جدرانهم، فتآمر يهود بني النضير على قتله بإلقاء الصخور عليه من فوق الجدار، واعتبروها فرصة لهم، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بنيتهم، فلما صعدوا ليلقوا الصخر على رسول الله ﷺ قام ﷺ وكأن له حاجة ولم يخبر من معه من الصحابة، فظنوا أنه سيعود لمجلسه، فلما طال الانتظار قام الصحابة في طلب النبي ﷺ فلما لحقوا به في المدينة، أخبرهم ﷺ بغدر يهود واعتزامهم قتله، فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمه إليهم يخبرهم باطلاع الرسول ﷺ على غدرهم، ويطلب منهم الجلاء من المدينة خلال عشرة أيام وإلا حاق بهم الهلاك وقاتلهم الرسول ﷺ، فأصابهم الذهول وتحيروا وعلموا أن غدرهم قد كشفه الله تعالى،(٢) فبدؤوا الاتصال بالمنافقين في المدينة وعلى رأسهم عبد الله بن أُبي علهم يجدون عندهم حلاً

(١) انظر : وثيقة المدينة من هذا الكتاب.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦٨٢.

ومساعدة، فطمأنهم المنافقون وطلبوا منهم الصبر وعدم الخروج ووعدوهم بالقتال معهم إن احتاجوا إلى ذلك.(١) وفيهم وفي قولهم نزل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحشر].

فلما أحس رسول الله ﷺ بعنادهم واستعدادهم للقتال وما أظهره المنافقون من مناصرتهم أمر ﷺ جنده من أصحابه بالاستعداد، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم وحمل رأيته علي بن أبي طالب رضي الله عنه.(٢) وحاصر بني النضير بضع عشرة ليلة جرى فيها قتال معهم، وبدأ رسول الله ﷺ بإذن من ربه في قطع نخيلهم، ليبئسهم وينزل الحسرة والرعب في قلوبهم، ويدفعهم إلى الاستسلام سريعاً، فقال بنو النضير: محمد ينهى عن الفساد وهاهو يحرق ويقطع نخلنا فجاء قوله

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب "ما قطعتم من لينة "، حديث رقم: ٤٨٨٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٢/ ٥٨

تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾[الحشر].[١] وشدد ﷺ الحصار عليهم وكذبهم المنافقون ولم ينصروهم، فعلم اليهود نتيجة غدرهم، وحزم رسول الله ﷺ معهم وقذف الله في قلوبهم الرعب رغم تحصنهم واستعدادهم، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن يسمح لهم بما تحمله الإبل من أموالهم عدا السلاح،[٢] فاستسلموا على هذا الشرط، وأُعطوا أياما محددة للرحيل.

وفيهم يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر]،[٣] ثم خرجوا في تظاهرة كبيرة متجلدين متصابرين متظاهرين بعدم

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٢٨٣.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج٣/١٩٠.

(٣) كان ابن عباس يسميها سورة بني النضير. صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحشر، حديث رقم: ٤٨٨٢؛ وابن كثير، تفسيره، ج٢/١٨٤٤.

المبالاة فخرجوا ((بالنساء والأبناء والأموال، معهم الدفوف والمزامير، والقيان يعزفن من خلفهم بزهاء وفخر ما رئي قبله من حي من الناس في زمانهم)).[١] وبجلائهم أراح الله المسلمين من شرهم وكف أذاهم وأسلم منهم رجلان فترك لهما رسول الله ﷺ أموالهما،[٢] وقد نزلت في بني النضير سورة الحشر بأكملها[٣] خص أولها بالحديث عن يهود في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ج ١٩٢/٣

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ ﴾ [الحشر]،[1] كما تضمنت بقية السورة ما يرتبط بالفيء وأحكامه، وأصبحت نظاماً مالياً وحكماً شرعياً للتعامل فيه مع ما يُكسب من الأعداء بلا قتال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر].

(١) انظر: تفسير سورة الحشر، عند ابن كثير، في تفسيره، ج٢/١٨٤٤.

وقد تضمنت الآيات الثناء على المهاجرين والأنصار، والتحدث عن فقر المهاجرين وإيثارهم إياهم. وقد قال الرسول ﷺ: ((إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من نبي النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم)). فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ ـ زعماء الأنصار ـ يا رسول الله ﷺ بل تقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا، وقالت الأنصار رضينا وسلمنا يا رسول الله ﷺ فقال ﷺ: ((اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار))،[1] وقسم رسول الله ﷺ الأموال والدور بين المهاجرين وأعطى رجلين من فقراء الأنصار، وكان مُخيريق أحد أثرياء بني النضير قد اسلم قبل أحد وقاتل مع المسلمين، وقال: فإن أصبت فمالي لمحمد يصنع به ما يشاء، فقتل فكان له سبع مزارع أنفقها الرسول ﷺ على المحتاجين من المسلمين.[2] وأثبت الأنصار أنهم أهل لما وصفهم الله به ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ

---

(١) شرح الزرقاني، ج٢ /٨٢؛ وانظر: صالح الشامي، من معين السيرة، ص ٢٨٧؛ ومهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٤١٧.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٣/٣٩٤؛ والواقدي، المغازي، ج٣/٣٧٨.

مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر].

وحينما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه(١) وضع الخراج على الأرض وتدوين الدواوين أثناء خلافته جمع الصحابة رضي الله عنهم من أهل الرأي في المدينة وناقشهم حول قسمة الأراضي بين الفاتحين أو تركها ووضع الخراج عليها، واستفادة عامة المسلمين من وارداتها عن طريق الديوان، وقد استشعر عمر رضي الله عنه أحداث غزوة بني النضير واستشهد بالآيات الواردة فيها وأن لمن يأتي من أجيال المسلمين حق في هذا المال منطلقاً من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر].

وقد أورد أبو يوسف في كتاب" الخراج": (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار الناس في السواد حين افتتح، فرأى عامتهم أن يقسمه، وكان بلال بن رباح من أشدهم في ذلك، ورأى

---

(١) انظر: جزء من الرواية، عند البخاري في صحيحه، عن عمر بن الخطاب، كتاب التفسير، باب قوله: ما أفاء الله على رسوله، ج٦/٥٨

عمر بن الخطاب ﷺ أن يتركه ولا يقسمه، فقال: اللهم اكفني بلالاً وأصحابه. ومكثوا في ذلك يومين أو ثلاثة أو دون ذلك ثم قال عمر ﷺ: إني قد وجدت حجة، قال تعالى في كتابه: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ ﴾ [الحشر]، حتى فرغ من شأن بني النضير، فهذه عامة في الفيء كلها ثم قال: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر]. ثم قال: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ ﴾ [الحشر]، ثم لم يرض وخلط بهم غيرهم فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ [الحشر]. فهذا فيما بلغنا والله أعلم للأنصار خاصة ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر]. فكانت هذه عامة لمن جاء بعدهم، فقد صار هذا الفيء بين هؤلاء جميعا فكيف نقسمه لهؤلاء وندع من تخلف بعدهم بغير قسم، فاجمع على تركه وجمع خراجه، قال أبو يوسف: والذي رأى عمر رضي الله عنه من الامتناع من قسمة الأراضين بين من أفتتحها عند ما عّرفه الله ما كان في كتابه من أن ذلك توفيقاً من الله كان له فيما صنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم، لأن هذا لو لم يكن موقوفاً على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد.(١)

وقد ختمت آيات سورة الحشر بالمنافقين وربطتهم بيهود في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ

---

(١) انظر: أبو يوسف، الخراج، ص ٢٣؛
وأبو يعلي، الأحكام السلطانية، ص١٦٦.

لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحشر].

كما أنها كشفت عن طبائع يهود وجبنهم وأسلوبهم في القتال في قوله تعالى: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحشر].

وما الُجدر التي يبنيها يهود في فلسطين إلا تصديقاً لما ورد في هذه الآيات عن بني النضير خاصة ويهود عامة في كل زمان ومكان.

بدر الآخرة (الموعد) (شعبان ٤هـ):-(١)

كان أبو سفيان في نهاية غزوة أحد قد واعد المسلمين لقتالهم في بدر العام القادم، وكانت بدر سوقاً للعرب لها موسمها في شعبان من كل عام، تقام فيها التجارة والبيع والشراء ويلتقي فيها العرب.

وقد كره أبو سفيان ومن معه من قريش الاستعداد لقتال النبي ﷺ، وكان ﷺ وفياً بالوعد وأبو سفيان

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٠٩.

خائف من اللقاء، ولذلك جعل أبو سفيان جائزة لأحد زعماء غطفان إن ساعده إن استطاع إقناع المسلمين بعدم الخروج للموعد مع قريش إلى بدر.[١]

فخوفهم وذكرهم من جمع قريش الشيء الكثير الذي لا طاقة للمسلمين به، لكن رد الرسول ﷺ والمسلمين معه كان كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران].[٢]

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة متوجهاً إلى بدر، حسب الموعد مع قريش، يرافقه ما يقارب الألف وخمسمائة مقاتل، كانوا في منتهى الشجاعة والاستجابة لأمر الله ورسوله بمعنويات عالية.

أما قريش حيث فشل أبو سفيان في صرف المسلمين عن الخروج وأن يكون مخالفة الموعد من قبل المسلمين،

---

(١) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/١٧٢.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٢٣.

فخــرج أبــو ســفيان ومعــه ألفــا مقاتــل مــن قــريش. وفي الطريــق كــانوا يخــافون لقــاء المســلمين، فقــال لهــم أبــو سـفيان: يـا معشـر قـريش إنـه لا يصـلحكم إلا عـام خصـيب ترعـون فيـه الشـجر وتشـربون فيـه اللـبن فـإن عـامكم هـذا عــام جــدب وإنــي راجــع فــارجعوا ورجعــت قــريش ولم تــفِ بالموعــد.[1] أمــا الرســول ﷺ فقــد وصــل بــدر ووفــى بالموعـد، وبقـي في بـدر ثمانيـة أيـام، التقـي فيـه بزعمـاء بـني ضَـمُرة، وهـم مـن سـكان المنطقـة الـذين وادعـوا رسـول ﷺ واسـتغربوا مـن وجـوده مـع جيشـه، فخيرهـم الرسـول ﷺ إن اختـاروا إلغـاء عهـده معهـم، فقـالوا مـا لنـا بـذلك مـن حاجـة، وقـد بقـي المسـلمون في المنطقـة، وقـاموا بأعمـال تجارية سلمية، وعادوا بعد ذلك ولم يلقوا كيداً.

وكــان لهــذه الغــزوة أثــر كــبير بــين قبائــل العــرب الــذين سمعــوا بخــروج الرســول ﷺ وبقوتــه ومــن معــه مــن المســلمين، كمـا عرفـوا تخـاذل قـريش وانسـحابها وأصـبحت

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٢/٦٩٥؛ وانظـر: محمـد الصـلابي، السـيرة النبويـة، ج٢/٢٨٨؛ ومهـدي رزق الله، السـيرة النبويـة في ضـوء المصـادر الأصلية، ص٤٢٣.

عاراً عليهم، وموضع سخرية الشعراء منهم.[(١)]

غزوة دومة الجندل (**ربيع الأول ٥ هـ**): [(٢)]

دومة الجندل بلدة شمال الجزيرة العربية بالقرب من حدود الشام، مشهورة بحصونها وأسواقها. وهي وسط بين تجارة الشام والحجاز. واشتهرت بقصرها المشهور وزعيمها (أُكيدر).[(٣)] وقد سمع الرسول ﷺ بتجمع قبلي فيها يجيش الناس لتهديد المدينة والمتوجهين إليها.[(٤)]

فخرج ﷺ ومعه ألف مقاتل، وحاول إخفاء تحركه، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون بالنهار،[(٥)] فلما دنوا من دومة الجندل تفرقت جموع الأعداء وهربوا في كل صوب، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم وغنم من

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢١٠ -٢١٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢١٣؛ وقد وضع عنواناً خاصاً لهذه الغزوة.

(٣) انظر: نايف الشراري، دومة الجندل، منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية، دراسة تاريخية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ .

(٤) انظر: نايف الشراري، دومة الجندل، منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية، ،ص٢١٣

(٥) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/١٧٧.

مواشـيهم ، وبـث سـراياه ، وأقـام قرابـة الشـهر في الموضـع ، أظهـر خلالهـا هيبـة المسـلمين ورحمـتهم في الوقـت نفسـه ، كمـا أسـلم بعـض أهـل المنطقـة ،[١] وعقـد معاهـدات مـع بعض زعماء القبائل ومنهم عيينة بن حصن الفزاري.[٢]

وهـذه الغـزوة لهـا أهميتهـا في إظهـار قـوة المسـلمين أمـام الـروم وأتبـاعهم ، حيـث كانـت منـاطقهم أقـرب إلى دومـة الجنـدل مـن المدينـة ، بالإضـافة إلى أن معظـم القبائـل المحيطـة بهـا كانـت ذات صـلة بالشـام عمومـاً ، وكـثير مـنهم مـن نصارى العرب.[٣]

غزوة الأحزاب (الخندق):-[٤]

كان سبب الغزوة أن جماعة من زعماء اليهود في المدينة ذهبوا إلى مكة ، وأخذوا يحرضون قريشًا على غزو الرسول ﷺ في المدينة ، ووعدوا أنهم سوف يساعدون قريشًا حتى يستأصلوا

(١) انظر : محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج٢/٢٥١.

(٢) محمد أبو شهبه، السيرة النبوية، ج٢/٢٥٢.

(٣) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (٢/ ٤٧٨).

(٤) وضـع البخـاري في صـحيحه بابًـا سمـاه: (غـزوة الخنـدق وهـي الأحـزاب) فـتح البـاري، ج ٢٧٤/١٥، وانظـر: ابـن أبي شـيبة، المغـازي، غـزو الخندق، ص ٢٤٦.

محمدًا ﷺ ومن معه، وأفتوهم بأن دين قريش خير من دين محمد ﷺ، وفيهم وفي قولهم نزل قول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١ ﴾ [النساء].(١) فأجابت قريش بزعامة أبي سفيان إلى ذلك.

ثم إن أولئك النفر من اليهود توجهوا إلى غطفان وغيرها من قبائل نجد فدعوهم إلى حرب المسلمين في المدينة وواعدوهم ومنوهم كما فعلوا مع قريش، وتمكن اليهود من تحزيب الأحزاب لحرب الرسول ﷺ ومن معه.(٢)

كان ا ﷺ كعادته يتتبع أخبار أعدائه من قريش وغيرها، وقد جاءته عيونه بالخبر قبل تحرك القوم،

---

(١) الواقدي: المغازي، ج ٢/ ٤٤٢، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢١٥، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٥١٣/٤، وانظر: تخريج ذلك عند رزق الله، السيرة النبوية، ٤٤٥.

(٢) انظر: ابن حجر (فتح الباري)، ج ١٥/ ٢٧٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢١٥، الواقدي، المغازي، ج ٢ / ٤٤٣ ؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج٥١٣/٤.

وبالتـالي جمـع الصـحابة يستشـيرهم فيمـا ينبغـي عملـه لمواجهـة الاعتـداء القـادم، خصوصًـا أن الأعـداء كثـر والمدينة قد لا تتحمل الدفاع ضد تلك القوات.

وكـان أحـد الآراء المطروحـة إشـارة مـن سـلمان الفارسـي رضي الله عنه بحفـر خنـدق حـول المدينـة، يمنـع الفرسـان والراجلـة مـن اقتحامهـا، وفي الوقـت نفسـه يمكـن المسـلمين مـن الـدفاع، خصوصًـا أن الوضـع الجغـرافي للمدينـة كـان مناسـبًا لـذلك. وقـد استحسـن الرسـول ﷺ الفكـرة،[1] وخطـط مكـان الخنـدق المقـترح، وقسـم العمـل فيـه علـى أصـحابه، فكـان نصـيب كـل عشـرة مـنهم أربعـين ذراعًـا، وعمـل الرسـول ﷺ مـع الصـحابة في الحفـر، حيـث كـان يضرب بالفأس ويحمل التراب بيديه الكريمتين.

كـان الـنبي ﷺ ينقـل الـتراب يـوم الخنـدق حتـى أغـبر بطنـه ويردد قول الصحابة:

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٥/٢٧٥،
الواقـدي، المغـازي، ج ٢/ ٤٤٥، الصـالحي الشـامي، سـبل الهـدى والرشـاد، ج٤/ ٥١٤، وانظـر: تخـريج ذلـك عنـد د. أكـرم العمـري، السـيرة الصـحيحة، ص ٤٢٠، د. مهـدي رزق الله، السـيرة النبويـة في ضـوء المصادر الأصلية، ص ٤٤٦.

والله لولا الله ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علـــينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأُلى قد بغوا علـــينا

إذا أرادوا فتــــنة أبينا(١)

وتسلل جماعة من المنافقين فارين من تأدية الواجب الملقى عليهم، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور]، وكان المؤمنون إذا احتاج الرجل منهم إلى حاجة لم ينصرف إليها حتى يأذن له رسول الله ﷺ، فامتدحهم الله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا

(١) انظر : ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٥٧.

ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[النور].[(١)]

وفي أثناء حفر الخندق اعترضت للمسلمين صخرة فقام الرسول ليحطمها، وحين ضربها برقت منها بارقة فكبر وكبر المسلمون معه، ثم ضربها ثانية فبرقت فكبر وكبر المسلمون معه، ثم ضربها ثالثة فبرقت فكبر وكبر المسلمون معه، وقد قال ﷺ إثر الضربة الأولى: ((الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة، ثم ضربها الثانية فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضربها الثالثة وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة)).[(٢)] فاستبشر المسلمون، وبهذا تيقن ﷺ والمؤمنون معه أنهم سيغلبون أولئك الملوك وسيفتحون ديارهم وصدقوا ما وعد الله ورسوله.

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير، ج٢/٢٤٨؛ وله رأي عام في الآية ومخالفة المنافقون لأمر الرسول ﷺ عموماً.

(٢) رواه ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٦١؛ رواه احمد في مسنده ج٤/٣٠٣، وحسنه عدد من العلماء منهم ابن حجر (انظر: د. أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة، ج٢/٤٢٣، ود.مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٤٤٩، هامش٤٢.

أما المنافقون فقد أخذوا يتهكمون بما ذكره الرسول ﷺ من موعود الله: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[الأحزاب].

ووصلت قريش ومعها الأحزاب، وعددهم عشرة الآف مقاتل، وعسكروا حول المدينة، واستغربوا من وجود الخندق، حيث لم يكن للعرب عهد به، وعسكر الرسول ﷺ ومعه قرابة ثلاثة آلاف من المجاهدين، بعد أن جمعوا النساء والذرية في حصون الأنصار.(١)

وكان الوقت عصيبًا جدًا، إذ لم يكن المسلمون يأمنون على أنفسهم ليلاً ولا نهارًا، خصوصًا أن يهود بني قريظة كانوا في ناحية من المدينة(٢)، والمسلمون قد عاهدوهم في الدفاع المشترك عن المدينة، ومع ذلك لا يأمنوا أن يستمر يهود على عهدهم، وبالتالي أحس المسلمون بالخطر يحدق بهم من كل جانب كما وصف الله ذلك بقوله: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢١٩، الواقدي، المغازي، ج ٢/٤٤٣، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤/ ٥٢٤.

(٢) انظر: شوقي أبو خليل الخندق" غزوة الأحزاب، دار الفكر، عن ط١دمشق١٤٠٦هـ، ص١٠٩.

بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾[الأحزاب].(١)

وبدأت قوات الاستطلاع للأحزاب بتحسس الخندق لعلهم يجدون فرجة ينفذون منها، وتمكنت مجموعة من فرسانهم من اختراق الخندق في أحد المواضع، لكن جند الإسلام وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ﷺ تمكنوا من صدهم وقتل بعضهم، فأمر الرسول ﷺ بتسليم قتلى قريش، ولم يرض أن يأخذ مقابلاً لذلك.(٢)

وقد استمر المسلمون ليلاً ونهاراً في حراسة الخندق ومنع القوم من اختراقه، وكان الرسول ﷺ يهتم بنفسه في حراسة المناطق الضعيفة منه. ولذلك حاول الأحزاب أن يجدوا وسيلة أخرى يفسدون بها تحصن المسلمين. وكان مع الأحزاب رجال من يهود وعلى رأسهم حيي بن أخطب، الذي توجه إلى يهود بني قريظة في حصونهم، وبذل جهودًا مختلفة من المكر والحيلة

---

(١) انظر: صحيح البخاري، فتح الباري، ج١٥/٢٨٣؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص٢٥٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ /٢٢٥، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ ٦٨، الواقدي، ج ٢/٤٦٤، ٤٧٤، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٥٣٢، ٥٣٦؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٦٣.

حتى تمكن من إقناع زعيم بني قريضة بنقض العهد الذي بينهم وبين المسلمين. وقد جاءت عيون النبي ﷺ بخبر زيارة حيي بن أخطب لبني قريظة ونقضهم للعهد مع المسلمين، ووعدهم لقريش بالتعاون معهم ضد النبي ﷺ والمؤمنين معه، وحزن الرسول ﷺ لهذا الخبر، وأراد أن يتأكد منه بنفسه، وفي الوقت نفسه حرص على أن لا يعلم به أحد من المسلمين حتى لا يفت في عضدهم ويؤثر على قواهم المعنوية، ولذلك بعث الرسول ﷺ أربعة من الأنصار ممن لهم علاقة وحلف مع بني قريظة منهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة سيدا الأوس والخزرج، وأمرهم بزيارة بني قريظة في حصونهم والتأكد من الخبر، وأن يكتموا الأمر عن الناس إن كان القوم قد غدروا، وأن يلحنوا للرسول ﷺ لحنًا يعرف منه الموقف، فخرج القوم إلى بني قريظة، والتقوا بهم، وبحثوا الأمر معهم، فأغلظ اليهود في سب النبي ﷺ وسب أصحابه وقالوا: من رسول الله لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فنصحهم سعد بن معاذ وخوفهم من نتائج الخيانة - وكان حليفًا لهم- ، فردوا عليه بفحش وبذاءة، وعاد الوفد إلى الرسول ﷺ فقالوا له: عضل والقارة، يعني ان اليهود قد غدروا كغدر عضل والقارة،[1] وهما

(١) انظر: ابن حجر، (فتح الباري)، ج١٥/ ٥٨٤، ابن هشام، السيرة

القبيلتان اللتان غدرتا بأصحاب الرجيع[١]، واشتد البلاء على المسلمين، وتعاون اليهود والمشركون والمنافقون في إيصال خبر غدر اليهود، وبرز النفاق وأهله على أشده ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب]، واشتد البلاء على المسلمين، حيث قويت شوكة الأحزاب بانضمام بني قريظة إليهم، وحاول بعض اليهود الاعتداء على نساء المسلمين في الحصون، فدافعن عن أنفسهن دفاع الشجاعات وعلى رأسهن صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ.[٢]

وفي هذه الظروف العصيبة جاء إلى النبي ﷺ نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه ــ من غطفان ــ، وكان قد قدم مع الأحزاب فالتقى برسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إني قد أسلمت ولم يعلم قومي فمرني بما شئت، فأراد

النبوية، ج٣/٢٢١؛ الواقدي، المغازي، ج ٢/٤٥٨، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٥٢٨.

(١) انظر: حادثة الرجيع من هذا الكتاب.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٢٢٨، الواقدي، المغازي، ج٢/٤٦٠،٤٦٢، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/ ٥٢٨ -٥٢٩.

الرسول ﷺ أن يستفيد من هذا المجاهد المجهول إلى أقصى حد ممكن، فقال له: إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن "الحرب خدعه"، [(١)] فخرج نعيم بن مسعود رضي الله عنه وقد تلقى توجيهات النبي ﷺ حتى أتى بني قريظة، وكان على معرفة بهم منذ أيام الجاهلية فقال لهم: قد عرفتم ودي إياكم، فقالوا لست عندنا بمتهم، قال: لقد ظاهرتم قريشًا وغطفان على حرب محمد، وليسوا مثلكم، البلد بلدكم، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، ولا تقدرون على أن تتحولوا منه، وإن قريشًا وغطفان إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها، وإن رأوا غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد، ولا طاقة لكم به. ثم واصل حديثه معهم: وأرى أن لا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم ثقة لكم حتى تناجزوا محمدًا ولا يتركوكم وحدكم.

ثم إن نعيمًا نفسه أتى قريشًا فقال لزعيمها أبي سفيان بن حرب ومن معه: قد عرفتم ودي إياكم

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/ ٢٢٨، الواقدي، المغازي، ج٢/٤٦٠،٤٦٢، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/ ٥٢٨ - ٥٢٩.

وفراقـي محمـدًا، وقـد بلغـني أن قريظـة نـدموا علـى فعلـهم مـع محمـد، وقـد أرسـلوا إلى محمـد وقـالوا لـه: هـل يرضـيك عنـا أن نأخـذ لـك مـن قـريش وغطفـان رجـالاً مـن أشـرافهم فنعطـيكهم فتضـرب أعنـاقهم، ثـم نكـون معـك علـى مـن بقي منهم؟ فأجابهم: نعم.

ثـم واصـل نعـيم حديثـه متظـاهرًا بتحـذير قـريش قـائلاً لهـم: فـإن طلبـت مـنكم قريظـة رهنًـا فـلا تعطـوهم رجـلاً واحـدًا، ثـم خـرج إلى غطفـان وقـال لهـم مثـل مـا قـال لقـريش وحـذرهم مـن بـني قريظـة.[1] وكانـت غطفـان وقريظـة وقـريش قـد اتعـدوا مـن الغـد أن يبـدؤوا القتـال، وكـان ذلـك يـوم سـبت، فأرسـلت قـريش إلى بـني قريظـة ليشـاركوهم القتـال في ذلـك اليـوم فقـالوا: إن اليـوم يـوم سـبت ولسـنا نقاتـل معكـم حتـى تعطونـا رهنًـا فإنـا نخشـى أن ترجعـوا إلى بلادكـم وتتركونـا والرجـل، يقصـدون الـنبي ﷺ، فقالـت قـريش وغطفـان: والله لقـد صـدقكم نعـيم بـن مسـعود، والله لا نـدفع لكـم رجـلاً واحـدًا. وقالـت

---

(١) عند ابن أبي شيبة في المغازي، ص ٢٥٦؛ أن الرسول ﷺ سرب خبراً لمسعود بأن قريظة سيطلبون من أبي سفيان رهائن ليسلموهم للنبي ﷺ، فبادر ونقل الخبر لقريش فأوقع القطيعة بين الطرفين.

قريظة لقد صدقكم نعيم بن مسعود، وفشل اتفاق القوم وساء ظن بعضهم ببعض.(١)

فجاءهم المساء ولم يعملوا شيئًا مع المسلمين. وفي الليل أرسل الله على الأحزاب ريحًا شديدة وبردًا، فجعلت تطرح خيامهم وتكفأ قدورهم، وهى التي قال الله عنها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾ [الأحزاب]. فاضطرب معسكر المشركين وسمع فيهم ضجيج.(٢)

فبعث النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليستطلع له أخبار القوم، وقد أمره أن لا يحدث شيئًا وأن لا يقوم بأي عمل غير الاستطلاع حتى لو أتته الفرص، فذهب حذيفة ودخل معسكر قريش، وجلس مع جمع منهم ملتفين بعبيهم حول النار، واندس بينهم دون أن يعرفه

---

(١) انظر: تفاصيل القصة في: ابن هشام السيرة النبوية، ج٣/٢٢٩، ٢٣١، الواقدي، المغازي، ج٢/ ٤٨٠، ابن سعد، الطبقات، ج ٢/ ٦٩، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/ ٥٤١ ـ ٥٤٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٢٣١ ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٦٩؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٥٤٥.

أحد، والبرد شديد والريح تعبث بهم، وكان أبو سفيان في القوم وهو حريص على عدم وجود عيون النبي ﷺ بينهم، فقال للقوم قبل أن يبدأ الحديث ليتعرف كل منكم على جليسه، فما كان من حذيفة إلا أن بادر بسؤال جليسه الذي عن يمينه: من أنت؟ ثم التفت إلى الرجل الذي يجلس عن يساره وسأله من أنت؟ . وبذلك تجاوزه السؤال ولم ينتبه له القوم، وقد تحدث أبو سفيان في القوم وقال: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا قريظة ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما يقر لنا قدر ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا إني مرتحل، ثم ركب أبو سفيان جمله يريد الرحيل، فاستوقفه القوم ليرحلوا معه، فانسحبت قريش وأبقت بعض الفرسان لتحمي انسحابها، ثم تبعها بقية قبائل الأحزاب.

وجاء حذيفة رضي الله عنه ليبشر رسول الله ﷺ بانسحاب القوم، بعد أن حاصروا المدينة قرابة خمس وعشرين ليلة.[1]

(١) انظر: قصة حذيفة في فتح الباري، ج ١٥/ ٢٨٤، ابن هشام السيرة

وحين خلت المدينة من الأحزاب قال ﷺ لأصحابه: " الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم".[(١)] فكان المستقبل كما قال ﷺ، بعد ذلك سمح ﷺ بعودة المجاهدين المرابطين حول الخندق إلى بيوتهم وصدق الله القائل: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب]. وقد فقد المسلمون ستة شهداء،[(٢)] كما قتل من المشركين ثلاثة نفر.[(٣)] وقد نزلت حول أحداث هذه الغزوة سورة الأحزاب التي سميت بها وكان مما ورد فيها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾

النبوية، ج٣/ ٢٣١ - ٢٣٣؛ الواقدي، المغازي، ج٢/٤٨٨ - ٤٨٩؛ ابن سعد، الطبقات، ج٢/٦٩، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٥٤٦ ـ ٥٤٩.

(١) البخاري، فتح الباري، ج ١٥/٢٩٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٥٢؛ الواقدي، المغازي، ج٢/٤٩٥، وانظر: ابن سعد،الطبقات الكبرى، ج٢/٧٠؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/ ٥٥٠.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٥٣، الواقدي، المغازي، ج٢/ ٤٩٦، الصالحي الشامي، ج ٤/٥٥١.

هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ
ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا
﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ
وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ
إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ
ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ
عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا
﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا
تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ
سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا
﴿١٧﴾ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا
يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ
يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا
ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ
لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾
يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم
بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ
فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ
حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾

وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم
مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ
وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب].

ويقول الله تعالى في موضع آخر من السورة: ﴿ يَحْسَبُونَ
ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ
فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا
قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا
ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن
يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ
وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا

رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب].[١]

ومع رحيل الأحزاب فإن جولة المعركة لم تنته بعد، فما أن رجع الرسول ﷺ إلى بيته ووضع سلاحه حتى أتاه جبريل عليه السلام فقال له: ((قد وضعت سلاحك! والله ما وضعناه، فاخرج إليهم، قال ﷺ: فإلى أين؟ قال هاهنا وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي ﷺ إليهم)).[٢] فعلم رسول الله ﷺ أن قتال الخونة من يهود بني قريظة هو أمر من الله سبحانه وتعالى، فدفع لواءه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه،[٣] وأمر بالنداء في المسلمين أن "لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة"،[٤] ثم خرج ﷺ بنفسه للحاق بأصحابه، وعسكر الرسول ﷺ ومعه أصحابه حول حصون بني قريظة، وبدأ حصارهم الذي استمر بضع عشرة

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول الآيات المرتبطة بغزوة الأحزاب انظر: الفنسيان. سعود بن عبدالله، غزوة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم، ط١ دار اشبيليا، الرياض ١٤١٨هـ.

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري)، ج١٥/٢٩٣؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٦٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٢٣٤ ؛ الواقدي، المغازي، ج٢/ ٤٩٩، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥/١٠.

(٤) البخاري (فتح الباري)، ج١٥/٢٩٤.

ليلة، أنزل الله فيها الرعب في قلوب اليهود، وزلزلهم الله، واشتد عليهم الخوف، حتى أصبحوا يطلبون بعض حلفائهم من الأوس، ولكنهم كانوا أعلم الناس بغدرهم ومكرهم برسول الله ﷺ، وما يستحقونه من العقوبة، حتى أنهم في أثناء الحصار كانوا ينالون منه ﷺ.[١]

ولما اشتد الحصار على يهود بني قريظة وأيقنوا أنه لا مفر من وقوعهم في يد الرسول ومن معه من المؤمنين، وزلزل الله قلوبهم، أعلنوا استسلامهم على حكم رسول الله ﷺ، فجاء الأوس إلى رسول ﷺ يشفعون فيهم، (فرد الحكم إلى سعد بن معاذ فقال: إني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى الذرية)،[٢] فقال ﷺ: "قضيت بحكم الله"،[٣] وكان سعد قد اتصل بهم أثناء حصار الخندق، ومن الذين اطلعوا على غدر اليهود، حيث بعثه الرسول ﷺ مع الوفد الذي ناقشهم، فأخذ سعد العهد على الجميع بأن يقبلوا حكمه فقبلوه، ثم أعلن

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٢٣٤؛ الواقدي، المغازي، ج٢/٤٩٩، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥/١٢.

(٢) البخاري، (فتح الباري)، ج١٥/ ٣٠٠؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٦٦.

(٣) البخاري، (فتح الباري)، ج١٥/ ٢٩٨.

الحكم الصارم في حق يهود بني قريضة ناقضي العهد وخائني الرسول ﷺ والمؤمنين وخائني موطنهم، وهو أن تقتل مقاتلتهم وأن تسبى نساؤهم وذراريهم وأن تقسم أموالهم، ونفذ الحكم فيهم، وهم أعلم الناس باستحقاقهم لتلك العقوبة، وسلم من هذا الحكم أحد زعماء بني قريظة، وكان قد عاب على قومه نقضهم للعهد مع الرسول ﷺ وقال: إني لم أشرككم في غدركم، وشاركه في البراءة من خيانة بني قريضة رجال آخرون ، وكان ما يزال على يهوديته، إلا أن رفضه لنقض العهد نجاه وأمثاله من العقوبة.[1]

وكانت غزوة الأحزاب وبني قريظة نصرًا للمؤمنين هزم الله فيها الأحزاب لم ينالوا من المسلمين، وأظهر الله اليهود على حقيقتهم، وطهر المدينة من بني قريظة وغنم المسلمين أموالهم ومزارعهم. وقد نزلت في بني قريظة آيات منها قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الأحزاب].

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/ ٢٣٨؛ الواقدي المغازي، ج٢/ ٥٠٣.

غزوة بني المصطلق (المريسيع): - (شعبان سنة ٦هـ):

سميت الغزوة باسم قبيلة بني المصطلق، وهم بطن من خزاعة القحطانية، كما سميت بالمريسيع[(١)] نسبة إلى المكان والماء الذي قصدته الغزوة وهو مواطن بني المصطلق بين مكة والمدينة، بالقرب من عُسفان وقديد وما حولها.

كانت القبيلة في المنطقة الفاصلة بين قريش في مكة، وكانت تهاب قريشاً ولها صلة قوية بهم، ولم يتضح موقفهم من الإسلام في البداية، مع تحالف بقية خزاعة مع الرسول ﷺ إلا أن بني المصطلق خالفوا قومهم، حيث اتضح تقديمهم الدعم لقريش قبيل غزوة أحد،[(٢)] كما أنهم أخذوا يعدون جموعاً لغزو المدينة، وكان ﷺ

(١)وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باباً سماه " باب غزوة بني المصطلق من خزاعة وهي عزوة المريسيع".
للمزيد من التفاصيل انظر: إبراهيم بن إبراهيم قريبي مرويات غزوة بني المصطلق، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بدون تاريخ ؛ وعبدالحليم بن إبراهيم العبداللطيف، حديث الأفك، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤١٠هـ.

(٢) البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة الذاتية، ص ٢٩٠.

يـراقبهم ويتـابع تحركـاتهم،[(١)] وعنـدما تأكـد مـن نيـتهم غـزو المدينـة أعـد ﷺ جيشـاً قوامـه سـبعمائة مقاتـل، واسـتخلف علـى المدينـة أبـا ذر الغفـاري ﷺ، وخـرج إلى بـني المصـطلق في شـعبان مـن السـنة السادسـة للـهجرة،[(٢)] وكـان قـوام الجـيش المهـاجرون الـذين يحمـل رايـتهم أبـو بكـر الصـديق ﷺ وكـذلك الأنصـار الـذين يحمـل رايـتهم سعد بن عبادة ﷺ.

وقـد وصـل الرسـول ﷺ إلى مكـان تجمعهـم ((وأمـر عمـر بـن الخطـاب ﷺ فنـادى في النـاس أن قولـوا لا إلـه إلا الله تمنعـوا بهـا أنفسـكم وأمـوالكم فترامـوا بالنبـل، ثـم أمـر رسـول الله ﷺ المسـلمين فحملـوا حملـة رجـل واحـد))، [(٣)] ((فتزاحـف النـاس واقتتلـوا فهـزم الله بـني المصـطلق وقتـل مـن قتـل مـنهم))، وأصـاب المسـلمون مـنهم سـبياً كـثيراً، فيهم جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.[(٤)]

---

(١) انظـر: ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٣/٢٩٠؛ ابـن كثـير، السـيرة النبويـة، ج٣/٢٩٧.

(٢) المصدر السابق، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٦٣.

(٣) الواقدي، المغازي، ج١/٢٠٠؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٢٩٨.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٩١.

وقــد ظهــرت بســالة عــدد مــن الصــحابة ﷺ في هــذه المعركـة، مـنهم علـي بـن أبـي طالـب وعبـد الـرحمن بـن عوف - رضي الله عنهما- وغيرهم.(١)

وقــد أدب الرســول ﷺ بهــذا الهجــوم هــذا الــبطن مــن خزاعــة، وهــم الــذين ســاعدوا قريشــاً وأرادوا الهجــوم على المدينة .

كــان مــوطن خزاعــة بــين مكــة والمدينــة، وكونهــا جــزءاً مخالفــاً ومعاديــاً مــن خزاعــة في وقــت كانــت بقيــة بطونهــا محالفــه للرســول ﷺ جعــل الجميــع يــدرك حــزم الرســول ﷺ في ضرب أعدائه، فكانت هذه الغزوة تأكيدا لهذا الأمر.

حديث الإفك:-

كانت حادثة الإفك من أهم أحداث غزوة بني المصطلق.(٢) هذه الحادثة التي مست عرض رسول الله ﷺ أطهر عرض وأحب نسائه إليه وللأمة جمعاء، ولعل الحديث عن الحادثة من

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٩٤.

(٢) وضــع البخــاري في صــحيحه في كتــاب المغــازي، بــاب حــديث الإفــك، ج٥/٥٥؛ وانظــر: تفصــيل الروايــات عنــد ابــن كثــير، في الســيرة النبويــة، ج٣/٣٠٤؛ تحت عنوان " قصد الإفك".

صاحبتها وهي عائشة (رضي الله عنها) أصح الروايات في تفاصيل دقيقة. وهو حديث يعد من أطول الأحاديث، في صحيح البخاري وأكثرها تفصيلاً ودقة برواية ابن أختها عروة بن الزبير ﷺ. وقد حرَصتُ على نقله بكامله: (حديث الإفك والإفك بمنزلة النجس والنجس يقال إِفكهم وَافكُهُم فمن قال أَفكهُم يقول صرفهم عن الإيمان وكذبهم، كما قال يؤفك عنه من أُفك يصرف عنه من صُرف، عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض واثبت له اقتصاصاً،وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدق بعضا، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، قالوا قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً اقرع بين أزواجه، فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أُنزل الحجاب، فكنت أُحمل في هودجي وأُنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، دنونا

من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل، فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه. قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون إني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه. وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش

موغرين في نحر الظهيرة، وهم نزول. قالت: فهلك في من هلك، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أُبى ابن سلول. قال عروة: أخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده، فيقره ويستمعه ويستوشيه. وقال عروة أيضا: لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش في ناس آخرين، لا علم لي بهم، غير أنهم عصبة ـ كما قال الله تعالى ـ وإن كِبّر ذلك يقال عبد الله بن أُبى بن سلول.

قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان، وتقول إنه الذي قال:

فان أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكي، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: "كيف تيكم" ثم ينصرف، فذلك يريبني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت حين نقهت،

فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع،[١] وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنف قريباً من بيوتنا. قالت وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي، حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقلت لها بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً فقالت: أي هنتاه ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: ما قال فأخبرتني بقول أهل الإفك ـ قالت ـ فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليٍّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: "كيف تيكم". فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي، قالت: وأريد أن استيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله أو

---

(١) المناصع: هي مواضع يُبرز إليها للبول والغائط، وعرفت كمتبرز للنساء في المدينة. انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٥/٥٣٥.

قد تحدث الناس بهذا، قالت:فبكيت تلك الليلة، حتى أصبحت لا يرقا لي دمع، ولا اكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: اهلك ولا نعلم إلا خيرا. وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك. قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: "أى بريرة هل رأيت من شيء يريبك". قالت له بريرة:والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتاتي الداجن فتأكله قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أُبى وهو على المنبر فقال" يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي". قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم

حسان بنت عمه من فخذه، وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج قالت: وكان قبل ذلك رجلا صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حُضير - وهو ابن عم سعد- فقام لسعد بن عبادة فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فانك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت: فبكيت يومي ذلك كله، لا يرقأ لي دمع، ولا اكتحل بنوم قالت: وأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً، لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينا أبواي جالسان عندي وأنا ابكي، فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا، فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: "أما بعد، يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فان كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا

اعترف ثم تاب تاب الله عليه". قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي اجب رسول الله ﷺ عني فيما قال. فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لامي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال. قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت وأنا جاريه حديثة السن لا اقرأ من القران كثيراً: إني والله قد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: "فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون". ثم تحولت واضطجعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى أنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات، من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة

تكلم بها أن قال: "يا عائشة أما الله فقد برأك". قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه. فقلت والله لا أقوم إليه، فاني لا أحمد إلا الله عز وجل قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ ﴾ [سورة النور، من الآية: ١١]. العشر الآيات، ثم أنزل الله هذا في براءتي. قال أبو بكر الصديق :وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا انفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال. فانزل الله: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ ﴾ [سورة النور، من الآية: ٢٢] إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾، قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي .

فرّجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبدا. قالت: عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال لزينب ماذا علمت أو رأيت . فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً. قالت عائشة وهى التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ. فعصمها الله بالورع قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك. قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط. ثم قال: عروة قالت عائشة:

والله أن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فو الذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط. قالت ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله).[(١)]

ولعل هذه الرواية من صاحبة الشأن بطرقها المتعددة أبلغ ما يقال عن هذه الحادثة.

وقد نزلت في الحادثة آيات تتلى إلى يوم القيامة فيها دروس عظيمة للأمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟

---

(١) صحيح البخاري، باب حديث الإفك، ج٥/٥٥ ـ ٥٦٠؛ وقارن بابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٩٧. ٣٠٧؛ .

لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا
تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ
ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النور].

لقد كان واضحاً أن الأمة كلها مستهدفة في أخلاقها، فإذا أتهم رسول الله ﷺ، وأهله في أخلاقهم وأعراضهم فإن بيوت الأمة كلها لا تسلم، ولذلك صرح القرآن الكريم بأن هذا العمل كان من أهدافهم قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور].

وحذر من الذين يجرون الناس إلى خطوات الشيطان وقد نهاهم

الله عن ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور]. ولا شك أن رسول الله ﷺ سيد الطيبين وأمهات المؤمنين أطيب الطيبات: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النور]. وهو أطيب الطيبين صلوات الله وسلامه عليه، واختار الله له أطيب النساء ومنهن عائشة التي امتدحها حسان بن ثابت رضي الله عنه بقوله:

حصان رزان ما تزنّ بـــريبة

وتصبح غرثى من لحوم الغوافل(١)

عقيلة حي من لؤي بن غالب

كرام المساعي مجدهم غـير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمـــها

---

(١) مـن روايـة للبخـاري في صـحيحه، ج٥/٦١؛ وابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٣/٣٠٦.

وطهرها من كل سوءٍ وباطـــل

ومن قوله:

فإنّ أبي ووالدتي وعرضي

لعرض محمد منكم وقاء(١)

وبكـل أسـف يـأتي بعـض الأدعيـاء ليقولـوا كلامـاً خبيثـاً عـن الطيبـة عائشـة رضـي الله عنهـا زوجـة أطيـب الطيـبين أبي الطيب ﷺ، وصاحبه والداعي إليه.

وسبحان الله يرد التأكيد في نفس السورة على غض البصر من قبل الرجال والنساء لمتابعة الدروس في العفة لأمة الطهارة أمة محمد ﷺ اقتداء به وبأزواجه أمهات المؤمنين ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي

(١) انظـر: شـعر حسـان بـن ثابـت في تبرئـه عائشـة والـدفاع عنهـا؛ ابـن هشـام، السيرة النبوية، ج٣/٣٠٦.

أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور].

ومن الواضح أن الصديق ﷺ كان مستهدفاً مع رسول الله ﷺ في الإفك الذي جرى على أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، كما أنه تضرر من أناس تحدثوا في الموضوع في وقت كان ﷺ يحسن إليهم ويتصدق وينفق عليهم من ماله الخاص، ولذلك حزن لفعلهم ذلك ونكرانهم للجميل فأراد أن يوقف نفقته على مسطح بن أثاثه وهو ابن خالة أبي بكر الصديق ﷺ، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور]، قال الصديق ﷺ: بلى والله إنا نحب أن يغفر الله لنا وأرجع ما كان ينفق على مسطح وقال والله لا أنزعها منه أبداً [١]

وكان من أبرز أحداث غزوة بني المصطلق ما جرى

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١٣٢٢/٢.

مـن المنـافقين خصوصـاً عبـد الله بـن أُبـي بـن سـلول، ومـن علـى شـاكلته في زمـن الـنبي ﷺ. ولا شـك أن لهـم أتباعـاً في كـل زمـان، ينطبـق علـيهم مـانزل مـن آيـات قرآنيـة في أولئك المنافقين.

فقـد أقتتـل عنـد المـاء رجـلان، أحـدهما مـن غفـار أجـير لعمـر بـن الخطـاب ﷺ، والآخـر حليـف لأحـد الأنصـار، فصـرخ أجـير عمـر يـا معشـر المهـاجرين: وصـرخ حليـف الأنصـاري: يـا للأنصـار، وكـاد الشـر أن يقـع بـين المسـلمين. فلمـا سمـع رسـول الله ﷺ بـذلك قـال: ((أبـدعوى الجاهليـة وأنـا بـين أظهـركم دعوهـا فإنهـا منتنة)).[1]

وكـان عبـد الله بـن أُبـي بـين أنـاس مـن الأنصـار ومعهـم زيـد بـن أرقـم ﷺ صـحابي صـغير في السـن، يسـتمع لمـا يجـرى فقـال أبـن أُبـي مسـتثيراً القـوم: أوقـد فعلوهـا؟ قـد نافرونـا وكاثرونـا في بلادنـا، والله مـا عـدنا وجلابيـب قـريش إلا كمـا قـال الأول (سمـن كلبـك يأكلـك) أمـا والله

(١) رواه البخـاري في صـحيحه، كتـاب التفسـير، بـاب يقولـون لأن رجعنـا إلى المدينة، حديث رقم: ٤٩٠٧.

لـئن رجعنـا إلى المدينـة ليخـرجن الأعـز منهـا الأذل، ثـم أقبـل يلـوم مـن حولـه مـن الأنصـار قـائلاً: أمـا والله لـو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير دياركم.

ثـم ذهـب زيـد بـن أرقـم ﷺ وهـو غـلام حـدث، فـأخبر رسـول الله ﷺ بمـا قـال عبـد الله بـن أُبـي وكـان عمـر بـن الخطـاب حاضـراً فقـال: يـا رسـول الله ﷺ مُـرْ بـه فأقتلـه، فقـال ﷺ: ((فكيـف يـا عمـر إذا تحـدث النـاس أن محمـداً يقتل أصحابه؟!)).(١)

وجـاء عبـد الله بـن أُبـي يحلـف أنـه مـا قـال ذلـك وينفـي مـا نقلـه زيـد بـن أرقـم، حتـى شـك بعـض مـن لم يحضـر أن عبـد الله بـن أُبـي صـادق، ولامـوا زيـد بـن أرقـم وهـو غـلام حـدث. وأمـر رسـول الله ﷺ بالرحيـل في سـاعة مـا كـان يرحـل فيهـا، فجـاء أسـيد بـن حُضـير ﷺ مستفسـراً مـن رسـول الله ﷺ عـن سـبب رحيلـه في هـذه السـاعة الـتي مـا كـان يرحـل فيهـا فقـال ﷺ: ((أو مـا بلغـك مـا قـال صـاحبك؟ قـال: وأي صـاحب: قـال عبـد الله بـن أُبـي؟

(١) رواه البخـاري في صـحيحه، كتـاب التفسـير، بـاب يقولـون لأن رجعنـا إلى المدينة، حديث رقم: ٤٩٠٧؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٢٩١.

قال: وما قال؟ قال ﷺ: زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)) قال ﷺ: فأنت والله العزيز وهو الذليل، لنخرجنه منها إن شئت، وسار رسول الله ﷺ يومه وواصل ليله وصدر اليوم التالي حتى أرهق الناس فلما وضعوا رحالهم ناموا من شدة التعب، ولم يكن هناك مجال للمناقشة والحديث حول ما دار إذ شُغل الناس حتى تعبوا وأرهقوا.(١)

وفي هذه الأثناء نزلت سورة المنافقين على رسول الله ﷺ، وكان فيها تصديق لما قاله زيد بن أرقم،(٢) وهو غلام حدث فأخذ رسول الله ﷺ بإذنه مداعباً فقال: ((هذا الذي أوفى الله بأذُنه))(٣) وكان من الآيات التي تنزلت في عبد الله بن أُبي وفي قوله والمنافقين معه قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ

(١) أنظر: ابن أبي شيبة، المغازي ص ٢٦٩

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن، ج٢/١٨٧٦.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٩٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج١/٥٦٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/١٦٥.

ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [المنافقون].

وكان لعبد الله بن أُبي ولد صالح يسمي عبد الله، من أصحاب النبي ﷺ، فلما علم بما حدث من والده جاء إلى النبي ﷺ قائلاً: إنه بلغني أنك تريد قتل أبي، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال ﷺ: ((بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)).(١)

وهذا الحدث يبيّن خطر المنافقين واستغلالهم للأسباب، لإيجاد الفتنة والشقاق بين المسلمين، وتقويض حقوقهم وإضعاف وحدتهم، واستغلال العصبية لذلك، كما أن في تهديد ابن أُبي للرسول ﷺ ومن معه بالإخراج من المدينة أمر واضح بتحين الفرصة للإضرار بالمسلمين وبنبي الله ﷺ، كما أن في تراجعه عما قال وإنكاره له بيان ضعف المنافقين، وقد فضحه

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٩٢.

الله في قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

وفي موقف ابنه عبد الله صدق ووفاء واستعداد للتضحية بكل شيء من أجل النبي ﷺ، حتى ولو كان والده، وهو من أبر الناس به، وفي جواب الرسول ﷺ وتطييبه لخاطر الابن المؤمن حكمة وعطف وحسن تعامل في مثل هذا الموقف الصعب، كما أن الرسول ﷺ أشغل الجيش بالتحرك وأتعبهم في الاستمرار في ذلك مما أرهقهم ليمنع عنهم الجدال والانقسام، فما أعظم القائد ﷺ وأحكمه في مثل هذه المواقف التي تحتاج إلى وقفات وحكمة.

ومن نتائج غزوة بني المصطلق زواج النبي ﷺ بجويرية بنت الحارث، فقد كانت ابنة الحارث بن أبي ضرار سيد قومها، وقد قتل والدها وزوجها في صفوف بني المصطلق أثناء قتالهم للنبي ﷺ، كما سبيت النساء والذرية من قومها، وقد وقعت هي نفسها في سهم ثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري ﵁، فكاتبته على عتق نفسها، وكانت تعلم رحمة النبي ﷺ وإحسانه على الناس، فجاءت إليه وقالت: (يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من

البلاء ما لم يخف عليك، ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي، فرق رسول الله ﷺ لحالها وعرض عليها أن يؤدى عنها ويتزوجها ليرفع شانها ويعوضها خيراً مما فقدته من العز والشرف)، [1] ففعل رسول الله ﷺ ذلك وتزوجها، فكان بالفعل شرفاً لقومها وإنهاءً لمعاناتهم، فما أن تزوجها حتى أطلق المسلمون من بأيديهم من سبي بني المصطلق، وقالوا أصهار رسول الله ﷺ، فكانت امرأة مباركة على قومها، تقول عائشة رضي الله عنها: ((أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم منها بركة على قومها)).[2] وقد تعلمت من رسول الله ﷺ فكانت صاحبة عبادة كثيرة الصيام، وقد روي عنها عدة أحاديث، وكانت وفاتها سنة خمسين من الهجرة.[3]

---

(١) إبراهيم قريبي، مرويات غزوة بني المصطلق، ص ٣٥١.
وانظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٦٥
(٢) ابن حجر، الإصابة ج٤/ ٢٦٥.
(٣) ابن حجر، الإصابة ج٤/٢٦٦؛
وانظر ترجمتها: في المعايشون للرسول ﷺ من هذا الكتاب.

ومـن المؤكـد أن زواج الـنبي ﷺ منهـا كـان فيـه حسـن صـلة مـع بـني المصـطلق، ذلـك الـبطن مـن خزاعـة الـذي حـارب رسـول الله ﷺ في وقـت كانـت فيـه بقيـة خزاعـة مـن حلفـاء الرسـول ﷺ، فسـاهم هـذا الـزواج في تقـريبهم للمسـلمين وتعـاونهم معهـم ضـد قـريش في حربهـا مـع الرسول ﷺ.

غزوة الحديبية (شوال ٦ هـ):-[١]

أعلـن الرسـول ﷺ عزمـه علـى العمـرة والتوجـه إلى مكـة لأدائهـا بشـكل سـلمي، ودعـا النـاس لـذلك وخـرج بالمهـاجرين والأنصـار وبعـض مـن انضـم إلـيهم ممـن لبـوا دعـوة الـنبي ﷺ حتـى تجـاوز عـددهم ألـف وأربعمائـة رجـل.[٢] وفي ذي الحليفـة أحـرم الرسـول ﷺ بـالعمرة وقلـد الهـدي،[٣]

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٠٨؛
والحديبية: قرية على بعد ٢٢ كيلو غرب مكة على طريق جدة القديم؛ البلادي، معجم المعالم الجغرافية للسيرة النبوية، ص ٩٤.
وانظر تفصيلات أكثر عند: الحكمي، حفاظ بن محمد بن عبدالله، مرويات غزوة الحديبية، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.
(٢) صحيح البخاري، حديث البراء بن عازب، ج٥/٦٤.
(٣) صحيح البخاري، باب غزوة الحديبية، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ

لـتعلم قـريش أنـه خـرج زائـراً معتمـراً معظمـاً للحـرم غـير محارب لأهله.

ورواية ابن أبي شيبة في المغازي عن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام من أكثر الروايات تفصيلاً حول أحداث هذه الغزوة، وقد ورد فيها: (خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية، وكانت الحديبية في شوال، قال: فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بُعسفان لقيه رجل من بني كعب، فقال: يا رسول الله إنا تركنا قريشاً وقد جمعت احابيشها تطعمها الخزير،[١] يريدون أن يصدوك عن البيت، فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا تبرز من عُسفان لقيهم خالد بن الوليد طليعة لقريش، فاستقبلهم على الطريق فقال رسول الله ﷺ: هلم هاهنا، فأخذ بين سروعتين ـ يعني شجرتين ـ فمال عن سنن الطريق حتى نزل الغميم،[٢] فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإن قريشاً قد جمعت لكم أحابيشها تطعمها الخزير، يريدون أن يصدونا عن البيت فأشيروا عليّ بما ترون،

عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ الآية ج ٥ / ٦١

(١) الخزير: حساء الدقيق باللحم والدسم، المعجم الوسيط، ص ٢٣١.

(٢) موضـع يقـع شمـال مكـة إلى الجنـوب مـن عُسـفان، بقرابـة (١٦) كـم علـى طريـق المدينـة علـى بعـد (١٤) كيلـو مـن مكـة. أنظر: عـاتق بـن غيـث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٢٦٣.

أتعمدوا إلى الرأس ـ يعني أهل مكة ـ أم ترون أن تعمدوا إلى الذين أعانوهم، فتخالفوهم إلى نسائهم وصبيانهم، فإن جلسوا جلسوا موتورين مهزومين، وإن طلبونا طلبونا طلباً متدارياً ضعيفا، فأخزاهم الله، فقال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ أن تعمد إلى الرأس فإن الله معينك وإن الله ناصرك وإن الله مظهرك، قال المقداد بن الأسود وهو في رحله: إنا والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكم مقاتلون، فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا غشى الحرم ودخل أنصابه بركت ناقته الجدعاء، فقالوا: خلأت، فقال: والله ما خلأت وما الخلأ بعادتها، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش إلى تعظيم المحارم فيسبقوني إليه هلم ههنا ـ لأصحابه ـ فأخذوا ذات اليمين في ثنية تدعى ذات الحنظل، حتى هبط على الحديبية، فلما نزل استقى الناس من البئر، فنزفت ولم تقم بهم فشكوا ذلك إليه فأعطاهم سهماً من كنانته، فقال: أغرزوه في البئر فغرزوه في البئر فجاشت ماؤها حتى ضرب الناس بعطن، فلما سمعت به قريش، أرسلوا إليه أخا بني حليس وهو من قوم يعظمون الهدي، فقال: ابعثوا الهدي، فلما رأى الهدي لم يكلمهم كلمة، وانصرف

من مكانه إلى قريش فقال: يا قوم القلائد والبدن والهدي! فحذرهم وعظم عليهم، فسبوه وتهجموه، وقالوا: إنما أنت أعرابي جلف لا نعجب منك، ولكنا نعجب من أنفسنا إذ أرسلناك، اجلس ثم قالوا لعروة بن مسعود: انطلق إلى محمد ولا نؤتين من ورائك، فخرج عروة حتى أتاه، فقال: يا محمد! ما رأيت رجلاً من العرب سار إلى مثل ما سرت إليه، سرت بأوباش الناس إلى عترتك وبيضتك التي تفلقت عنك لتبيد خضراءها، تعلم أني جئتك من كعب بن لؤي وعامر بن لؤي، قد لبسوا جلود النمور عند العوذ المطافيل،[1] يقسمون بالله لا تعرض لهم خطة إلا عرضوا لك أمرّ منها، فقال رسول الله ﷺ: إنا لم نأت لقتال، ولكنا أردنا أن نقضي عمرتنا وننحر هدينا، فهل لك أن تأتي قومك فإنهم أهل قتب، وإن الحرب قد أخافتهم، وإنه لا خير لهم أن تآكل الحرب منهم إلا ما قد أكلت، فيخلون بيني وبين البيت، فنقضي عمرتنا وننحر هدينا، ويجعلون بيني وبينهم مدة، تديل فيها نساءهم ويأمن فيها سربهم، ويخلون بيني وبين الناس، فإني والله لأقاتلن على هذا الأمر الأحمر والأسود حتى يظهرني الله أو تنفرد

(١) العوذ المطافيل: الأمهات اللاتي معهن أطفالهن، والمراد خروجهم مع أطفالهم وأمهات أولادهم ونسائهم ليكون أدعى للثبات وشدة القتال. الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥/١٣١.

سالفتي، فإن أصابني الناس فذاك الذي يريدون، وإن أظهرني الله عليهم اختاروا، إما قاتلوا مُعدين، وإما دخلوا في السلم وافرين، قال: فرجع عروة إلى قريش فقال : تعلمن والله ما على الأرض قوم أحب إلى منكم، إنكم لإخواني وأحب الناس إليّ، ولقد استنصرت لكم الناس في المجامع، فلما لم ينصروكم أتيتكم بأهلي حتى نزلت معكم إرادة أن أواسيكم، والله ما أحب من الحياة بعدكم، فلتعلمن أن الرجل قد عرض نُصفاً فاقبلوه، تعلمن أني قد قدمت على الملوك ورأيت العظماء فأقسم بالله إن رأيت ملكاً ولا عظيماً أعظم في أصحابه منه، لا يتكلم منهم رجل حتى يستأذنه، فإن هو أذن له تكلم، وإن لم يأذن له سكت، ثم انه ليتوضأ فيبتدرون وضوءه ويصبونه على رؤوسهم، يتخذونه حَنّاناً، فلما سمعوا مقالته أرسلوا إليه سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص، فقالوا : انطلقوا إلى محمد، فإن أعطاكم ما ذكر عروة، فقاضياه على أن يرجع عامة هذا عنا، ولا يخلُص إلى البيت، حتى يسمع من يسمع بمسيره من العرب أنا قد صددناه، فخرج سهيل ومكرز حتى أتياه وذكرا ذلك له، فأعطاهما الذي سألا فقال: اكتبوا ((بسم الله الرحمن الرحيم)) قالوا: والله لا نكتب هذا أبداً، قال: فكيف؟ قالوا: نكتب ((باسمك اللهم))، قال: هذه فاكتبوها فكتبوها، ثم قال: اكتب ((هذا ما قاضى عليه محمد

رسول الله له فقالوا: والله ما نختلف إلا في هذا، فقال: ما أكتب؟ فقالوا: انتسب، فاكتب محمد بن عبد الله قال: وهذه حسنة اكتبوها، فكتبوها، وكان شرطهم أن بيننا العيبة المكفوفة، وأنه لا إغلال ولا أسلال، قال أبو أسامة الأغلال: الدروع، والأسلال السيوف، ويعني بالعيبة المكفوفة أصحابه يكفهم عنهم، وأنه من أتاكم منا رددتموه علينا، ومن أتانا منكم لن نردده عليكم، فقال رسول الله ﷺ: ومن دخل معي فله مثل شرطي، فقالت قريش من دخل معنا فهو منا، له مثل شرطنا، فقالت بنو كعب: نحن معك يا رسول الله ﷺ وقالت بنو بكر: نحن مع قريش، فبينما هم في الكتاب إذ جاء أبو جندل[1] يرسف في القيود، فقال المسلمون: هذا أبو جندل، فقال رسول الله ﷺ هو لي، وقال سهيل: هو لي، وقال سهيل: إقراء الكتاب فإذا هو لسهيل فقال أبو جندل: يا رسول الله! يا معشر المسلمين! أُرد إلى المشركين؟ فقال عمر: يا أبا جندل! هذا السيف فإنما هو رجل واحد فقال سهيل: اعنت علي يا عمر! فقال رسول الله ﷺ لسهيل: هبه لي، قال: لا. قال: فأجره لي: قال: لا، قال مكرز: قد أجرته لك يا محمد، فلم

(١) أبو جندل: هو ابن المفاوض القرشي، سهيل بن عمرو، أسلم في مكة، ومنعه أبوه من الهجرة وآذاه وعذبه حتى هاجر، استشهد في معركة اليمامة سنة ١١ هـ. ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤.

ينج)).[(١)]

إن وقائع صلح الحديبية مليئة بالأحداث العظيمة التي أشير إلى بعضها في القرآن الكريم، ومنها بيعة الرضوان ذلك أن الرسول ﷺ بعث عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أهل مكة ليخبرهم أن رسول الله ﷺ جاء زائراً للبيت الحرام معظماً له ومعتمراً ولم يأت لقتال، فدخل عثمان مكة في جوار سعيد بن العاص، فبلغ زعماء قريش ما أمره به رسول الله ﷺ، وطلبوا منه أن يطوف بالبيت فرفض رضي الله عنه إلاّ أن يؤذن لرسول الله ﷺ في ذلك، فحاولوا احتباس عثمان رضي الله عنه عندهم،[(٢)] وبلغ الرسول ﷺ أن عثمان قد قتل من قبل قريش فجمع رسول الله ﷺ الناس تحت شجرة للبيعة،[(٣)] وقد تنافس المسلمون في بيعة رسول الله ﷺ حتى أن سلمة بن الأكوع بايع رسول الله ﷺ أكثر من مرة، طمعاً في تكرار أن تلامس يده يد رسول الله ﷺ، ولم يتخلف عن البيعة إلا أحد المنافقين وهو (الجد

---

(١) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٧٠ - ٢٧٤؛ وانظر إلى أجزاء مختلفة من الرواية عند البخاري في صحيحه، ج٥/٦٩.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣١٥.

(٣) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية و قول الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، الآية ج٥/٦١؛ ووضع ابن هشام في السيرة عنوان: "بيعة الرضوان "، ج٣/٣١٦.

بن قيس)، وكان مختبئاً تحت ناقته، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على المؤمنين المبايعين لرسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح]. وقد أثنى الرسول على أهل بيعة الرضوان فقال: ((أنتم اليوم خير أهل الأرض))،[1] وكان رسول الله ﷺ بايع ﷺ لعثمان ضرب إحدى يديه على الأخرى.[2]

وقد كان رسول الله ﷺ مرناً مع قريش في مفاوضته وفي صلحه لدرجة أن عمر بن الخطاب اغتم غماً شديداً لهذا الأمر واستغرب وقال يا رسول الله: ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قال ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى، قال عمر: فلم نعطى الدنية في ديننا؟ قال ﷺ: إني رسول الله ﷺ ولست أعصيه، قال عمر: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به، قال: بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال عمر: لا، قال ﷺ: فإنك آتيه ومطوف

(١) متفق عليه، انظر: رواية البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ج٥/٦٣؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٨٣.

(٢) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٨٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣١٦.

بـه ، ثـم توجـه عمـر إلى أبـي بكـر الصـديق ووجـه لـه مثـل الكـلام الأول قـائلاً : لم نعطـى الدنيـة في ديننـا ؟ فـرد عليـه أبـو بكـر رد الفقيـه العـالم العاقـل : يـا عمـر إنـه لرسـول الله ﷺ ولـيس يعصـي ربـه ، وهـو ناصـره فاستمسـك بغـرزه ، فـوالله إنـه على الحق.[١]

وحينمـا انتهـى الأمـر بالاتفـاق علـى أن لا يعتمـر الرسـول ﷺ في هـذه الرحلـة ، وإنمـا يـأتي مـن عـام قابـل ، قـال ﷺ لأصـحابه : ((قومـوا فـانحروا ثـم أحلقـوا)) ، وكررهـا علـى الصـحابة ، فلـم يبـادروا في ذلـك ، حيـث كـان بعضـهم لا يـزال يطمـع في العمـرة ، فحـز ذلـك في نفـس الرسـول الله ﷺ ، فـذكره لأم سـلمة ، فقالـت رضـي الله عنهـا : أخـرج ثـم لا تكلـم أحـداً مـنهم حتـى تنحـر بـدنك وتحلـق رأسـك ، ففعـل ﷺ ، فلمـا رأى الصـحابة ذلـك قـاموا سـراعاً ، فنحـروا هـديهم وأسرعوا في الحلق.[٢]

وتوجه الرسول ﷺ عائداً إلى المدينة المنورة ، وفي الطريق نزلت

---

(١) انظـر: ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٣/٣١٧؛ وانظـر: صـحيح البخـاري، ج٤/٦٩؛ وابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٧٩.

(٢) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٣/٣١٩؛ ابـن أبي شـيبه، المغـازي، ص ٢٩٠.

عليه سورة الفتح ففرح بها أيما فرح. روى البخاري في صحيحه عن زيد بن أسلم: أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ،ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر بن الخطاب ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي قال فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن. وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: "لقد أنزلت على الليلة سورة لهي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ (إنا فتحنا لك فتحا مبينا).(١)

وقد أكدت الآية والروايات للحديث أن صلح الحديبية فتح مبين، فتح الله به مجال الدعوة في كافة بلاد العرب وفي العالم، حيث أعقبه انضمام بعض القبائل في عقد الرسول ﷺ، كما أعقبه مباشرة كتابة الرسول ﷺ إلى ملوك الأرض،(٢) وبالتالي فهي كما سماها الله تعالى فتحاً مبيناً

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ج٥/٦٢؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٧٨.

(٢) انظر : كتب الرسول لملوك وزعماء العالم ﷺ من هذا الكتاب .

فـتح فيـه رب العبـاد لعبـاده سمـاع دعـوة الله، وقـد ورد أن الصـديق ﷺ قـال: ((مـا كـان فـتح في الإسـلام أعظـم مـن فـتح الحديبيـة ولكـن النـاس قصـر رأيهـم عمـا كـان بـين محمـد وربـه، والعبـاد يعجلـون والله لا يعجـل لعجلـة العبـاد، حتـى تبلـغ الأمـور مـا أراد)).(١) لقـد كانـت أربـاح المسـلمين ومكاسـبهم مـن هـذا الصـلح أعظـم مـن أن تحصـى، فهـي بينـة لا تخفـى علمهـا الله فسـماها (فتحـاً مبينـاً)، كـان الصـلح اعترافـاً بالمسـلمين ودولـتهم وقائـدهم ﷺ، كمـا كانـت هدنـة أتاحـت للمسـلمين فرصـة التفـرغ للـدعوة، والعـودة في العـام الثـاني لأداء الهجرة.

وأمـا مـا جـاء مـن شـرط إعـادة مـن أتـى مـن قـريش إلى المسـلمين بـدون إذن وليـه فقـد كـان في الظـاهر صـعباً علـى المسـلمين أمـا في التطبيـق فظهـر خـلاف ذلـك عنـد أول تطبيـق له.

فقـد جـاءت مجموعـة مـن المسـلمين إلى المدينـة مـن مكـة دون إذن أهلـهم وكـان فـيهم أبـو بصـير عـروة بـن أسـد الثقفـي ﷺ، فأرسـلت قـريش تطلـبهم مـن الرسـول ﷺ فسـلمه الـنبي إلى

(١) محمد أبو شهبه ج ٢ / ٣٣٨

رجلين من قريش، وكان ثابت الإيمان وقال له ﷺ: ((يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم عهداً، ولا يصح في ديننا الغدر وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً))، (١) فخرج أسيراً مع الرجلين، وفي الطريق تمكن من أخذ سيف أحدهما وقتله، ففر الآخر خائفاً ودخل المدينة مذعوراً فأخبر النبي ﷺ بما حدث فأمنه ﷺ، ثم جاء أبو بصير وقال: يا رسول الله ﷺ قد أوفى الله بذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم فقال ﷺ: ((ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد))، (٢) ثم خرج أبو بصير إلى نواحي (العيص) (٣) على طريق تجارة قريش ناحية الساحل، ولحق به من خرج من المسلمين من قريش، وكون منهم فريقاً يقارب السبعين مقاتلاً قطعوا الطريق على قريش وتجارتها، فأرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ تناشده

---

(١) انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، (٣٢٣/٣)؛ ابن كثير، السيرة النبوية .

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣٢٤/٣؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص٢٩٠.

(٣) مكان يجتمع فيه شجر السدر والعوشج ويسمى عيصاً، وهو مكان ناحية البحر بطريق تجارة مكة إلى الشام كون ملجأ للفارين لكثافة أشجاره وسهولة تخفيهم فيه، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١٧٣/٤

إن يـؤويهم إليـه، [1] وأعلنـت تنازلهـا عـن شـرط إرجـاعهم، فكـان هـذا الشـرط نصـراً للمسـلمين، وجعـل الله لأبـي بصـير وأمثاله مخرجاً كما أخبر الرسول ﷺ مع وفاءه ﷺ بعهده.

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٣/٣٢٤؛ وانظـر: صـحيح البخـاري، بـاب عمرة القضاء، ج٥/٨٥.

رسائل النبي إلى زعماء العالم:[1]

بعث رسول الله ﷺ للعالم كافة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء] يدعو الخلق لعبادة الخالق ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾ [الأعراف]، وبالتالي فإن الأمر لا يحتاج إلى معرفة، فالعالم ومكوناته وأحوال البشر فيه واحدة في نظر الخالق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات]، فالإسلام ونبيه يدعو الناس إلى الله ويوحدهم تحت عبودية الله وبذهب الفرقة والتميز ﴿ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ

---

(١) ألفت العديد من الأبحاث والكتب التي عالجت الموضوع منها، جمال الدين ابن أبي حديدة الأنصاري، المصباح المغني في كتاب النبي الأمي إلى ملوك الأرض ومحمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة؛ خالد سيد علي، رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء.

ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ ، لا فضل لأحمر على أبيض، (الناس سواسية كأسنان المشط)، ومن هنا فقد كانت معرفته ﷺ بالعالم من حوله وممالكه وأنظمته، وبالقبائل وزعمائها، وبالدول وأحوالها واضحة، وما كان اختياره للحبشة لهجرة أصحابه رغم وجودها خلف البحر في قارة أخرى إلا عن علم بحالها ونظامها ونسبة العدالة في النظام، ومدى تطبيقه لدى ملكها "فإن فيها ملك لا يظلم عنده أحد".(١)

بعد صلح الحديبية كتب الرسول ﷺ كتاباً إلى عدد من ملوك العالم، واهتم لذلك، فاختار من أصحابه لكل وجهة من يصلح لها ممن هو خبير بها ويعرفها، وأوصاهم وأشعرهم بالمسؤولية، قال ابن هشام بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية، فقال: (أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة، فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم، فقال أصحابه وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي

(١) انظر : الهجرة إلى الحبشة، من هذا الكتاب .

وسلم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها، فبعث رسول الله ﷺ رسلا من أصحابه وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام).[1]

ملك الروم:-

الروم تعد أقوى الدول المعاصرة للرسول ﷺ، وقد تحدث القرآن الكريم عن الروم في سورة أنزلت في مكة وسميت بسورة الروم، وجاء فيها: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الروم].

كانت تدور الحروب في تلك الفترة بين الروم والفرس في نواحي فلسطين والأردن، وكان حديث العالم عن تلك الحرب.

ومن المعروف أن مصر والشام وشمال إفريقيا كانت

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٦٠٦، ٦٠٧.

ولايات تابعة لإمبراطورية الروم البيزنطية، وقد كان المسيطر الفعلي على الحكم في هذه الإمبراطورية هو الملك نفسه (الإمبراطور) الذي اتخذ القسطنطينية عاصمة له، وكان له الحق في اتخاذ القرارات يساعده في عمله بعض اللجان الفرعية والمستشارون، وكانت الولايات التابعة للدولة تحكم حكمًا عسكريًا في الغالب، حيث تتوزع معسكرات الجنود على الولايات المختلفة.(١)

وكان للحروب بين الفرس والروم قبل الإسلام دور في تقوية النظام العسكري في هذه الدولة، وبالتالي زادت الحاجة إليه، وهذا بالطبع على حساب العامة من الرعية الذين أصيبوا بأضرار كبيرة في العديد من الولايات، في الشام ومصر والجزيرة وغيرها، نظرًا للمد والجزر في الحروب الفارسية الرومية التي استمرت فترة طويلة قبيل الإسلام، كما أن نظام الضرائب المفروض في الولايات الرومية كان يشعر الناس بالإرهاق، فهناك ضرائب على الأراضي، وضرائب على الحيوانات،

(١) ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ٨٩.

وضـرائب علـى الممتلكـات المختلفـة، إضـافة إلى الضـرائب الموضـوعة علـى الـرؤوس، كمـا أنهـا تجـرُّ الشـباب جـرّاً إلى الحـروب وتجنـد القـادرين وتقتـل المـتخلفين رغـم أن الحكـام والمحكومين كانوا من النصارى.[(١)]

وقـد ظهـر خـلال تلـك الفـترة نظـام الملتـزمين، الـذين يقومـون بجبايـة الضـرائب لأنفسـهم مقابـل التـزامهم بمبـالغ معينـة يـدفعونها إلى الدولـة، وبالتـالي زادوا في الضـرائب علـى النـاس، وزادوا في الظلـم حتـى يفـوا بالتزامـاتهم الـتي ضمنوها للدولة.[(٢)]

كانـت الديانـة العامـة للدولـة ورعاياهـا هـي النصـرانية، حيـث كـان لرجـال الـدين النصـارى مكانـة خاصـة في الدولـة، وفي المجتمعـات العامـة لمـا يتميـزون بـه عـن بقيـة النـاس، إذ يُعتـبرون طبقـة عليـا لهـم حـق التصـرف في أحـوال النـاس وفي معـاملاتهم، بـل وفي عبـاداتهم أيضًـا، كمـا فُرضـت ضـرائب علـى النـاس لصـالح الكنيسـة ورجالهـا، وكـان رجـال الكنيسـة يفرضـون أوامـرهم علـى

---

(١) نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٧٣.

(٢) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ١١٢؛ صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٢٤.

الناس، ويعاقبون بصرامة كل من تسول له نفسه مخالفة أوامرهم.

وقد وجدت مذاهب نصرانية مختلفة في مملكة الروم، وكثرت بينها الخلافات العقائدية، التي أدت إلى منازعات وصلت إلى مراحل قوية من العداء بين الكنائس، وقد تركزت مذاهب نصرانية معينة في بعض المناطق، وبالتالي وجد نوع من العداء بين بعض الولايات وبعض الشعوب مع دولة الروم.

وقد حاول إمبراطور الروم فرض المذهب اللاهوتي السائد في القسطنطينية على بعض الولايات، وخصوصًا في مصر، مما أوجد كرهًا شديدًا بين الأقباط والرومان وبالتالي فإن كثيراً من الناس في الدولة يحسون بالظلم والاضطهاد نتيجة تدخل الدولة في الشؤون الدينية، وتأييدها لبعض المذاهب ضد البعض الآخر، ونتيجة لسيطرة الكنيسة ورجال الدين فيها على الناس وتحكمهم فيهم، إضافة إلى فرض الضرائب الزائدة لصالح الكنيسة بطريقة ظالمة.[١]

---

(١) العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ٩٧، ٩٨،٩٩؛ أسد

كان ملك الروم وزعيمهم وإمبراطورهم في العصر النبوي هرقل ٦١٠م ـ ٦٤١م، وهو من أسرة يونانية، ولد في قرطاجنة - تونس حالياً- وكان والده حاكماً يونانياً عليها، وقد استدعي هرقل إلى العاصمة القسطنطينية، ومُلك على الروم في فترة صراع مع الفرس، وقد نجح في هزيمة الفرس واستعادة قوة الروم مرة أخرى وهيبتها ﴿ الم غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الروم].

كان ذلك سنة ٦١٦م، وكان هرقل قائداً نصرانياً، تمكن من استعادة الصليب المقدس لديهم،الذي يزعمون أن المسيح صلب عليه، فسُر عامة النصارى بذلك وأقاموا الاحتفالات في كل مكان،(١) وخصوصاً في القدس، حيث وصله في نفس الفترة كتاب الرسول ﷺ، وكان مما جاء فيه كما ثبت في "الصحيحين" أنه كتب إلى هرقل: ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع

رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وأخلاقهم، ج١/١٣٨.

(١) انظر: أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص ٢٩٦؛ ود. علي العتوم، تجربة مؤتة، ص ٩٢.

الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران]))[1] والأريسيين هم الأجراء والعمال والفلاحين وعوام الناس والمستضعفين بوجه عام، الذين يحول هرقل بينهم وبين سماع الإسلام.

وقد وجه رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي بالرسالة إلى هرقل، وكان دحية من قوم محتكين بالروم في الشام، حيث تقع قبيلته كلب في الأطراف الجنوبية لبلاد الشام،[2] وبالتالي يعرف كيفية الوصول إلى الإمبراطور هرقل والحديث معه.

ولما وصل كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل فزع فزعاً شديداً، وهو من علماء النصارى المعدودين فيهم، مع كونه ملكهم واهتم للرسالة وحاول الحصول على أكبر قدر من المعلومات، فطلب أن يؤتى بأحد من قوم النبي ﷺ وممن يعرفونه، وكان أبو

---

(١) البخاري، صحيحه، كتاب بدء الوحي، من الحديث رقم (٧)؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٨١.

(٢) السمعاني، الأنساب، ج١٠/٤٥٢.

سفيان بن حرب - ولم يسلم بعد- في نواحي بيت المقدس في تجارة لقريش بعد صلح الحديبية، فجيء به مع من معه من تجار قريش إلى هرقل لكي يسأله عن النبي ﷺ، فلما كانوا بحضرة هرقل سأل وناقش عن طريق الترجمان، وقد أورد البخاري ذلك فقال: (إن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام - في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء[1] فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبا. فقال: ادنوه مني، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبا لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد

---

(١) بيت المقدس .

منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر قلت لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت: أن لا. فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قَبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت: أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا. فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم اتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان

حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف. فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم انه خارجٌ، لم أكن أظن انه منكم، فلو أني أعلم أني اخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه، فإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فاني ادعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فان توليت فإن عليك إثم الأريسيين و ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤** ﴾ [آل عمران]، قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات وأُخرجنا،

فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة، أنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام).[1]

وتدل الروايات المختلفة على وجود نقاش خاص بين هرقل وبين دحية الكلبي على انفراد، جرى فيها الحديث عن الإسلام ونظرته للمسيح ومن يُصلّي له المسيح، وخوفه بالله وسوء العاقبة عليه وعلى ملكه وعلى آخرته.

وأن هرقل ناور وكتب كتاباً إلى النبي ﷺ وأرسل له بهدية مع دحية، فقسمها على المسلمين، وقال عنه: كذب عدو الله هو على نصرانيته.[2]

ورغم شك المؤرخين بمثل هذه الرواية التي لم ترد بسند واضح عند المحدثين وتفصيلاتها إلا أنه من الطبيعي جلوس هرقل مع دحية حامل الرسالة ومناقشته خصوصاً، أنه ظهر في رواية البخاري وغيره

---

(١) البخاري، كتاب الإيمان، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١/٤.

(٢) انظر: جمال الدين بن أبي حديدة الأنصاري، المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي إلى ملوك الأرض، ص ١٩٨.

اهتمام هرقل بالأمر مما يدل على قناعته بصدق الرسول ﷺ وإن لم يُظهر الإسلام.

لقد كان واضحاً معرفة هرقل بصدق النبي ﷺ وأنه ما دعا إلا إلى حق، وأنه نبي المختنين، نبي آخر الزمان. وكان على يقين بنصر الله له وبأن الله سيحقق له ما وعد من انتشار دينه وغلبة دعوته، ولذلك سمع منه أبو سفيان ما سمع في وقت كان فيه على الشرك وزعيماً لقريش المحاربة لرسول الله ﷺ، وبالتالي وقع في نفس أبي سفيان خشية النبي ﷺ، وشيء من معرفة الحق لما رأى خوف هرقل وحديثه فقال: (هذا ملك بني الأصفر يخافه) وكان أبا سفيان حتى تلك اللحظة من أعداء الرسول ﷺ، فأدرك أنه عدو لمن يخشاه أعظم ملوك الأرض في زمانه.

وقد كان هرقل مهموماً متردداً بين الإيمان بالرسول ﷺ والانقياد لأوامر المسيح بالإيمان بآخر الأنبياء، وبالتالي كسْب الإسلام مع النصرانية السابقة، أو عدم الإيمان ومعصية الله ورسوله وتقديم الحياة الدنيا على الآخرة، ومجاملة سياسيي الروم، والإذعان لهم من أجل البقاء على دفة السلطة، ولذلك أراد أن يجرى

امتحاناً لقواد الروم وهل ينقادون معه للإيمان بالرسول ﷺ ، فقد حدث أحد أساقفة نصارى الشام ويسمى ابن الناطور وكان من أصحاب هرقل قال: (ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي، وأنه نبي فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة[1] له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع، فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفا اختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه).[2]

---

(١) الدسكرة: بناء خاص يقيمه الملوك في بلاد الروم للمناسبات والاحتفالات، المعجم الوسيط ص٢٨٣

(٢) انظر: صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (٤/١)؛ وانظر: شروحات وروايات ابن حجر على الحديث في فتح الباري، وانظر: رواية الإمام مسلم في صحيحه، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ج٥/١٦٤.

وهكذا صدق في هرقل قوله تعالى في سورة الروم ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم] وقوله تعالى في سورة الروم ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الروم] وفي قوله في سورة الروم ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الروم].

ولعل الإنسان يتوقف قليلاً مع هذه الشواهد القرآنية في سورة الروم، ويرى أن ورودها في سورة الروم كأنما يشير لموقف ملكهم وزعمائهم وفي ذلك أية عظيمة لمن اعتبر.

وقد تحدث هرقل بوضوح عن انتصار للمسلمين قادم في مستقبل الأيام القريبة، وامتداد لهم فيما تحت قدميه ويعني بذلك فلسطين وبقية بلاد الشام.

فكان أول احتكاك عسكري بين الروم والمسلمين في معركة مؤتة، التي قادها زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وصاحبه ومن أحب الناس إليه ﷺ، وكانت نتيجة تلك المواجهة الأولى

استشهاد عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحه، وكان من الواضح خشية هرقل من متابعة المسلمين وقتالهم، فرغم قوته ومتابعته للفرس في معاركه حتى اقتحم عليهم بلادهم، إلا أنه لم يحرص على الاحتكاك بالرسول وجنده ﷺ ومواجهتهم، ولعل القرآن الكريم في سورة الروم أشار وحذر أصحاب القوى الظالمة عامة، ومنهم الروم في سورة سميت باسمهم في قوله تعالي: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الروم].

نعم والله إنني لأحس أن هذه الآيات كأنما هي موجهة للروم أولهم وآخرهم الذين عمروا الأرض، فلما كذبوا بآيات الله كانت عاقبتهم سيئة، حيث ظلموا أنفسهم فأورث الله المسلمين أرضهم، بعد أن كذبوا بآيات الله، وعاد جيش رسول الله ﷺ من مؤتة ليقابله شباب المدينة بقولهم: أيها الفرارون

فيدافع عنهم ﷺ بقوله: ولكنهم كرارون إن شاء الله،[١] فيرجع خالد بعد سنوات ليقود المسلمين في أكبر معاركهم مع الروم في موقعة اليرموك، فكان سيفاً من سيوف الله كما أخبر الرسول ﷺ،[٢] وكان ذلك الحديث من الرسول عن كرتهم المقبلة في اليرموك وغيرها وحدوث ذلك معجزة من معجزات المصطفى ﷺ، وما أكثرها لمن تمعن.

ثم جاء الاحتكاك الثاني عسكرياً في أيام الرسول ﷺ في غزوة تبوك، التي قادها الرسول ﷺ بنفسه، وكان معه أكبر جيش عرفه المسلمون في زمانه، وكان هدفه الروم وأطراف دولتهم الجنوبية، إذ إن تبوك على حدود بلاد الشام، حيث عسكر الرسول ﷺ ومن معه قرابة الخمسة عشر يوماً، بث خلالها العديد من السرايا في المناطق المجاورة واتصل بعدد من زعماء المدن والقبائل المحيطة والداخلة في حدود الروم، وعقد معهم معاهدات واتفاقيات خاصة على مسمع من هرقل ومرأى منه، حيث ذكرت الروايات عدم احتكاك الروم بجيش الرسول ﷺ، حيث أصيب بهزيمة معنوية، رغم

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٣٨٢، الواقدي، المغازي ٢/ ٧٦٥.
(٢) صحيح البخاري، فتح الباري، ج ١٦/١٠٠.

قوته العسكرية وقدرته على المواجهة .

وقد ورد أن رسول الله ﷺ كتب لهرقل وهو في تبوك يخيره بين إحدى ثلاث ، إما أن يسلم وله ما في يديه من ملكه ، وإما أن يؤدي الخراج ، وإما أن يأذن بحرب ، فجمع هرقل بطارقته وقسيسيه في قصره وأغلق عليهم الباب وقال لهم : إن محمداً بعث إلى يخيرني إلى إحدى ثلاث ، إما أن أسلم ولي ما تحت قدمي من ملكي وإما أن أرسل إليه الخراج ، وإما أن آذن بحرب ، وقد تجدون في كتبكم بأنه سيملك ما تحت قدمي من ملكي ، فنخروا نخرة حتى أن بعضهم خرجوا من برانسهم ، وقالوا : نحن نرسل إلى رجل من العرب جاء في برديه ونعله بالخراج ؟! فقال هرقل : اسكتوا إنما أردت أن اعلم تمسككم بدينكم ورغبتكم فيه.[١]

ولعل هذا هو الاختبار الثاني من هرقل في محاولة منه

---

(١) ابن زنجويه، الأموال، ص ١٢٣ ــ ١٢٥ ؛ وانظر تخريج الرواية عند: محمد عبد الله عنان الصبحي، مرويات الوثائق المكتوبة من النبي ﷺ، (رسالة دكتوراه الجامعة الإسلامية بالمدينة)، ص ٦٤٥؛ وقد أورد الطبراني في معجمه نص رسالة لهرقل يحتمل أنها هذه الرسالة (انظر: المعجم الكبير، ج ٨ / ١٤- ١٦).

لالتماس استجابة من زعماء الروم للنبي ﷺ، فلما رأى رفضهم آثر الملك والدنيا على أمر الله ودينه.

وتذكر الروايات أنه نتيجة لذلك وصل مبعوث من هرقل إلى رسول الله ﷺ أثناء إقامته في معسكره بتبوك، وقد أورد الإمام أحمد في مسنده حديثاً طويلا عن رجل من نصارى العرب بعثه هرقل إلى النبي ﷺ في تبوك عنونه بـ ((حديث التنوخي عن النبي ﷺ قال الراوي فيه: ((لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺبحمص، وكان جاراً لي شيخا كبيرا قد بلغ الفند[1] أو قرب، فقلت: ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى النبي ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل؟ فقال: بلى قدم رسول الله ﷺتبوك، فبعث دحية الكلبي إلى هرقل، فلما أن جاءه كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم وبطارقتها، ثم أغلق عليه وعليهم بابا، فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل إليّ يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني إلى أن أتبعه على دينه، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا، أو نلقي إليه الحرب، والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب ليأخذن ما تحت قدمي، فهلم نتبعه على دينه، أو نعطيه مالنا

(١) الفَنَد: شدة الكبَر ويعني: طاعن في السن.

على أرضنا، فنخروا نخرة رجل واحد، حتى خرجوا من برانسهم، وقالوا: تدعونا إلى أن ندع النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز، فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفأهم،(١) ولم يكد! وقال إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم، ثم دعا رجلا من عرب تجيب كان على نصارى العرب، فقال: ادع لي رجلا حافظا للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه، فجاء بي فدفع إلى هرقل كتابا، فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل فما ضيعت، من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال، انظر هل يذكر صحيفته التي كتب إلي بشيء؟ وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل؟ وانظر في ظهره هل به شيء يريبك فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك فإذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء فقلت: أين صاحبكم، قيل: ها هو ذا، فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره، ثم قال: ممن أنت؟ فقلت أنا أحد تنوخ، قال هل لك في الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم، قلت: إني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم، فضحك وقال:إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم

---

(١) ترفق بهم، وهدأهم وأرضاهم.

بالمهتدين، يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه، والله ممزقه وممزق ملكه، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرقها والله مخرقه[١]، ومخرق ملكه، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة، فأمسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأسا ما دام في العيش خير، قلت: هذه إحدى الثلاثة التي أوصاني بها صاحبي وأخذت سهما من جعبتي فكتبتها في جلد سيفي، ثم إنه ناول الصحيفة رجلا عن يساره، قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم قالوا: معاوية فإذا في كتاب صاحبي: تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار؟ قال: فأخذت سهما من جعبتي فكتبته في جلد سيفي، فلما أن فرغ من قراءة كتابي قال: إن لك حقا وإنك رسول، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها إنا سفر مرملون قال: فناداه رجل من طائفة الناس قال:أنا أجوزه ففتح رحله فإذا هو يأتي بحلة صفورية فوضعها في حجري قلت: من صاحب الجائزة؟ قيل

---

(١) من المعروف وجود أكثر من ملك للحبشة زمن النبي ﷺ أحدهم الذي أسلم على يد جعفر بن أبي طالب والذي يشير له الحديث ملك آخر غيره إذ أنه من الثابت وفاة الأول وصلاته ﷺ عليه صلاة الغائب، انظر: الهجرة إلى الحبشة من هذا الكتاب .

لي: عثمان، ثم قال رسول الله ﷺ: أيكم ينزل هذا الرجل؟ فقال: فتى من الأنصار أنا فقام الأنصاري: وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله ﷺ وقال: تعال يا أخا تنوخ، فأقبلت أهوي إليه، حتى كنت قائما في مجلسي الذي كنت بين يديه فحل حبوته عن ظهره وقال: هاهنا امض لما أمرت له، فجِلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل الحجمة الضخمة).(١)

ومن الواضح تعدد المراسلات بين النبي ﷺ وهرقل، وبروز اسم دحيه الكلبي كحامل للرسائل ومحاور لهرقل،(٢) وقد ذكر أن دحيه الكلبي حمل كتاباً إلى هرقل في آخر حياة الرسول ﷺ، وكان هرقل متردداً في الرد على الرسول حتى أتاه خبر وفاة رسول الله ﷺ.(٣)

وقد عاش هرقل بعد ذلك حتى رأى بنفسه وقوع أجزاء كبيرة من مملكته في الشام وفي فلسطين وبيت المقدس خصوصاً بيد للمسلمين، وصدق قوله ليملكنّ

---

(١) الإمام أحمد، مسنده، ص ٤١١، ٤٤٢

(٢) انظر: فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ٤٥.

(٣) السهيل، الروض الأنف، ج٤/٢٤٩.

ما تحت قدمي هاتين، فكانت البداية في خلافة أبي بكر، والتمام في عهد عمر من بعده ﷺ أجمعين، حيث أطلق هرقل حسرة وهو يخرج من أرض الشام تاركاً إياها للمسلمين الذين أخذوها بالقوة مودعاً وداعاً أبدياً: "سلام عليك يا أرض سوريا تسليم الوداع، لا لقاء بعد اليوم".[١]

وقد ذُكر أن هرقل احتفظ بكتاب النبي ﷺ وأوصى بحفظه من بعده، فما زالت ملوك الروم تتناقله قروناً عديدة، وكانوا يعرضونه على بعض المسلمين من فود الخلفاء والسلاطين،[٢] و قد ظهرت النسخة الأصلية من هذا الخطاب النبوي وأجريت عليه أبحاث ودراسات رجحت صحة النسخة.[٣]

---

(١) الأزدي، فتوح الشام٢٣١، الطبري، تاريخه، ج٤/٣٨
ابن حجر، فتح الباري، ص ٤٣؛ الطبري، تاريخه، ج٤/١٥٦.
(٢) السهيلي، الروض الأنف، ج٢/١٩٧؛ ابن حجر، فتح الباري، ج١/٤٤؛ وانظر: فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ٤٦، ٤٧؛ والكتاني، التراتيب الإدارية، (١/١٦٠).
(٣) محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ١٠٨.

كتاب الرسول ﷺ إلى كسرى فارس:-(١)

فــارس دولــة قويــة، ملاصــقة لــبلاد العــرب، فرضــت حكمهــا علــى بعــض المنــاطق داخــل الجزيــرة العربيــة، في فترات زمنية متعددة، وخصوصاً في اليمن والبحرين.

وقــد مــرت بمراحــل حضــارية مختلفــة، يهمنــا منهــا السـنوات الـتي سـبقت احتكـاك هـذه الدولـة بالإسـلام عـن طريـق الـدعوة والفتـوح والجهـاد. وكانـت الديانـة السـائدة في دولـة فـارس والمنـاطق الخاضـعة لهـا هـي المجوسـية، وهـي ديانـة قائمـة علـى عبـادة النـار وتقديسـها، كمـا وجـدت فيهـا ديانــات أخــرى كاليهوديــة، والنصــرانية، انتشــرت بــين العرب الخاضعين لها في العراق والبحرين وغيرهما.

وكانــت هــذه الدولــة تسـيطر علــى فــارس، وخراســان والعــراق وبعــض الأجــزاء مــن أطــراف الجزيــرة العربيــة شرقيها وجنوبها.

وقــد قــام نظــام الحكــم الفارســي علــى تنظــيم ملكــي اســتبدادي، يقــوم علــى التمييــز بــين النــاس وتقســيمهم إلى

---

(١) وضــع البخــاري في صــحيحه في كتــاب المغــازي، بــاب كتــاب النــبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ج٥/١٣٦.

طبقات مختلفة لكل منها حدود معينة من الحقوق والامتيازات والواجبات.[١]

وكان الملك الساساني الفارسي في نظرهم صاحب حق إلهي، يفرض ما يشاء من نظام، ويوقع ما يشاء من عقوبات في حق مخالفيه، كما كان الملك يشرف بنفسه على التفرقة بين الناس حسب النظام الطبقي المتبع، وكل من يخالف ذلك يتعرض لعقوبات تصل إلى حد القتل أحيانًا، حتى أن من ينتمي إلى الأسرة الحاكمة نفسه لا يستطيع تجاوز ذلك، فلو تجرأ وحاول أن يتزوج من العامة مثلاً، فإنه يتعرض لعقوبة صارمة قد تودي بحياته لخلطه الدماء المقدسة ــ كما يزعمون ــ بدماء العامة.[٢]

وبناء على هذه التفرقة كان الكثير من الظلم يقع على الناس في عموم أنحاء الدولة، وعلى الضعفاء منهم خصوصًا.

---

(١) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣٠؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثاني، ج١/٤١٥.

(٢) د. يحيى الخشاب، تفسير أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام، ص ٤٨.

وقـد كانـت الدولـة تعتمـد علـى جـيش قـوي ومـنظم، يميـز أفـراده عـن بقيـة النـاس في الحقـوق، والاحـترام، وغـير ذلك.[١]

وكـان يـدير دفـة الحكـم الملـك بنفسـه، يسـاعده حكـام الولايـات إضـافة إلى بعـض الأمـراء والقـواد في مختلـف أقـاليم الدولـة، وهـم في الغالـب مـن مـلاك الأراضـي والقـرى الواسـعة، الـذين يقومـون بجبايـة الضـرائب مـن العمـال والفلاحـين وعامـة النـاس إلى خزينـة الدولـة، كـي تخـدم الجـيش والملـك وحاشـيته، في تـرفهم الـذي لم يكـن لـه نظـير، حيـث اشـتهر عـن ملـوك الفـرس جمعهـم للكنـوز والـذخائر وإسـرافهم الشـديد في الملابـس والأطعمـة، حتـى ضـرب بترفهـم المثـل، وكـان الـترف يـدفعهم إلى فـرض المزيـد مـن الضـرائب علـى المـزارعين والعامـة، وبالتـالي زاد شـعور النـاس بـالظلم نتيجـة مـا يؤخـذ مـنهم، إضـافة إلى مـا كانوا يدفعونه من ضرائب على رؤوسهم تشبه الجزية.[٢]

وقـد دخلـت الدولـة الفارسـية قبيـل الفـتح الإسـلامي في

(١) يحيى الخشاب، مصدر سابق، ص ٤٨.

(٢) ارثر كرستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص ٥٨.

حرب شديدة مع الروم، أثرت على الدولة، ودفعتها إلى فرض المزيد من الضرائب والمكوس على رعاياها، مما زاد من سخط الناس وإحساسهم بالظلم، ومهد ذلك للمقارنة مع عدل المسلمين عند الفتح. وكانت القوة العسكرية للفرس في أشدها زمن النبي ﷺ نتيجة لاستعداداتها في حربها مع الروم.[١]

أما كسرى الذي عاصر الرسول ﷺ وكتب له كتباً فهو كسرى (أبرويز) وتعني المظفر وهو ابن هرمز الرابع حفيد كسرى الأول المعروف بـ (أنو شروان)، وصل ما لم يصل إليه سلفه من تدويخ الدولة المنافسة الروم (البيزنطيين) بلغ انتصاره ومجده أوجهما في سنة ٦١٥م، حتى نجح هرقل في دحر الفرس عن بلاده والهجوم المنتصر على مركز المملكة الساسانية حتى اضطر كسرى أبرويز أن يغادر عاصمته ويلجأ إلى مكان آمن، ولكنه ما لبث أن قتل في ثورة ٦٢٨م بعد وصول رسالة رسول الله ﷺ.[٢]

---

(١) عبد العزيز العُمري،الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ٩٥ - ٩٧.

(٢) أبو الحسن الندوي ص ٢٩٨.

وقد كان ملكاً قوياً جباراً (من أشد ملوكهم بطشاً، وأنفذهم رأياً، وأبعدهم غوراً، وبلغ فيما ذكر من البأس والنجدة والظفر وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر، ومساعدة الدهر إياه ما لم يتهيأ لملك أكثر منه).[1]

بعد صلح الحديبية كان ضمن الرسائل التي بعثها رسول الله ﷺ إلى الزعماء والملوك الكتابة إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي،[2] فأمره أن يدفعوا إلى عظيم البحرين فدفعها عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يمزقوا وجاء في كتابه ﷺ إلى كسرى ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله. أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لِيُنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن

(١) الطبري، تاريخه، ج ٢/ ١٣٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٠٧؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٥٧.

أبيت فعليك إثم المجوس)).[١] فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى أبرويز وقرئ عليه أخذه الكِبر والجبروت، وغضب على الرسول ﷺ ومزق كتابه، فكانت دعوة رسول الله ﷺ عليه (أن يمزقوا كل ممزق).[٢] ولم يقف عند هذا الحد في تكبره وتجبره، فكتب إلى باذان عامله على اليمن - وكانت للفرس سيطرة عليها منذ سنة ٥٧٥ م- .[٣] : (ابعث من عندك رجلين إلى هذا الرجل بالحجاز).[٤] وكان هدفه أسر الرسول ﷺ والإتيان به ليعاقبه بما يريد، فبعث باذان من اليمن رجلين شديدين إلى رسول الله ﷺ . ويصف ابن كثير وصولهما إلى الحجاز فيقول: (فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه فقال: هو بالمدينة واستبشر أهل الطائف يعني وقريش بهما، وفرحوا وقال بعضهم لبعض:

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٥٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج١/٢٦٠؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٨٨.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ج٥/١٣٦.

(٣)عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، اليمن في صدر الإسلام ص ٢٨.

(٤)ابن حجر، فتح الباري، ج ١٦/٢٥٧.

أبشـروا فقـد نصـب لـه كسـرى ملـك الملـوك كفيـتم الرجـل، فخرجـا حتـى قـدما علـى رسـول الله ﷺ، فكلمـه باذويـه فقـال: شاهنشـاه ملـك الملـوك كسـرى قـد كتـب إلى الملـك بـاذان يـأمره أن يبعـث إليـك مـن يأتيـه بـك. وقـد بعـثني إليـك لتنطلـق معـي، فـإن فعلـت كتـب لـك إلى ملـك الملـوك بكتـاب ينفعـك ويكفـه عنـك، وإن أبيـت فهـو مـن قـد علمـت، فهـو مهلكـك ومهلـك قومـك ومخـرب بـلادك. و دخـلا علـى رسـول الله ﷺ وقـد حلقـا لحاهمـا وأعفيـا شـواربهما فكـره النظـر إليهمـا وقـال: "ويلكمـا مـن أمركمـا بهـذا ؟! قـالا: أمرنـا بهـذا ربنـا ــ يعنيـان كسـرى ــ فقـال رسـول الله ﷺ: لكـن ربـي أمرنـي بإعفـاء لحـيتي وقـص شـاربي" ثـم قـال: "ارجعـا حتـى تأتيـاني غـدًا قـال: وأتـى رسـول الله ﷺ الخـبر مـن السـماء: أن الله قـد سـلط علـى كسرى ابنه شيرويه فقتله.[١]

قـال فـدعاهما فاخبرهمـا، فقـالا: هـل تـدرى مـا تقـول؟ إنـا قـد نقمنـا عليـك مـا هـو أيسـر مـن هـذا، فنكتـب بهـا عنـك بهـذا ونخـبر الملـك بـاذان ؟ قـال: " نعـم أخـبراه ذلـك عـني وقـولا لـه:

---

(١) مـن روايـة ابـن أبي شـيبة، في المغـازي، ص ١٥٥؛ وانظـر: ابـن سـعد، الطبقات، ج١/٢٦٠.

إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي إلى الخف والحافر "وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملّكتك على قومك من الأبناء ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك. فخرجا من عنده، حتى قدما على باذان، فأخبراه الخبر فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيًا كما يقول وليكوننّ ما قد قال، فلئن كان هذا حقًا فهو نبي مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا. فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد فإني قد قتلت كسرى ولم اقتله إلا غضبًا لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم وبحرهم في ثغورهم فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه.

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إن هذا الرجل لرسول الله، فأسلم الأبناء من فارس من كان منهم باليمن، قال: وقد قال باذويه لباذان: ما كلّمت أحداً أهيب عندي منه، فقال له باذان: هل معه شرط؟ قال لا.[1]

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/ ٥٠٩، ٥١٠.

وتـذكر الروايـات أن قتـل كسـرى الـذي أشـار إليـه الرسـول ﷺ كـان علـى يـد ابنـه شـيرويه ليلـة الثلاثـاء لعشـر ليـالٍ مـن جمادى الآخرة سنة تسع للهجرة.[١]

وقـد ورد أن رسـول الله ﷺ قـال: ((إذا هلـك كسـرى فـلا كسـرى بعـده وإذا هلـك قيصـر فـلا قيصـر بعـده والـذي نفسـي بيـده لتـنفقن كنوزهمـا في سـبيل الله)).[٢] كمـا يشـير الرسـول ﷺ إلى سـقوط المـدائن عاصـمة الفـرس في يـد المسـلمين في قولـه: (لتفـتحن عصـابة مـن المسـلمين كنـوز كسـرى في القصـر الأبيض).[٣]

وأمـا رد فعـل بـاذان ملـك الـيمن بعـد وصـول الرسـولين إليـه فكـان السـماع منهمـا لتقريـر دقيـق عـن مـا رأيـا مـن حـال رسـول الله ﷺ وسمعـا ممـن حولـه، ولا يسـتبعد أنهمـا سمعـا مـن سـلمان الفارسـي رضي الله عنه وهمـا مـن الفـرس ومـن غـيره، كمـا جـاءت الأخبـار إلى بـاذان ومـن معـه مـن الفـرس في الـيمن بقتـل أبرويـز في الليلـة الـتي أخـبر بهـا رسـول الله ﷺ، وورد أن بـاذان

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣ / ٥١٢.
(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣ / ٥١٣
(٣) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٢.

أسـلم وقـال: (إن هـذا لرسـول)، [١] (وإن كـان حقـاً فـلا يسـبقني أحـد مـن الملـوك في الإيمـان بـه)، فأسـلم وأسـلمت الأبناء معه من فارس اليمن.[٢]

وتـذكر الروايـات أنـه وفـد بعضـهم علـى رسـول الله ﷺ في المدينـة في أواخـر حياتـه، [٣] كمـا كـان الأبنـاء بـاذان وغـيره مـن أمـراء الفـرس في الـيمن دور كـبير في الوقـوف مـع أمـراء الرسـول ﷺ معـاذ بـن جبـل وغـيره مـن الأمـراء ﷺ أثنـاء ولايتهم اليمن للرسول ﷺ.

كمـا شـاركوا في القضـاء علـى ردة الأسـود العنسـي الكـذاب مـدعي النبـوة، وإعـادة الإسـلام إلى الـيمن بعـد ردة الكـثيرين مـن القبائـل في خلافـة أبـي بكـر الصـديق ﷺ، وقـاموا مـع نسـائهم بقتـل الأسـود العنسـي الكـذاب، وكـان بـاذان علـى رأس هـؤلاء مـن أبنـاء الفـرس (واحتـزوا رأسـه ثـم عـلا سـور المدينـة حـين أصـبح فقـال: الله أكـبر الله أكـبر أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمـداً رسـول الله وان الأسـود كـذاب عـدو الله، فـاجتمع أصـحاب الأسـود فـألقى إلـيهم رأسـه فتفرقـوا إلا

(١) انظر: ترجمته عند ابن حجر في الإصابة، ج١/١٧٠

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣ / ٥١٠.

(٣) الطبري، تاريخه، ج ٢/ ٦٥٦.

قليلا).[(١)]

وقد بدأ المسلمون فتوحهم في بلاد فارس أثناء خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، وكانت أشد المعارك معهم معركة القادسية، التي قادها من جانب المسلمين سعد بن أبي وقاص ﷺ، ومن جانب الفرس قائدهم المشهور (رستم). وكانت أهداف المسلمين واضحة، وإيمانهم بوعد رسول الله ﷺ بفتح فارس وإسقاط مُلكها وتمزيقه وإعادة الحق إلى عباد الله وتحريرهم من عبودية البشر معروفة عند أواسط المسلمين.

وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وقبل معركة القادسية طلب رستم وفودًا من المسلمين ليستمع إليهم ويحاورهم، ويسمع منهم بنفسه مباشرة، وكان من هؤلاء ربعي بن عامر الذي اشتهر كمبعوث للمسلمين في أحد اللقاءات، حيث استعد رستم للقائه، وأعد مجلسه الفخم لهذا الأمر وزينه بالنمارق المذهبة والحرير، وأظهر اللألئ والجوهرات، ووضع الزينات المختلفة وفرشت البسط المزركشة بالذهب والفضة. وجلس رستم للمقابلة في

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان ص ١١٤.

وسطها على سرير من الذهب، وأقبل ربعي بن عامر على مجلس رستم عليه ثياب بالية مرقعة، يحمل سلاحًا متواضعًا ويركب فرسًا صغيرة، فلما وصل إلى مجلس رستم، دخل بفرسه إلى المجلس وداس بها على الديباج والحرير، ثم انتزع شيئًا من الحرير الذي في البسط وربط به فرسه وأقبل على رستم ومعه سلاحه، فقال له الفرس ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم وإنما أنتم دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فأمرهم رستم أن يتركوه، فاقبل على رستم وهو يتوكأ على رمحه فوق البسط والنمارق حتى خرق بعضها، فقال له رستم محاورًا: ما جاء بكم؟ فقال ربعي: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله. قال رستم: وما موعود الله؟ قال ربعي: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي. فقال رستم: هل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ قال ربعي: نعم ننظركم ثلاثة أيام، فطلب رستم الزيادة فقال ربعي: ما سن لنا رسول الله أن نؤخر الأعداء

عند اللقاء أكثر من ثلاث. فقال له رستم أسيدهم أنت؟ فقال ربعي: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم. واجتمع رستم بقواده بعد ذلك وتدارس الأمر معهم وقرروا قتال المسلمين، وعدم قبول عرضهم الإسلام أو الجزية، واستعد الفريقان للقاء وقد اشتبك المسلمون والفرس في قتال مرير انتهى بانتصار المسلمين[1]، تلى ذلك سقوط عاصمتهم.

حيث توجه المسلمون لفتح المدائن عاصمة الفرس، ووصل المسلمون إليها، وكان يفصلهم عنها نهر دجلة، وقد حطم الفرس ما عليه من جسور ليتحصنوا، ومع هذا فقد حاصرها المسلمون عدة أشهر، كانوا خلالها يفتحون في المناطق القريبة منها، كما كان الفرس خلالها يعملون على تفريغ المدائن من كنوزها وخزائنها، كما فر خلال الحصار يزدجرد ملك الفرس، ومع ذلك فقد كان الدفاع عن المدائن منظمًا وقويًا.

وقد عبر المسلمون النهر لاقتحام المدائن تحت قيادة سعد بن أبي

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ١٢٦ - ١٢٨؛ الطبري، تاريخه، ج٤/١٠٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٦٣..

وقاص ﵁، وهم على خيولهم مما أفزع الفرس، ودفع بعضًا منهم إلى الفرار، ثم تمكن المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص من دخول المدائن، وتوجه إلى القصر الأبيض، وفيه إيوان كسرى المشهور ودخل سعد القصر متواضعًا متذللاً لله وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان]. وقد رفع سعد ﵁ الأذان معلنًا كلمة التوحيد في ذلك القصر، وصلى المسلمون جماعة في إيوان كسرى ومجلسه الضخم، وأخمدت نيران المجوسية وأقام صلاة الجمعة فيه، وقد حصل المسلمون على غنائم كثيرة بعثوا خمسها إلى المدينة، فلما رآها عمر بن الخطاب ﵁ قال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء. فقال علي ﵁: إنك قد عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت.[1]

وكان هذا النصر وهذه الغنائم مصداق ما أخبر به ﷺ عن سقوط كسرى ودولته وكنوزه بعد عناده ورفضه لرسالة الرسول وتمزيقها بقرابة تسع سنوات؛ ولا أشك في أن سلمان الفارسي ﵁ قد علم بنفسه من رسول الله ﷺ ما وعد من فتح بلاد فارس عامة والمدائن خاصة وغنيمة

(١) البلاذري، فتوح البلدان، : ١٣٠ – ١٣١؛ وانظر: عبدالعزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٢٤ - ١٣٣.

المسلمين لكنوزها، كما لا شك في لقائه بالفارسيين اللذين قدما من اليمن مبعوثين من باذان بأمر كسرى أبرويزو، وأنه تحدث إليهما، حيث يتوقع بقاءهما عدة أيام كان سلمان متواجداً فيها بالمدينة، وكان لذلك تأثير عليهما، ولذلك أسرع ملوك اليمن من الأبناء من الفرس في الاستجابة لدعوة رسول الله ﷺ إلى الإسلام، كما أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان أول أمراء المسلمين على المدائن بعد فتحها زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان يمثل الإسلام أمام الفرس بتواضعه وزهده وحسن تعامله مع الناس، فكان له ولغيره من الصحابة أثر كبير في انتشار الإسلام بين الفرس.

كتاب الرسول ﷺ إلى المقوقس (عظيم القبط في مصر):-

مصر بلد مشهور بالحضارة منذ القدم، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من مرة، من ذلك في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف] وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

[يوسف]. كما جاء الحديث عنها مطولاً في حياة موسى عليه السلام وقصته مع فرعون وذكر بلفظه في القرآن الكريم على لسان فرعون : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الزخرف]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يونس]، كما ورد الحديث عنه في آيات متعددة دون تسميته.(١)

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ أخبر في أكثر من مرة بأن مصر ستفتح للمسلمين، ومن ذلك قوله ﷺ (ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً).(٢)

وكان يتزعم مصر المقوقس سايروس *CYRUS* عند الروم، وهو رجل دين على مذهب القسطنطينية، يوناني الأصل كان أميراً على مصر من قبل هرقل

---

(١) انظر: السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ص ٧ ـ ١٠.

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، حديث رقم: ٢٥٤٣؛ وانظر: السيوطي، حسن الحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ص ١١.

وأسقفاً على الإسكندرية في الوقت نفسه.[١]

كـان سـكان مصـر عنـد بعثـة الـنبي ﷺ مـن الأقبـاط، وهـم أهـل الـبلاد الأصـليين، يخـالطهم مجموعـة كـبيرة مـن الـروم، وخصوصـاً في الإسـكندرية في الشـمال وفي المنـاطق العسـكرية والإداريـة، وكـان الـروم يمثلـون سـلطة القسـطنطينية وإمبراطـور بيزنطـة، وهـم في الغالـب مـن الجنـود والمـوظفين بالإضـافة إلى بعـض رجـال الـدين المسـيحيين،[٢] ومـنهم المقـوقس وهـم علـى مـذهب الطبيعـة الواحـدة في المسـيح، وكـان مـذهب القـبط هـو المـذهب النصـراني *MONOTHELEMA* ويختلـف عـن المـذهب السـائد في القسطنطينية بين الروم وهو المذهب *MONOPHUSITAI*.[٣]

وهناك شيء من التنافر بين المذهبين، مما يعني تنافراً بين سلطة الروم السياسية المسيطرة على مصر وغيرها، وبين شعب القبط سكان مصر الأصليين وكنيستهم القبطية، مما دفع الروم إلى مضايقة عدد من رجال الدين الأقباط وإبعادهم،[٤] كما

---

(١) ابن الكندي، تاريخ ولادة مصر، ص ١٥.

(٢) المقريزي، القول الإبريز، ص ٤٣.

(٣) هـ . ايدرس بل، مصر من الإسكندر حتى الفتح العربي. ص ١٩٢.

(٤) المقريزي، القول الإبريز، ص ٤٣.

دخلت مصر في الصراع الرومي الفارسي، فوقعت في يد الفرس سنة ٦١٦ م،[(١)] وتم جلاء الفرس عنها سنة ٦٢٣م بعد انتصار الروم ومعاهدتهم للفرس. وكان ﷺ يتابع أخبار البلدان والصراع بين الفرس والروم، وتأتيه الأخبار من السماء، وجزء من هذا الصراع هو الوارد في سورة الروم ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ ﴾ [الروم]، وحينما عاد الرسول ﷺ من صلح الحديبية كتب كتاباً إلى المقوقس عظيم القبط، وهو حاكم مصر وأسقفها من قبل الروم، وجاء في الكتاب ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم، القبط سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فان توليت فعليك أثم القبط ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤ ﴾ [آل عمران].[(٢)] وقد اختار رسول الله ﷺ

---

(١) هـ . ايدرس بل، مصر من الإسكندر حتى الفتح العربي، ص ١٩٢.

(٢) انظر: تخريجه عند: محمد عبدالله غبان، مرويات الوثائق المكتوبة من النبي ﷺ وإليه، ص ٦٧٣ - ٦٧٥.

حاطب بن أبي بلتعة لحمل الرسالة،(١) وقد تمكن من الوصول إلى المقوقس فسلمه كتاب رسول الله ﷺ فأكرمه، وكان أسقفاً فجمع البطارقة وحاول مناقشة ومحاجة حاطب بن أبي بلتعة، فكان من ذلك قوله: إذا كان نبياً فما باله لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده إلى غيرها، فرد عليه حاطب فقال له: فما بال عيسى حين أخذه قومه وأرادوا أن يصلبوه لم يدعُ عليهم بأن يهلكهم الله قبل أن يرفعه إلى السماء الدنيا، فقال له: أنت حكيم، قد جاء من عند حكيم، ثم رد على رسول الله ﷺ بكتاب لم يذكر فيه إسلامه، مع أنه فهم ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وجاء في كتابه: (لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه. وقد علمت أن نبياً قد بقي، وكنت أظنه بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وبثياب وأهديت لك بغلة تركبها والسلام).(٢) ومن الواضح محاورة المقوقس لحاطب أكثر من مرة

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٧٠٦ ؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١٠/٢٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٠٠.
(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج١/٢٦٠؛ محمد أبو شهبه، السيرة النبوية ج٢/٣٦٢.

وقناعته بنبوة الرسول ﷺ وأن أصحابه سينزلون مصر ويظهرون عليها.(١)

ومما بعث مع حاطب بن أبي بلتعة من هدايا إلى رسول الله ﷺ ماريه القبطية التي أصبحت أم إبراهيم بن النبي ﷺ مع جارية أخرى.(٢) وكذلك غلام أسود وخُفين ونعل.

ومن الواضح من كتاب المقوقس احترامه لرسول الله ﷺ ومعرفته لآخر الأنبياء وخاتمهم، ولم يَبدو فيه ما يظهر إسلامه مع معرفته بالحق، ولعله آثر الدنيا والمناصب والملك على الدين والآخرة، وسار على طريق هرقل في معرفة الحق والإعراض عنه، وكان على يقين بأخذ المسلمين لمصر وفتحها، كما كان المسلمون على يقين بذلك، وهو ما حدث في حياة المقوقس نفسه.

ففي سنة ٢٠ هـ أنطلق عمرو بن العاص من الشام إلى مصر فاتحاً بأمر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، عازمين

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٣/٥٣١؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٤٥ ـ ٤٧؛
وانظر: فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية، ص ٥٤.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣/ ٥١٥.

علـى أخـذها مـن الـروم، كمـا اخـذوا فلسـطين وبـلاد الشـام. وقـد دخـل المسـلمون مصـر عـن طريـق العـريش، وقـاتلوا الـروم في (الفرمـا) ثـم في (بلبـيس) إلى أن وصـلوا إلى حصـن بـابليون الـذي استعصـى فـترة مـن الـزمن، إلى أن وصل مدد للمسلمين يقوده الزبير بن العوام ففتح.[(١)]

كـان المقـوقس يتـابع أخبـار المسـلمين وفتـوحهم مـع إدارتـه للـبلاد ومتابعتـه للقـواد العسـكريين، وكـان يسـأل جواسيسـه ورسـله الـذين يتسـللون بـين المسـلمين، حيـث سـألهم كيـف رأيـتم المسـلمين؟! فأجـابوا: رأينـا قومًـا المـوت أحـب إلى أحـدهم مـن الحيـاة والتواضـع أحـب إليـه مـن الرفعـة، لـيس لأحـدهم في الـدنيا رغبـة ولا نهمـة، وإنمـا جلوسـهم علـى الـتراب وأكلـهم علـى ركـبهم، وأميرهـم كواحـد مـنهم، مـا يفـرق رفـيعهم مـن وضـيعهم، ولا السـيد مـنهم مـن العبـد، فـإذا حضـرت الصـلاة لم يتخلـف عنهـا أحـد، يغسـلون أطـرافهم بالمـاء ويخشـعون في صـلاتهم، فقـال المقـوقس: لـو أن هـؤلاء اسـتقبلوا الجبـال

---

(١) الـبلاذري، فتـوح البلـدان، ص ٢١٤؛ المقريـزي، المـواعظ والاعتبـار، ج١/٢٨٨؛ انظر: عبدالعزيز العمري، الفتوح الإسلامي، ص ١٠٣.

لأزالوها.(١)

وقد طلب المقوقس من المسلمين أن يبعثوا إليه وفدًا ليفاوضهم، فبعث المسلمون وفدًا على رأسه (عبادة بن الصامت)، فقابل المقوقس، ودار بينهما حديث هدد فيه المقوقس بقوات الروم وشدتها، وضعف المسلمين وقلة عددهم وسلاحهم، فقال له عبادة بن الصامت: ((يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك، وأما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقًا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالكم، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه، وإن قُتلنا كلنا كان أمكن لنا في رضوانه وجنته، وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك، إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، وإنها لأحب الخصلتين بعد الاجتهاد منا، وقد قال الله في كتابه: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة]. وما منا إلا ويدعو ربه صباح مساء أن يرزقه الشهادة، وأن لا يرده

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١/٢٤؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج١/٢٩٩.

إلى أرضه ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منا فيما خلفه، وقد استودع كل منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا)).

وقد أُعجب المقوقس بكلام عبادة بن الصامت، وأحس بقوة المسلمين ونصر الله لهم، فعزم على مصالحتهم ودفع الجزية لهم، إلا أن الروم رفضوا ذلك.[١] فاستمر حصار الحصن، ثم تمكنوا من الاستيلاء عليه، ومنه استولوا على معظم أنحاء مصر، ثم تمكن المسلمون من فتح الإسكندرية سنة ٢١م وأصبحت لهم السيطرة على مصر.[٢]

كتب رسول الله إلى ملوك الحبشة:-

الحبشة منطقة تقع شرق أفريقيا مقابل السواحل اليمنية، وقد اختلفت حدوها من عصر لآخر، والأرجح أنها كانت في العصر النبوي تشتمل أجزاء من الصومال والسودان وغيرها وتسمى قديماً *(apyssinia)* وحالياً أثيوبيا *(Ethiopia)*، ودولتها قديمة عرفت منذ زمن سليمان عليه السلام. وفد انتشرت فيها المسيحية في القرن

---

(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١٢٩١؛ العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢٢.

الرابع الميلادي، وتمكنت من السيطرة على اليمن سنة ٥٢٥ م. لما يقارب الخمسين سنة، وكانت عاصمتها أكسوم axum.[(١)]

وصلة أهل مكة بها قبل مبعث النبي ﷺ قديمة، حيث كانت موضعاً لتجارة قريش يجلبون منها ولها السلع، وقد أحتل الأحباش اليمن وسيطروا عليها وحكموها قبيل مولد النبي ﷺ وكانوا يتنازعون حكمها مع الفرس، وكان أبرهة الحبشي أشهر الحكام الأحباش لليمن، وهو صاحب حملة الفيل على الكعبة، التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ [الفيل].[(٢)]

وحينما أوذي النبي وأصحابه في مكة، وجههم ﷺ للهجرة إلى الحبشة،[(٣)] وأخبرهم بعدل ملكها، الذي كان يسمى عند العرب بالنجاشي، وهو أسم لكل من

(١) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية ص ٣٠٠ ؛ انظر: ابن كثير، ج٢/٢٠٣١.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير، ج٢/٢٠٣١.

(٣) انظر: الهجرة إلى الحبشة، من هذا الكتاب.

ملك الحبشة، وكان في تلك الفترة أصحمة وكان مع المهاجرين الأولين للحبشة جعفر بن أبي طالب ﷺ وقد بعث ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة برسالة جاء فيها: ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سلام عليك، فإني أحمد إليك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته، كما خلق آدم بيده ونفخته، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى)).(١)

ومن الواضح من الرسالة اختلاف إسلوبها عن رسائل الرسول ﷺ لبقية الزعماء حيث يبدو منها خطاب

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ٢/١٥؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٨٩.

خـاص لرجـل لديـه شـيئ مـن الإيمـان بمـا جـاء فيهـا عـن الرسـول ﷺ، ومـن المؤكـد أن النجاشـي أصـحمة نـاقش جعفـر بـن أبـي طالـب ﷺ عـدة مـرات، منهـا حينمـا حضـر وفـد مـن قـريش مطالبـاً بإعـادة جعفـر بـن أبـي طالـب ومـن معـه مـن المهـاجرين، فعقـد لهـم أصـحمة مجلسـاً للمناقشـة وسمـع مـنهم ومـن وفـد قـريش وأظهـرت نتيجـة المناقشـة، ميـل النجاشـي إلى الحـق والإسـلام،[1] واسـتعداده للـدفاع عـن المهـاجرين مـن الصـحابة، وقـد رد أبرهـة علـى رسـالة الـنبي ﷺ وأعلـن إسـلامه علـى يـدي جعفـر بـن أبـي طالـب ومما جاء في رسالة النجاش.

(بسـم الله الـرحمن الـرحيم إلى محمـد رسـول الله، مـن النجاشـي أصـحمة سـلام عليـك يـا نـبي الله مـن الله ورحمـة الله وبركاتـه الله الـذي لا الله إلا هـو، أمـا بعـد فقـد بلغـني كتابـك يـا رسـول الله فيمـا ذكـرت مـن أمـر عيسـى فـورب السـماء والأرض إن عيسـى لا يزيـد علـى مـا ذكـرت ثفروقـاً[2] إنـه كمـا ذكـرت. وقـد عرفنـا مـا بعثـت بـه إلينـا، وقـد قربنـا ابـن عمـك

---

(١) انظر الهجرة إلى الحبشة، من هذا الكتاب .

(٢) الثفـروق: هـو قمـع التمـرة وقيـل مـا يلتصـق بـالقمع مـن التمـر، الجـوهري: الصحاح ج٤/١٤٥٤.

وأصــحابه، فأشــهد أنــك رســول الله صــادقاً مصــدقاً، وقــد بايعتــك وبايعــت ابــن عمــك، وأســلمت علــى يديــه لله رب العالمين).[(١)]

وكـان الصـحابة عنـد ملـك الحبشـة مكـرمين معـززين عنـده ودلـت روايـات مختلفـة علـى أنـه دخـل في الإسـلام، وكـان بينـه وبين الصحابة لقاءات عديدة، رأوا منه كل خير.

وقـد ثبـت أن الرسـول ﷺ قـد بعـث رسـالة إلى ملـك الحبشـة أصـحمة، ولعلـه الثـاني ويختلـف عـن الأول وحمـل الرسـالة عمـرو بـن أميـة الضـمري في السـنة السادسـة مـن الهجـرة وجـاء فيهـا: ((بسـم الله الـرحمن الـرحيم مـن محمـد رسـول الله إلى النجاشـي ملـك الحبشـة أسـلم أنـت، فـإني أحمـد إليـك الله الـذي لا الله إلا هـو الملـك القـدوس السـلام المـؤمن المهـيمن وأشـهد أن عيسـى بـن مـريم روح الله وكلمتـه ألقاهـا إلى مـريم البتـول الطيبـة الحصـينة فحملـت بعيسـى فخلقـه مـن روحـه ونفخـه كمـا خلـق آدم بيـده، وإنـي أدعـوك إلى الله وحـده لا شـريك لـه والمـوالاة علـى طاعتـه، وأن تتـبعني وتـؤمن بالـذي

---

(١) ابـن القـيم، زاد المعـاد، ج٤/٦٩٠؛ وابـن كثـير، البدايـة والنهايـة، ج٣/٨٤؛ ابن الجوزي، وفاء الوفاء في أحوال المصطفى، ج٢/٧٥.

جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى)).(١)

وبعد قراءة النجاشي للرسالة جرت بينه وبين عمرو بن أمية الضمري مناقشات حول المسيح عليه السلام ودعوة النبي ﷺ وكان من هذا الحوار (إن عمراً قال له: يا أصحمة إن علي القول وعليك الاستماع إنك كأنك في الرقة علينا وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد، لا يرد وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه بخير سالف وأجر ينتظر، فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل(٢) وأن العيان ليس بأشفى من الخبر ثم كتب النجاشي جواباً

(١) ابن القيم، زاد المعاد ج ٤ / ص ٦٨٩.

(٢) فيه إشارة إلى أن عيسى بشر بمحمد ﷺ كما بشر موسى بعيسى.

على كتاب النبي ﷺ.[١]

ونص الرسالة وبقية الروايات تؤكد إسلام هذا النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري، والمرجح عندي وعند الكثيرين أنه غير النجاشي الأول الذي هاجر إليه جعفر بن أبي طالب ومن معه، وتدل الروايات على أن النجاشي هذا واسمه أصحمة بن أبجة، وقد كتب له الرسول ﷺ يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، حيث خطبها النبي ﷺ وهي في الحبشة بعد ردة زوجها ووفاته فناب أصحمة عن النبي ﷺ في العقد وأصدقها نيابة عنه.[٢] ودلت روايات مختلفة أن ملك الحبشة بعث إلى الرسول ﷺ في سنة (٨هـ) أناس من الحبشة، وأنهم غرقوا في البحر قبل وصولهم المدينة.[٣]

وقد حمل عمرو بن أمية الضمري أصحاب رسول الله ﷺ المهاجرين إلى الحبشة على سفينتين وعاد بهم إلى المدينة

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٤ /٦٨٩، ٦٩٠.
(٢) ابن سعد، سنن النبي ﷺ وأيامه ج١/ ٦٠٨؛ وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية ج٣/ ٢٧٣.
(٣) ابن إسحاق، السيرة، المغازي، ص ٢١٩؛ ابن حجر، الإصابة، ج١/١٠٢.

أثناء غزوة خيبر في السنة السادسة للهجرة ومعهم جعفر بن أبي طالب ﷺ فكان النبي ﷺ ، يقول: (ما أدرى بأيهم أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟) ولا شك أن الترتيب لسفرهم وعودتهم للنبي ﷺ وتأمين السفر كان بترتيب من النجاشي، وقد عد ابن هشام هؤلاء المهاجرين وأسماءهم وعقد لذلك موضوعاً خاصاً سماه (ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة وحديث المهاجرين إلى الحبشة).[١]

ودلت روايات صحيحة ومتعددة عند البخاري ومسلم وغيرهم أن رسول الله ﷺ قد صلى صلاة الغائب على النجاشي عند وفاته،[٢] مع اختلاف في وقتها، و هذا يدل على إسلامه، ومن المرجح عند كثير من العلماء أنه كان يكتم إسلامه، ولعل هذا هو النجاشي الأول الذي استقبل جعفر بن أبي طالب ومن معه من المهاجرين.

ويذكر بعض المؤرخين أن هرقل علم بإسلام النجاشي، وكان يدفع له مساعدة مالية سنوية، نظراً لارتباطه الديني

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٥٩

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب موت النجاشي، ج٤/٢٤٦.

والإداري بالروم، فقطع هرقل تلك المساعدة.[١]

رسالته ﷺ إلى هوذة بن علي الحنفي (في اليمامة) :-

اليمامة إقليم معروف في نجد، وتسمى العروض أو العارض وقاعدتها حَجَر إلى الغرب من البحرين. وتشتهر بالعديد من القرى في وادي حنيفة وما حولها، _وهي الرياض وما يحيط بها حاليا_ وهي ذات إنتاج زراعي، وفي العهد النبوي كانت تُصدر القمح إلى مكة وغيرها.[٢]

كانت في اليمامة حواضر مختلفة وزعامات متفرقة، وقبائل ذات شأن واشتهرت بعيونها ونخيلها.[٣]

وكانت أشهر قبائلها بنو حنيفة في قاعدتها حجر، وفي عقرباء (بالقرب من العيينة)،[٤] ومن أشهر من أسلم من زعمائها (ثمامة بن أثال) في قصة معروفة،[٥] حيث منع

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد ج ٣/٦٩٤.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥ / ٤٤٢؛ وانظر: عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، ج١/ ١٥.

(٣) المرجع السابق، ج ١/ ٣٥.

(٤) انظر: عبدالله بن خميس، معجم اليمامة، ج٥/٤٤٢.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، حديث رقم ٤٣٧٢.

تصدير القمح إلى قريش بعد إسلامه، فطلب أهل مكة شفاعة النبي ﷺ لكي يعيد إليهم تجارة القمح، وكان من أشهر زعمائها هوذة بن علي الحنفي الذي كتب له الرسول ﷺ كتاباً، وكان في نواحي جو الخضارم (الخرج)، وكان حاكماً في بني حنيفة، فكتب له ﷺ في السنة السادسة للهجرة ضمن من كتب إليهم من الملوك والأمراء. وجاء في الكتاب: ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك، فلما قدم عليه سليط بن عمرو العامري بكتاب النبي ﷺ مختوماً أنزله وحيّاه وقرأ عليه الكتاب، فرد رداً دون رد، وكتب إلى النبي ﷺ ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل إلى بعض الأمر اتبعك، وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر، فقدم بذلك على النبي ﷺ فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه وقال لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه)).[1] وقد حمل الرسالة (سُليط بن عمرو العامري)، وهو صحابي جليل

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/ ٦٩٦.

من مهاجري الحبشة من المسلمين الأوائل، حمل أهله في هجرة الحبشة وولد له هناك.(١)

ولما وصلت الرسالة إلى هوذة بن علي كان عنده رجل من عظماء نصارى دمشق الشام، فسأله عن النبي ﷺ وحدثه بكتابه الذي جاءه من النبي ﷺ، ورد هوذة عليه، وأنه خاف على ملكه فقال له: (لئن أتبعته ليملكنك، فإن الخيرة لك في اتباعه، وإنه للنبي العربي الذي يبشر به عيسى، وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله).(٢)

ومن الواضح إصرار هوذة على عدم الإسلام رغم كتابة الرسول ﷺ له، حيث إن اشتراطه وعدم إسلامه دعا النبي ﷺ إلى الدعاء عليه: ((باد وباد ملكه))، وهذا ما حصل، فبعد انصراف الرسول ﷺ من غزوة فتح مكة ((جاءه جبريل عليه السلام بأن هوذة قد مات، فقال النبي ﷺ أما أن اليمامة سيخرج فيها كذاب يُقتل بعدي))، فقال قائل: يا رسول الله من يقتله؟ فقال له رسول الله ﷺ أنت

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٢/٧١.
(٢) ابن القيم، زاد المعاد ج ٣ / ٦٩٧.

وأصحابك)).[١]

وحينما قدم وفد بني حنيفة في السنة التاسعة للهجرة[٢] كان معهم مسيلمة الكذاب، الذي قال: (إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه. فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أُريت فيه ما رأيت. وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني وانصرف)).[٣]

وقد ارتد مسيلمة ومن معه من بني حنيفة أواخر عهد النبي ﷺ وادعى النبوة، وأصبح يسجع للناس كلاماً هراءاً لا فائدة فيه، يزعم أنه قرآن وفتن الناس به، واتبعوه عصبية له، حتى كان بعضهم يقول: (كذاب ربيعة خير

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ٦٩٦/٣.

(٢) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن آثال، ج٥/١١٧.

(٣) من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ج٥/١١٨.

مـن صـادق مضـر)، [١] حيـث زعـم أنـه أشـرك في الأمـر معـه، وكتـب إلى رسـول الله ﷺ كتاباً جـاء فيـه: (مـن مسـيلمة رسـول الله إلى محمـد رسـول الله: سـلام عليـك، أمـا بعـد فـإني قـد أشـركت في الأمـر معـك، وإن لنـا نصـف الأرض ولقـريش نصـف الأرض ولكـن قريشـا قـوم يعتـدون).[٢] فـرد عليـه الرسـول ﷺ ومما جـاء فيـه: ((بسـم الله الـرحمن الـرحيم مـن محمـد رسـول الله، إلى مسـيلمة الكـذاب: السـلام علـى مـن اتبـع الهـدى. أمـا بعـد فـإن الأرض لله يورثهـا مـن يشـاء مـن عباده والعاقبة للمتقين)).[٣]

اشـتدت الـردة، وأعـدّ مسـيلمة جيوشـاً لقتـال المسـلمين والهجـوم علـى المدينـة، وكـان بنـو حنيفـة في اليمامـة أتبـاع مسـيلمة الكـذاب أخطـر المرتـدين علـى المسـلمين في المدينـة، حيـث كـان لـديهم جـيش يزيـد علـى أربعـين ألـف مقاتـل، كمـا كـان فـيهم عصـبية قويـة دفعـتهم للتجمـع حـول مسـيلمة وإظهـار الاسـتعداد لقتـال المسـلمين، بـل وحتـى مهاجمـة

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢٤٦.

(٢) انظر تخريجه عند: محمد حميد الله، الوثائق السياسية؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج ١/ ٢٧٣.

(٣) انظر تخريجه تحت رقم ٢٠٦ عند: محمد حميد الله، الوثائق السياسية.

المدينة نفسها لسهولة الوصول إليها، ولذلك كان من أوائل الجيوش المرسلة إليهم جيش يقوده [عكرمة بن أبي جهل] ﷺ، فلم يلق نجاحًا في مواجهته الأولى مع [مسيلمة]، ولذلك صرفه أبو بكر الصديق ﷺ إلى منطقة أخرى، وكان قد وجه [شرحبيل بن حسنة] مددًا لعكرمة فأمره بالتريث في طريقه إلى اليمامة ووجه [أبو بكر] ﷺ [خالد بن الوليد] ﷺ، وأمر [شرحبيل] بالانضمام إلى [خالد بن الوليد]، (١) واقترب الجيش من اليمامة، وعماده المهاجرون وعليهم [أبو حذيفة] و[زيد بن الخطاب] رضي الله عنهما ويحمل رايتهم [سالم] مولى أبي حذيفة (رضي الله عنهما)، والأنصار وعليهم [ثابت بن قيس بن الشماس]، ﷺ ولما قرب جند المسلمين علم بهم [مسيلمة] فخرج بجنده إلى (عقرباء) وعسكر بهم، وتمكن المسلمون من الوقيعة بإحدى سرايا [مسيلمة] وتقدر ما بين الأربعين إلى الستين رجل، ثم وقع اللقاء مع مسيلمة وقواته، وكان من أوائل القتلى رجل يسمى (الرجال بن عنفوة)، كان قد أظهر الإسلام والتقى بالنبي ﷺ ثم ارتد وتبع مسيلمة، وزعم الرجال أن مسيلمة قد أشرك مع النبي ﷺ في الرسالة، فكان

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٤٣

أشد فتنة لبني حنيفة من مسيلمة نفسه.[١]

واشتد القتال واجتهد فيه بنو حنيفه، وتمكنوا من فك بعض أسراهم في السرية الأولى، واهتزت صفوف المسلمين، وكادت أن تقع بهم الهزيمة، ثم تداعى المسلمون للثبات، وقاتلوا ببسالة. وكان من هؤلاء ثابت بن قيس بن الشماس ﷺ حامل لواء الأنصار الذي قال: بئس ما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين، اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء يعني أهل اليمامة، واعتذر إليك مما يصنع هؤلاء يعني المسلمين، ثم قاتل حتى قتل، وقال أبو حذيفة ﷺ: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال.[٢] واشتد القتال وكان في أوله في صالح بني حنيفة، ثم أصبح سجالاً، ثم أمر خالد بن الوليد الناس بأن يمتازوا وتكون كل فئة وقوم لوحدهم حتى يُرى من أين يؤتى الناس، وكان القتال شديدًا، وكان أكثر الناس تحملاً من المسلمين أهل القرآن من المهاجرين والأنصار، أكثر قتلى المسلمين منهم، وشعار المسلمين يوم ذاك: يا محمداه، حيث إنهم حديثو عهد بوفاته ﷺ. وثبت

---

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٠٦؛ تاريخ الإسلام وعصر الراشدين، ص ٤٠.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٤٨.

مسيلمة في أول الأمر ثم انهزم عنه قومه، وقد دعا [خالد] رضي الله عنه [مسيلمة الكذاب]، فعرض عليه أشياء رفضها مسيلمة، وأصر على مواصلة القتال، فقاتله خالد بنفسه حتى أزاله فهرب وهرب معه أصحابه، فركبهم المسلمون وأخذوا يقتلون فيهم، ولاحت بشائر النصر للمسلمين، فقال أصحاب مسيلمة له أين ما كنت تعدنا؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم، وتنادوا الحديقة! الحديقة!، ليلجأوا إلى حديقة لمسيلمة مسورة ومحصنة، والتجأ مسيلمة ومعه سبعة آلاف من قوات بني حنيفة إلى تلك الحديقة، وأغلقوا على أنفسهم وتحصنوا، فلحق بهم شجعان المسلمين ومعهم [البراء بن مالك] أخو خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك (رضي الله عنهما)، وكان كالأسد في شجاعته، فلما رأى المسلمين حائرين في الأسوار، أقسم عليهم البراء أن يحملوه ويلقوه على السور ليحاول فتح الأبواب للمسلمين، وامتنع المجاهدون عن ذلك خوفًا عليه من أن يقتحم عليهم وحيدًا، فلما رأوا إصراره ألقوه على السور، فقاتل حتى تمكن من فتح الأبواب للمسلمين. ودخل عليهم المسلمون الحديقة واشتد القتل في الفريقين، وتمكن المسلمين من قتل مسيلمة الكذاب، وقد اشترك في قتله أحد الأنصار مع

وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

ولما علم بنو حنيفة بمقتله انهزموا وأخذتهم سيوف المسلمين. ثم أن أحد أسرى [خالد] رضي الله عنه من زعماء بني حنيفة طلب أن يصالح خالدًا عن بني حنيفة، وخدعه بأن بقية الحصون ملأى بالرجال، وأن لهم كَرَة على المسلمين، وكانت نساء بني حنيفة قد لبسن السلاح، وأخذن يظهرن أنفسهن من على الحصون، فظن المسلمون أن لجيوش بني حنيفة بقية، فصالح ذلك الزعيم خالًدا عن قومه بوقف الحرب بشروط، ثم اكتشف المسلمون أنه ليس في الحصون إلا النساء والضعفاء، فوفوا لهم. وجاء أمر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقتل كل محتلم من القوم، ولكنه بعد أن علم بهذا الصلح أمضاه.

وقد انتهت بذلك ردة بني حنيفة وقُتل كذابهم، ثم عادوا بعد ذلك إلى الإسلام.[1] وأبلى بعض منهم بلاءً حسنًا أيام الفتوح.

وقد استشهد جمع كبير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة، كان فيهم جماعة ممن شهدوا بدرًا وأحدًا والمشاهد

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١١٠؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٢٥٣.

مع النبي ﷺ. وقد بلغ عدة الشهداء ثلاثمائة وستين من الأنصار وثلاثمائة من المهاجرين، إضافة إلى بعض الأعراب، كما بلغ عدة من قتل من بني حنيفة عشرين ألفًا،(١) وكان معظم قتلى المسلمين في اليمامة من حملة القرآن فعمل المسلمون على جمعه بعد ذلك.(٢)

وقد ذكر أن لبني حنيفة بعد ذلك دور في التأليب على عثمان بن عفان رضي الله عنه وقتله وإحداث الفتنة بين المسلمين.

كتابه إلى المنذر بن ساوي العبدي في البحرين:-

البحرين اسم جامع لمناطق بين عمان والبصرة على ساحل البحر، ومن مدنها الرئيسية هجر وجواثا والقطيف وإقليم الإحساء كاملاً، ومن عمالها الفرس سيبخت ومن العرب المنذر بن ساوي العبدي،(٣) الذي كان تحت سلطة الفرس، والبحرين مناطق حضرية فيها هجر المدينة المشهورة وفيها قبائل في بواديها، إضافة إلى سكان المدن من

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٥٢؛ العُمري، الفتوح عبر العصور، ص ١٠ – ١٠٦.

(٢) صحيح البخاري، باب جمع القرآن، ج٩/٨.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٣٤٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٩٠؛ ابن سعد، الطبقات، ج١/٢٦٣.

الحضر من مزارعين وغيرهم، وكان فيهم خليط من المجوس واليهود والعرب ومنهم نصارى .

وقد ورد أن الرسول ﷺ كتب إلى المنذر بن ساوي كتاباً قرأه على أهل البحرين فأسلم بعضهم وكره بعضهم الإسلام، فكتب إلى الرسول ﷺ في ذلك فرد عليه ﷺ بكتاب جاء فيه : ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية)).[(١)]

وكان حامل الرسالة هو العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، وذلك في السنة الثامنة للهجرة، وقد انتشر الإسلام في البحرين،

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج٦٩٢/٣.

فكـان بعـض أهلـها يـدفعون الزكـاة والـبعض الآخـر مـن النصارى والمجوس يدفعون الجزية.[١]

وقـد أصـبحت البحـرين جـزءاً مـن الدولـة الإسـلامية في أواخـر العصـر النبـوي، وقـد بعـث الرسـول ﷺ إليهـا مجموعـة مـن الـولاة، نظـراً لوجـود العديـد مـن القـرى فيهـا، وكـان مـن أشـهر ولاة البحـرين خـلال العصـر النبـوي الصـحابي الجليـل (العـلاء ابـن الحضـرمي)،[٢] وقـد بعـث معـه الرسـول ﷺ بعـض الصـحابة مـنهم أبـو هريـرة ﷺ. وقـد دارت بينـه وبـين الرسـول ﷺ العديـد مـن المراسـلات الـتي تتعلـق بشـئون الولايـة. وكـان الرسـول ﷺ يبعـث بعـض أصـحابه إلى العـلاء ليحضـر الجزيـة المفروضـة علـى المجـوس في البحـرين إلى المدينـة المنـورة،[٣] وكـان مـن هـؤلاء المبعـوثين (أبـو عبيـدة بـن الجـراح) ﷺ وأسـتمر العـلاء واليـاً للبحـرين أيـام الرسـول ﷺ. والـراجح أن الرسـول تـوفي والعـلاء علـى البحـرين، وقـد أقـره أبـو بكـر علـى ولايتـه بعـد وفـاة الرسـول ﷺ، كمـا أقـره عمـر بعـد وفـاة

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٣٤٨.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٢٦٢.

(٣) انظـر: صـحيح البخـاري، كتـاب المغـازي، قصـة عُمـان والبحـرين، ج٥/١٢١.

أبي بكر (رضي الله عنهما).[١]

وكان للعلاء بن الحضرمي دور كبير في جهاد المرتدين في البحرين حيث ارتدت معظم قبائل البحرين بعد وفاة الرسول ﷺ وقد استطاع العلاء بتوجيه من أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يقضي على الردة، ويعيد البحرين إلى صف الإسلام مرة أخرى، وبعد هذا الفتح وجه العلاء بخمس الغنائم إلى أبي بكر الصديق، وقد أقره الصديق على البحرين طيلة خلافته، حيث كانت البحرين تنعم بالاستقرار بقية أيام أبي بكر تحت ولاية العلاء بن الحضرمي، الذي جرت بينه وبين أبي بكر العديد من المراسلات التي تتعلق بشئون ولاية البحرين.[٢]

فروة بن عمرو الجذامي:

كان أميراً على أطراف الشام مما يلي بلاد العرب، وكان مرتبطاً بالروم ومقره معان من نواحي الأردن.[٣]

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٢٣.

(٢) العُمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٥٣ — ٥٥؛ وانظر: بعض تلك المراسلات عند محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٣٤٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩١.

أســـلم وكتـــب إلى رســـول الله ﷺ بإســـلامه، وبعـــث بهـــدايا لرســـول الله ﷺ، فكتـــب إليـــه رســـول الله ﷺ كتابـــاً جـاء فيـه: ((مـن محمـد رسـول الله إلى فـروة بـن عمـرو، أمـا بعـد فقـد قـدم علينـا رسـولك وبلّـغ مـا أرسـلت بـه وخبّـر عمّـا قـبلكم وأتانـا بإسـلامك، وإن الله هـداك بهـداه إن أصـلحت وأطعـت الله ورسـوله وأقمـت الصـلاة وآتيـت الزكـاة، وأمـر بـلالاً فـأعطى رسـوله مسـعود بـن سـعد اثـنتي عشـرة أوقيـة ونشّـاً، قـال: وبلـغ ملـك الـروم إسـلام فـروة فـدعاه فقـال لـه: أرجـع نملكـك، قـال: لا أفـارق ديـن محمـد وإنـك تعلـم أن عيسـى قـد بشـرّ بـه ولكنـك تضـن بملكـك، فحبسـه ثـم أخرجـه فقتلـه وصـلبه)).[1] ومـع محاولـة رده عـن إسـلامه فإنـه ثبـت عليـه وقتـل شـهيداً، وقـد قـال أبياتـاً تـدل علـى ثباتـه علـى الإسـلام قبـل قتلـه ومنهـا قوله:

بلغ سراة المسلمين بأنني

سلم لربي أعظمي وبناني[2]

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج١/٢٨١؛ ابن الجوزي، وفاء الوفاء، ج٢/٧٤٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٥٩٢.

ولعل لمقتله دوراً في تحريك غزوة مؤتة مع أسباب أخرى، [(١)] وقد عرف بعد ذلك وجود عدد من جذام ثابتين على الإسلام دافعوا عن دحية بن خليفة الكلبي حين تعرضت قافلته للإغارة من بعض القبائل، [(٢)] وجاء أنه أهدى لرسول الله ﷺ فرساً قبل قتله من قبل الروم. [(٣)]

رسائل الرسول ﷺ إلى ملكي عُمان:-

تقع عُمان في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية، على ساحل الخليج العربي وبحر العرب (خليج عُمان)، وحدودها في العصر النبوي قريبة من الحدود الحالية المعروفة لعمان المعاصرة، [(٤)] وتتصل بحضرموت من الغرب، وبمنطقة البحرين من الشمال، تشتهر بزراعة النخيل وإنتاجها الحيواني الوفير، وعلاقاتها التجارية البحرية مع الهند وغيرها. كانت بها دولة توارثها آل

---

(١) انظر علي العتوم، غزو مؤتة، ص ١٠٤ .

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦١٢؛ وانظر: د. علي العتوم، تجربة مؤتة ص١٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج١/٤٩٠؛ وابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢/٤٢٢؛ وفاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية، ص ١٣١.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/١٥٠؛ وانظر: عبدالمنعم عبدالحميد سلطان، تاريخ عمان والخليج في صدر الإسلام، ص ١٣.

الجلنــدي وعاصــمتها صُــحار، وأشـــهر قبائلـــها الأزد، ومنهم الملوك.

وكانــت الوثنيــة تســود في عمــان كغيرهــا مــن بــلاد العــرب، مــع وجــود أفــراد مــن المجــوس، وأفــراد مــن النصارى لا تـأثير يـذكر لهـم، وقـد وصلت أخبار الإسـلام مبكــرة إلى عمــان [١] بحكــم احتكاكهــا بقبائــل العــرب، ســواء في البحــرين أم في الـيمن وحضــرموت، وبعــد عــودة الرســول ﷺ مــن عمــرة القضــاء في الســنة الســابعة للــهجرة كتــب كتابــاً إلى جيفــر وعبــاد أبــني الجلنــدي يــدعوهما فيــه إلى الإســلام وبعثــه مــع عمــرو بــن العــاص، [٢] وجــاء في الكتــاب: ((بســم الله الــرحمن الــرحيم مــن محمــد بــن عبــد الله إلى جيفــر وعبــد ابــني الجلنــدي ســلام علــى مــن اتبــع الهــدى أمــا بعــد: فــإني أدعوكمــا بدعايــة الإســلام أســلما تسلما فـإني رسـول الله إلى النـاس كافـة لأنـذر مـن كـان حيـا

(١) عبـد المنعم عبـد الحميـد سـلطان، تـاريخ عمـان والخلـيج في صـدر الإسـلام، ص ٢٦.

(٢) هنالــك آراء مختلفــة حــول بعــث عمــرو يــرجح بعضــها الســنة الثامنــة أو غيرهــا، انظــر: عبــد المنعم عبـد الحميـد سـلطان، تـاريخ عمـان والخلـيج في صدر الإسلام، ص ٢٨.

ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما)).(١)

ويقص عمرو بن العاص وصوله إلى عمان وكيفية مقابلته الملكين وما دار بينه وبينهما فيقول: (قال عمرو فلما قدمت عُمان عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خُلقاً فقلت: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك، فمكثت أيامًا ببابه ثم إنه دعاني فدخلت عليه فدفعت إليه الكتاب مختومًا ففض خاتمه، وقرأه حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه إلا أني رأيتَ أخاه أرق منه فقال: دعني يومي هذا وارجع إليّ غدا، فلما كان الغد رجعت إليه فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي قلت: فإني خارج غدًا، فلما أيقن بمخرجي أصبح فأرسل إليّ فدخلت عليه، فأجاب

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٩٣؛ وانظر: تخريجه عند: محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ١٤٦.

إلى الإسلام هو وأخوه جميعًا، وصدقا بالنبي ﷺ وخليا بيني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عونًا على من خالفني فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم).[1]

ويظهر أن هناك حواراً طويلاً دار بين عمرو بن العاص وبين الملكين، تركز حول موقف الملوك الآخرين من رسائل الرسول ﷺ ومن دعوته، وعن قومه قريش وما حصل منهم، حيث أخبرهم عمرو بإسلام النجاشي وقبوله الدعوة، وعن موقف هرقل من إسلام النجاشي، كما دارت بينهم مناقشة حول الصدقة وفرائض الزكاة ومن يستحقها، وجوهر دعوة الرسول ﷺ.

وبالطبع اقتنع الملكان بالإسلام وتركا عمرو بن العاص يؤدي مهمته في الزكاة، بأخذها من الأغنياء وردها على الفقراء، بقية حياة الرسول ﷺ. ويظهر أنه كان يشاركه في المهمة أبو زيد الأنصاري[2]، حيث

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ١/ ٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٩٣؛ وانظر: عبد المنعم عبد الحميد سلطان، تاريخ عمان والخليج في صدر الإسلام، ص ٣٠ ؛ وأبو زيد

ساهم في تعليم الناس القرآن وسنة رسول الله ﷺ، كما كان للعلاء بن الحضرمي أمير البحرين نوع من العلاقة ببعض الأعمال في عمان، [(١)] وقد أستمر عباد وجيفر على مُلك عمان، بقية حياة الرسول ﷺ.

وحدثت ردة في عمان بعد وفاة الرسول ﷺ تمكن أبو بكر الصديق ﷺ بمساعدة جيفر وعباد ملكي عمان من التصدي لها، بعد معارك متعددة قادها حذيفة بن محصن وعكرمة بن أبي جهل في نواحي دُبا، [(٢)] وقابل عدد من أهل عُمان أبا بكر الصديق ﷺ في بداية خلافته مؤيدين ثابتين على الإسلام فأثني عليهم وعلى ثباتهم رغم اضطراب الأحوال بعد وفاة الرسول ﷺ. [(٣)] وكان لقبائلها دور مهم في الفتوح الإسلامية في عصر الراشدين وخصوصاً في العراق وفارس.

هو ثابت الأنصاري والد زيد بن ثابت الأنصاري، الذي جمع القرآن؛ ابن حجر، الإصابة ج١/١٩٣.

(١) العُمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٤٦.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٩٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٨٧، ودُبا: مدينة عمانية بها سوق من أسواق العرب المشهورة في العصر الجاهلي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/٤٣٤.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٢، ٢٦٣.

كتابه إلى الحارث بن أبي شمر الغساني:-

كان الحارث أميراً على نواحي البلقاء من أرض الشام وبعض نواحي دمشق.[١] وكان تابعاً للروم متعصباً للنصرانية.

وقد كتب له رسول الله ﷺ رسالة جاء فيها: ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك)).[٢] وقد غضب الحارث، ورمى الرسالة. وكان حامل الرسالة شجاع بن وهب الأسدي،[٣] وهدد وتوعد وكتب إلى قيصر يستأذن في الهجوم على الرسول ﷺ في المدينة، فنهاه عن ذلك وقال لا تسر إليه واله عنه.[٤]

جبلة بن الأيهم الغساني:-

(١) فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ٨٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج١/٥٦١؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج٤/٦٩٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤/٤٦٨.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٠٧؛ وابن حجر، الإصابة، ج ١٣٨/٢.

(٤) الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣/٣٠٦.

كـان جبلـة بـن الأيهـم آخـر ملـوك الغساسـنة المشـهورين في الشـام قبـل الإسـلام.[١] وكـانوا مقصـد العـرب وشـعرائهم في الجاهليـة وتـربطهم بـالأوس والخـزرج وشـائج قـرب، يـزورهم حسـان بـن ثابـت وغـيره مـن شـعراء يثـرب قبـل الإسـلام فيمدحونهم وينالون من عطاياهم.

وكـانوا تبعـاً للـروم، إلا أنهـم يملكـون نصـارى العـرب في الشـام، وقـد كتـب الرسـول ﷺ كتبـاً إلى جبلـة بـن الأيهـم ملـك غسان يدعوه إلي الإسلام.[٢]

وقـد حمـل الرسـالة شـجاع بـن وهـب الأسـدي، وكـان يعـرف صـلة النسـب بـين الأنصـار والغساسـنة، ودار حـوار بـين شـجاع وجبلـة جـاء فيـه: أن شـجاعاً قـال لـه: يـا جبلـة إن قومـك نقلـوا هـذا الـنبي مـن داره إلى دارهـم ــ يعـني الأنصـار ــ فـآووه ومنعـوه ونصـروه، وإن هـذا الـدين الـذي أنـت عليـه لـيس بـدين آبائـك ولكنـك ملكـت الشـام وجـاورت الـروم، ولـو جـاورت كسـرى دنـت بـدين الفـرس، فـإن أسـلمت أطاعتـك الشـام وهابتـك الـروم وإن لم يفعلـوا كانـت لهـم

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧٢.

(٢) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٣/٦٠٧؛ ابـن سـعد، الطبقـات الكـبرى، ج٨/٢٦٥؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج١١/٣٥٩.

الـدنيا وكانـت لـك الآخـرة، وقـد كنـت اسـتبدلت المسـاجد بـالبيع، والأذان بالنـاقوس، والجمـع بالشـعانين،[١] وكـان مـا عنـد الله خـير وأبقـى. قـال جبلـة: إنـي والله لـوددت أن النـاس اجتمعـوا علـى هـذا الـنبي اجتمـاعهم علـى مـن خلـق السـموات والأرض، وقـد سـرّني اجتمـاع قـومي لـه، وقـد دعـاني قيصـر إلى قتـال أصـحابه يـوم مؤتـة فأبيـت عليـه، ولكـني لسـت أرى حقا ولا باطلا وسأنظر).[٢]

ولـيس واضـحاً إسـلامه زمـن الـنبي ﷺ، ولكـن مـن الواضـح وجـود فهـم لديـه بالإسـلام ومحبـة منـه لمـا جـاء بـه الـنبي ﷺ، وإن لم يعلـن إسـلامه، وقـد شـارك قومـه في معركـة اليرموك مع الروم وقيل أنه كان معهم[٣] في القتال.

وقـد أظهـر الإسـلام وقـدم المدينـة زمـن عمـر بـن الخطـاب ؓ ومعـه عـدد مـن فرسـان قومـه، ودخلوهـا في هيئـة وزينـة

(١) يقـال للرجـل أشـعث الـرأس: أي ثـائر الـرأس سـيئ المنظـر قليـل النظافـة والترتيـب ولعلـه أراد النظافـة والغسـل ليـوم الجمعـة، وانظـر: الزبيـدي، تـاج العروس، ج٩/٢٥٤؛ والجوهري، الصحاح، ج٥/٢١٤٥.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣/٣٠٦.

(٣) الـبلاذري، فتـوح البلـدان، ص ١٨٤؛ ابـن كثـير، البدايـة والنهايـة، ج٨/٦٣.

لافتــة للنظــر،[1] وقــد سُــر عمــر بقــدوم جبلــة ومــن معــه مسـلمين، وقـد وقعـت حادثـة أدت إلى ردتـه وفـراره إلى الـروم (ذلـك أنـه وطء رداء رجـل مـن مزينـة بدمشـق، فلطمـه ذلـك المزنـي، فدفعـه أصـحاب جبلـة إلى أبـي عبيـدة فقـالوا: هـذا لطـم جبلـة. قـال أبـو عبيـدة: فيلطمـه جبلـة. فقـالوا: أو مـا يقتـل؟. قـال: لا!. قـالوا: فمـا تقطـع يـده؟. قـال: لا، إنمـا أمـر الله بـالقود. فقـال جبلـة: أتـرون أنـي جاعـل وجهـي بـدلا لوجـه مـازني جـاء مـن ناحيـة المدينـة؟ بـئس الـدين هـذا. ثـم ارتـد نصـرانيا، وترحـل بأهلـه حتـى دخـل أرض الـروم، فبلـغ ذلـك عمـر فشـق عليـه وقـال لحسـان: إن صـديقك جبلـة ارتـد عـن الإسـلام. فقـال: إنـا لله وإنـا إليـه راجعـون. ثـم قـال: ولِـمَ؟ قـال: لطمـه رجـل مـن مزينـة. فقـال: وحـق لـه، فقـام إليـه عمـر بالدرة فضربه.

وقيـل إن عمـر لمـا بلغـه إسـلام جبلـة فـرح بإسـلامه، ثـم بعـث يسـتدعيه لـيراه بالمدينـة. وقيـل: بـل اسـتأذنه جبلـة في القـدوم عليـه فـأذن لـه، فركـب في خلـق كـثير مـن قومـه. قيـل: مائـة وخمسـين راكبـاً. فلمـا سـلم علـى عمـر رحـب بـه عمـر

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/٦٣.

وأدنـى مجلسـه، وشـهد الحـج مـع عمـر في هـذه السـنة، فبينمـا هـو يطـوف بالكعبـة إذ وطء إزاره رجـل مـن بـني فـزارة فانحـل، فرفـع جبلـة يـده فهشـم أنـف ذلـك الرجـل. فاسـتعدى عليـه الفـزاري إلى عمـر ومعـه خلـق كـثير مـن بـني فـزارة، فاستحضـره عمـر فـاعترف جبلـة. فقـال لـه عمـر: أقدتـه منـك؟. فقـال: كيـف، وأنـا ملـك وهـو سـوقة؟. فقـال: إن الإسـلام جمعـك وإيـاه، فلسـت تفضـله إلا بـالتقوى. فقـال جبلـة: قـد كنـت أظـن أن أكـون في الإسـلام أعـز مـني في الجاهليـة. فقـال عمـر: دع هـذا عنـك، فإنـك إن لم تـرضِ الرجـل أقدتـه منـك. فقال: إذاً أتنصر. فقال: إن تنصرت ضربت عنقك.

فلمـا رأى الجـد قـال: سـأنظر في أمـري هـذه الليلـة، فانصـرف مـن عنـد عمـر، فلمـا ادلهـمّ الليـل ركـب في قومـه ومـن أطاعـه، فسـار إلى الشـام ثـم دخـل بـلاد الـروم، ودخـل علـى هرقـل في مدينـة القسـطنطينية، فرحـب بـه هرقـل وأقطعـه بـلاداً كـثيرة، وأجـرى عليـه أرزاقـا جزيلـة، وأهـدى إليـه هـدايا جميلة، وجعله من سمّاره، فمكث عنده دهراً.

ثـم إن عمـر كتـب كتابـا إلى هرقـل مـع رجـل يقـال لـه: جثامة بن مساحق الكناني.

فلمـا بلـغ هرقـل كتـاب عمـر بـن الخطـاب قـال لـه هرقـل:

هل لقيت ابن عمك جبلة؟.

قال: لا!.

قال: فالقه، فذكر اجتماعه به وما هو فيه من النعمة والسرور والحبور الدنيوي، في لباسه وفرشه ومجلسه وطيبه وجواريه، حواليه الحسان من الخدم والقيان، ومطعمه وشرابه وسروره وداره التي تعوض بها عن دار الإسلام.

وذكر أنه دعاه إلى الإسلام والعود إلى الشام فقال: أبعد ما كان مني من الارتداد؟.

فقال: نعم! إن الأشعث بن قيس ارتد وقاتلهم بالسيوف، ثم لما رجع إلى الحق قبله منه وزوجه الصديق بأخته أم فروة. قال: فالتهى عنه بالطعام والشراب، وعرض عليه الخمر فأبى عليه، وشرب جبلة من الخمر شيئا كثيرا حتى سكر، ثم أمر جواريه المغنيات فغنينه بالعيدان من قول حسان يمدح بني عمه من غسان، والشعر في والد جبلة:

لله در عصابةٍ نادمتهم

يوماً بجلق في الزمان الأول

أولاد جفنة حول قبر أبيهم

قبر ابن مارية الكريم المفضــل

قال: فأعجبه قولهن ذلك.

ثــم قــال: هــذا شــعر حســان بــن ثابــت الأنصــاري فينــا وفي ملكنا.

ثــم قــال لــي: كيــف حالــه؟ قلــت: تركتــه ضــريراً شــيخاً كبيراً.

ثم قال لهن: أطربنني، فاندفعن يغنين لحسان أيضا:

لمن الديار أوحشت بمعـــــان

بين أعلا اليرموك فالصـــمان

فالقريات من يلامس فداريـا

فكساء لقصور الـــــــدواني

فقفا جاسمٍ فأودية الصــــفر

مغنى قبائلٍ وهجــــــــــــان

ثـم قـال: هـذا لابـن الفريعـة حسـان بـن ثابـت فينـا وفي ملكنـا وفي منازلنا بأكناف غوطة دمشق.

قـال: ثـم سـكت طـويلا، ثـم قـال لهـن: بكيـنني، فوضـعن

عيدانهن ونكسن رؤوسهن وقلن:

تنصرت الأشراف من عار لطمةٍ
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها اللــــــجاج ونخوةٌ
وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلــدني وليتني
رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفـرةٍ
وكنت أسيراً في ربيعة أو مـــــــضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشةٍ
أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريــــــعةٍ
وقد يصبر العود الكبير على الــدبر

قــال: فوضــع يــده علــى وجهــه فبكــى، حتــى بــلّ لحيتــه بدموعــه وبكيــت معــه، ثــم اســتدعى بخمســمائة دينــار هرقليــة فقــال: خـــذ هـــذه فأوصـــلها إلى حســـان بـــن ثابـــت، وجـــاء

بأخرى فقال: خذ هذه لك.

فقلت: لا حاجة لي فيها ولا أقبل منك شيئا وقد ارتددت عن الإسلام)، [1] ولعل هذه القصة التي مرت معنا فيها شيء من الطول - ومحل نظر- إلا أن في إيرادها فائدة لمعرفة ما وصلت إليه حال جبلة الذي آثر الدنيا على الآخرة على منهج هرقل.

كتابه ﷺ إلى يحنّة بن رؤبة وزعماء أيلة:-

أيلة ميناء يقع غربي خليج العقبة من ناحية فلسطين، [2] وهو مكان ميناء إيلات في فلسطين المحتلة، وكانت بلدة حضرية يقطنها خليط من السكان اليهود والنصارى، ويتزعمهم يحنّة بن رؤبة وهو من زعماء النصارى في المنطقة.

وحينما وصل الرسول ﷺ إلى تبوك أثناء غزوتها اختار وفداً بعثهم إلى أيلة، برسالة إلى زعيمها يحنّة بن رؤبة وجاء

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ٦٣- ٦٦، حوادث سنة ٥٤هـ. (بتصرف).

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٢٩٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٧٠.

في الرسالة الموجهة إليه وإلى زعماء أيلة ((إلى يحنّة بن رؤبة وسروات أهل أيلة سلم أنتم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو فإني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب إليكم، فأسلم أو أعط الجزية، وأطع الله ورسوله ورسل رسوله، وأكرمهم وأكسهم كسوة حسنة غير كسوة الغزاء، واكس زيداً كسوة حسنة، فمهما رضيت رسلي فإني قد رضيت وقد علم الجزية، فإن أردتم أن يأمن البر والبحر فأطع الله ورسوله ويمنع عنكم كل حق كان للعرب والعجم إلا حق الله وحق رسوله، وإنك إن رددتهم ولم ترضهم لا آخذ منكم شيئا حتى أقاتلكم، فأسبي الصغير وأقتل الكبير فإني رسول الله بالحق أؤمن بالله وكتبه ورسله وبالمسيح بن مريم أنه كلمة الله، واني أؤمن به أنه رسول الله وآت قبل أن يمسكم الشر، فإني قد أوصيت رسلي بكم، وأعط حرملة ثلاثة أوسق شعيرا، وإن حرملة شفع لكم وإني لولا الله وذلك لم أراسلكم شيئا حتى ترى الجيش، وإنكم إن أطعتم رسلي فإن الله لكم جار ومحمد ومن يكون منه وإن رسلي شرحبيل وأبي وحرملة وحريث بن زيد الطائي فإنهم مهما قاضوك عليه فقد رضيته، وإن لكم ذمة الله وذمة محمد رسول الله، والسلام عليكم إن أطعتم وجهزوا أهل

مقنا[(١)] إلى أرضهم)).[(٢)]

وقد كان هذا الخطاب فيه أمان واضح لأيلة و أهلها حال رغبوا ذلك، وفيه تهديد صريح لهم ولتجارتهم البرية والبحرية حال عصيانهم، حيث كانت مدينتهم ملتقى السفن من اليمن وغيرها ومحطة الوصول إلى الشام فخشي يحنّة من العواقب، وقدم إلى رسول الله ﷺ في تبوك ومعه جماعة من أهل الشام ومن اليمن ومن سيارة البحر وتجاره، وكان يحنّة يلبس ملابس النصارى وفيها صلبان من ذهب وغيرها.[(٣)]

وقد استقبله الرسول ﷺ ومن معه، وعقد معه معاهدة كان فيها نصّ على أمان السفن. وهذا يعني وعي الرسول ﷺ بالحركة والتجارة البحرية وأهمية تأمينها.

---

(١) مقنا: قرية بالقرب من أيله كان يقطنها يهود، البكري، معجم ما استعجم، ج١/٢١٧ و ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٢٩٢(وتوجد حالياً قرية قرب حقل شمال غرب المملكة، تسمى بهذا الاسم)

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/٢٧٧، ٢ ٧٨

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/٢٩٠؛ الواقدي، المغازي، ج٣/١٠٣١.

وقـد جـاء في نـص المعاهـدة: ((بسـم الله الـرحمن الـرحيم هـذه أمنـة مـن الله، ومحمـد الـنبي رسـول الله ليحنّـة بـن رؤبـة وأهـل أيلـة، لسـفنهم وسـيارتهم في الـبر والبحـر لهـم ذمـة الله وذمـة محمـد رسـول الله، ولمـن كـان معهـم مـن أهـل الشـام، وأهـل الـيمن، وأهـل البحـر، ومـن أحـدث حـدثا فإنـه لا يحـول مالـه دون نفسـه. وإنـه طيبـة لمـن أخـذه مـن النـاس وإنـه لا يحـل أن يمنعـوا مـاء يردونـه ولا طريقـا يريدونـه مـن بـر أو بحـر. هـذا كتـاب جهـيم بـن الصـلت وشـرحبيل بـن حسـنة بـإذن رسـول الله)).(١)

كـان واضـحاً لرسـول الله أهميـة تـأمين الطـرق البحريـة والبريـة لأهلـها، وكـان حريصـاً علـى إعطـاء ذلـك الأمـان لمـن يسـتحقه مـن التجـار، وهـذا واضـح في المعاهـدة الـتي سـبق ذكرها.

كانـت الرسـائل المختلفـة تحقيقـاً واقعيـاً وعمليـاً لعالميـة الرسـالة، وجهـد الرسـول ﷺ في تبليغهـا واهتمامـه بـأحوال البشـرية جمعـاء وعامـة النـاس مـع خاصـتهم، حيـث كـان يحـذر

---

(١) ابـن سـعد، الطبقـات الكـبرى، ج١/ ٢٨٩؛ أبـو عبيـد القاسـم بـن سـلام، الأموال، ص ٢٥٨

هؤلاء الزعماء أن يحولوا بين رعاياهم ومستضعفيهم وبين سماعهم لدعوة ربهم ومن أرسله الله إليهم .

كانت هذه الرسائل أكبر دليل على حرص الرسول ﷺ على أداء الرسالة، وأن السلام والدعوة بالحسنى هي الأساس الأول للدعوة، وأن دعاوى انتشار الإسلام بالسيف لا صحة لها على الاطلاق.

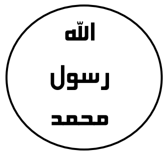
كما أوضحت هذه الرسائل وما تبعها من أحداث اهتمام زعماء النصرانية وقوادها، وعلى رأسهم هرقل، بدعوة الرسول ﷺ، ومعرفتهم بنبوته وصدقه، وتنبئهم بانتشار دين الإسلام على حساب أراضيهم ومناطقهم ودياناتهم، وهذا ما حدث في زمانهم ورأوه بأعينهم سواء هرقل أم المقوقس أم كسرى وغيره.

كما تدل الرسائل على إيمان الرسول ﷺ بنصر الله لدينه رغم الإمكانات البسيطة عنده وضعف أمته بالمقاييس المادية، وتحقق وعد الله لرسوله ﷺ.

كما أنه ﷺ أختار لحمل الرسائل أقدر الناس على تحقيق أهدافها والوصول لمن أرسلت إليه، والقدرة على التخاطب معه، ومعرفة طبيعة وعقائد المجتمعات التي

وجهوا إلى زعمائها ، كما تحلوا بالشجاعة والصبر والحكمة ، وقد كان في أسلوب رسائله ﷺ اختصار ووضوح وتحقيق للهدف منها ، واستشهاد بالآيات القرآنية الموجهة إليه ﷺ وإلى عامة الناس ، خصوصاً في حديثه مع زعماء النصرانية ، كما كان يُصّدرها بالبسملة ، ويؤكد فيها على عبادة الله وحدة لا شريط له.

وقد عرف ﷺ أن الملوك لا يقبلون كتاباً إلا بختم ، فصاغ خاتماً يؤدي المهمة وفيه أدب مع الله حيث جعل لفظ الجلالة في السطر الأول وكلمة رسول في السطر الثاني ومحمد في السطر الثالث بهذا الشكل :



روى أنس بن مالك ﷺ قال : لما أراد النبي ﷺ أن يكتب كتاباً إلى الروم قيل له إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً فاتخذ بيضة في يده ونقش فيه (محمد رسول الله).(١)

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعوة اليهود والنصارى، ج٣/٢٣٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٤٧؛ الكتاني، التراتيب الإدارية، ج٢/٦٥؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢/٣٩٩.

وقد خرجت هذه الرسائل بالإسلام خارج بلاد العرب للشعوب الأعجمية المختلفة.

كان في الأحداث المصاحبة لبعث الرسائل إعجاز من الرسول ﷺ، حيث حدثَّ عن تمزيق الله لملك كسرى، وقد حدث ذلك بعد أقل من عشر سنوات من رسالة الرسول ﷺ، حيث فتح المسلمون المدائن، وسقطت مملكة فارس على يد أصحاب رسول الله ﷺ ومنهم سلمان الفارسي الذي قال عنه الرسول ﷺ ((سلمان منّا أهل البيت)).

تعد هذه الرسائل وما حملته من مبادئ أسلوباً في التعامل الدولي وتأكيداً لعالمية الرسالة، ونقطة تحول في دولة الإسلام في زمن النبيﷺ وعلاقاتها بالعالم.

وتدل بعض الدراسات على وجود الأصول الجلدية لبعض هذه الرسائل التي ذكر منها، رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط، ورسالته ﷺ إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين، ورسالته ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة، ورسالته ﷺ إلى كسرى، ورسالته ﷺ إلى قيصر الروم.(١)

(١) انظر: التفصيلات الخاصة بهذه الأبحاث عند أبي الحسن الندوي، السيرة

ورغـم كتابـات المستشـرقين عـن هـذه الأصـول وإجـراء دراسـات معينـة عليهـا في بعـض المتـاحف العالميـة إلا أنـه ينبغـي الـتحفظ علـى مـا ذكـر حتـى تجـرى مزيـد مـن الأبحـاث والتحقيقات والمقارنات من الخبراء المختصين بها.

وهنـاك العديـد مـن الكتـب والرسـائل مـن الرسـول ﷺ لزعمـاء وملـوك ربمـا يكونـون أقـل أهميـة ممـن ذكرنـاهم، كمـا وجـه عـدد منهـا لقبائـل معينـة يصـعب الحـديث عنهـا جميعـاً وقـد صـدرت دراسـات خاصـة عنهـا ذات مـنهج علمـي واضح.(١)

ولاشـك أن ربـط أحـداث السـيرة، بعصـر الراشـدين، ومـا

النبويـة، ص ٢٩٢؛ومحمـد حميـد الله الوثـائق السياسـية للعهـد النبـوي والخلافـة الراشـدة، ص ١١؛ وخالـد سـيد علـي، رسـائل النـبي ﷺ إلى الملـوك والأمـراء، ص ١٨، ٣٠، ٤٤، ٥٥، ٦٢ ويشـكك د. محمـد غبـان في صـحة الأصـول المحفوظـة لهـذه الكتـب. انظـر: الوثـائق المكتوبـة مـن النبي ﷺ وإليه جمعاً ودارسة، ص ٦٧٥.

(١) انظر: ما كتبه محمد بن عبد الله غبان، مرويات الوثائق المكتوبة من النبي ﷺ، جمعاً ودراسة، وهي رسالة علمية أعدت لدرجة الدكتوراه بقسم التاريخ بكلية الدعوة وأصول الدين بالمدينة المنورة؛ وانظر محمد حميد الله، مصدر سابق، وخالد سيد علي، رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء.

جرى خلاله من فتوح بكتب الرسول ﷺ للملوك وأمراء هذه المناطق له أهمية خاصة، كما أن ربط رسائل الرسول لأهل تلك المناطق ودخولها وأهلها في الإسلام وبقاء شعوبهم إلى اليوم الحاضر ضمن أمة الإسلام وأتباع محمد ﷺ له أهمية لكل دارس للتاريخ ولانتشار الإسلام بين أهل تلك المناطق، ولتاريخ هذه المناطق المعاصر.

فتح خيبر (ربيع الأول سنة ٧هـ):- [(١)]

كان وفد اليهود الذين حرضوا الأحزاب على غزو المدينة قد تحرك من خيبر، كما أن يهود خيبر كانوا يخططون لغزو المدينة، وقد اتصلوا ببعض القبائل لهذا الغرض، حيث عقدوا حلفًا مع غطفان، وأخذوا يجمعون يهود خيبر ووادي القري وتيماء وما جاورها لضرب المدينة.[(٢)]

وقد تأكدت هذه المعلومات للمسلمين بعد عودتهم من غزوة الحديبية، حيث كان من عادة الرسول ﷺ تسقط أخبار اعدائه ومتابعتها، فكانت خيبر تجمعاً لأعداء جدد، فاستعد المسلمون لهذا الأمر. وفي الوقت نفسه كان يهود خيبر، يبثون الدعاية عن قوتهم، ويشيعون أن لديهم قرابة عشرة آلاف مقاتل يعدونهم

(١) منطقة زراعية تقع شمال الحجاز ، وبها مدينة حديثة حالياً، كان بها سبعة حصون لليهود زمن النبي ﷺ، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢/٤٠٩. (انظر: http://ar.wikipedia.org) بتاريخ ١٤٣٢/٣/٣٠هـ.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ /١٩١،٢٧٣،٣٣٠، الواقدي، المغازي، ج ٢/٥٣١، ٦٣٤؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤/١٨٠، ٤٦١.

لقتال الرسول ﷺ، وأن لديهم حصونًا منيعة، كما أنهم أخذوا يهددون المسلمين ويتوعدونهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة بواسطة بقايا اليهود في المدينة وبعض المنافقين فيها.(١)

وقد كانت ظروف المواجهة مع قريش مناسبة، نتيجة لصلح الحديبية الذي اتفق فيه المسلمون مع قريش على أن تتوقف الحرب بينهم عشر سنوات، فما كان من رسول الله ﷺ والمؤمنون معه إلا أن بادروا القوات اليهودية في خيبر قبل أن تبادرهم، حيث أخذ المسلمون استعدادهم وتوجهوا إليهم مع رسول ﷺ، وكانوا ألفًا وأربعمائة مقاتل.(٢)

وأثناء توجه المسلمين إلى خيبر، تحركت غطفان من نجد لمساعدة يهود خيبر، فعمل المسلمون على خديعتهم، حيث سربوا إليهم أخبارًا بأن بعض المسلمين قد توجهوا للإغارة على ديارهم الأصلية، فصدقت غطفان الخبر، ورجعت إلى ديارها تاركة يهود خيبر

---

(١) الواقدي، المغازي ج٢/٦٣٤، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥/١٨١.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ / ١٠٧.

لمصيرهم،(١) وفي الوقت نفسه فإن الرسول ﷺ تعمد أن ينزل على خيبر من ناحية الشام،(٢) أي في موقع بينها وبين ديار غطفان ليقف في وجه أي احتمال لغطفان أو ليهود شمال الحجاز في الوصول إلى ساحة المعركة أو مساعدة يهود خيبر.

وصل المسلمون ليلاً قرب خيبر فعسكروا ولم يتعرضوا لهم بأذى في الليل،(٣) وعندما توجه اليهود في الصباح إلى مزارعهم فوجئوا بالمسلمين فرجعوا إلى حصونهم وهم يرددون ((محمد والخميس))، يقصدون الجيش، وكان مما قال ﷺ: ((خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)).(٤)

كانت حصون اليهود بخيبر عديدة، وقد توزع المسلمون عليها لمحاصرتها، وكانوا يترامون بالنبل مع

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج٣/٣٣٠، الواقدي :المغازي ج٢/٦٥٠، وانظر : رزق الله : السيرة الصحيحة ٥٠١.

(٢) الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ج ٥ / ١٨٤ .

(٣) البخاري، فتح الباري، ج ١٥ /٤٥، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٣٣٠، الواقدي المغازي: ج ٢ / ٦٤٣

(٤) البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم: ٤١٩٧، ٤٢٠٠.

يهود خيبر حتى أصيب عدد من المسلمين جراء ذلك.[١]

كان الرسول ﷺ حريصًا على معرفة أحوال الحصون المحاصرة.[٢] وكان حصن النطاة وهو أحد حصون خيبر لا يوجد به سوى عدد قليل من المدافعين، وعلم الرسول ﷺ أنه مليء بالأسلحة والمؤن، وأن بداخله منجنيقًا ودبابة، فإن فتحه المسلمون فستساعدهم تلك الآلات على فتح بقية الحصون، فركز المسلمون حصارهم وهجومهم على هذا الحصن حتى تمكنوا من فتحه، فوجدوا فيه الأطعمة والمؤن ما أعانهم على أعدائهم، كما أنهم استفادوا مما فيه من أسلحة مختلفة في هجومهم على بقية الحصون الأخرى.[٣]

وقد فتح المسلمون الحصون الواحد تلو الآخر، ومن ضمنها حصن ناعم والصعب.[٤]

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٣٤، الواقدي، المغازي، ج٢/٦٤٣، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥/١٨٦.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٢/٦٤٧،الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج٥/١٩١.

(٣) الواقدي، المغازي، ج٢/ ٦٤٧.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ /٣٣١، ٣٣٢، الصالحي الشامي،

وقــد استعصـــى حصـــن (القمـــوص) علـــى المســـلمين، فبشــر الرســول ﷺ بفتحــه في مــا روى عــن ســهل بــن ســعد رضي الله عنه أن رســـول الله ﷺ قـــال يـــوم خيـــبر: ((لأعطـــين هـــذه الرايــة غــدًا رجــلاً يفــتح الله علــى يديــه يحــب الله ورســوله ويحبــه الله ورســوله، فبــات النــاس يــدوكون ليلــتهم أيهــم يعطاها.

فلمــا أصــبح النــاس غــدوا علــى رســول الله ﷺ كلــهم يرجــو أن يعطاهــا، فقــال أيــن علــي بــن أبــي طالــب؟ فقيــل يــا رســـول الله هـــو يشـــتكي عينيـــه قـــال ﷺ: فأرســـلوا إليـــه، فــأتي بــه فبصــق رســول الله ﷺ في عينيــه ودعــا لــه فــبرئ، حتــى كــأن لم يكــن بــه وجــع، فأعطــاه الرايــة فقــال علــي رضي الله عنه: يــا رســول الله أقاتلــهم حتــى يكونــوا مثلنــا. فقــال عليــه الصــلاة والســلام: انفــذ علــى رســلك حتــى تنــزل بســاحتهم ثـــم ادعهـــم إلى الإســـلام، وأخبرهم بمـــا يجـــب علـــيهم مـــن حـــق الله فـــيهم، فـــوالله لأن يهـــدي الله بـــك رجـــلاً واحـــدًا خيرٌ لك من حمر النعم)).[1]

سبل الهدى والرشاد ج٥/١٨٧.

(١) صحيح البخاري، (فتح الباري)، ج ١٦/٥٧. ٥٨

انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣١٥.

وقد فتح الله على علي ﷺ كما أخبر رسول الله ﷺ، وتساقطت بقية حصون خيبر واحدًا تلو الآخر، مما أضطر اليهود آخر الأمر أن يفاوضوا رسول الله ﷺ، واستسلموا للمسلمين على أن تحقن دماؤهم ويسمح لهم بالخروج من خيبر.(١) وبعد أن وقع الصلح بينهم والمسلمين على رحيلهم اتفق المسلمون معهم على أن يعمل يهود خيبر بالنخيل والمزارع، على أن لهم نصف الثمرة، وأن من حق المسلمين الاستغناء عنهم وإجلاؤهم متى شاءوا.(٢) وكانت نتيجة هذه الغزوة استشهاد عشرين من أصحاب النبي ﷺ، ومقتل ثلاثة وتسعين من يهود خيبر وقد استمر حصار وقتال أهل خيبر بضعة عشر يومًا.(٣)

وبعد أن سالم يهود خيبر رسول الله ﷺ حاولت امرأة

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري، ٥٧/١٦.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٣٣٧ ؛ الواقدي، المغازي، ج ٦٩٠/٢، ابن حجر، فتح الباري، ج ٥٧/١٦.

(٣)انظر أسماء الشهداء عند ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣٤٣/٢، الواقدي، المغازي، ج ٦٩٩/٢؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٥/ ٢٠٨.

منهم أن تسم رسول الله ﷺ عن طريق لحم شاة مطبوخة أهدتها إليه، ولكن الله سلمه منها.[١]

وقد ذكر أن وفاته ﷺ بعد ذلك بسنوات كانت من أثر ذلك السم فقد روى ابن هشام :(وقد قال في مرضه الذي توفي فيه ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده: يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع ابهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر، قال: فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة)[٢].

وبعد أن فتح المسلمون خيبر ورتبوا أمورها توجه رسول الله ﷺ ومن معه من المجاهدين إلى وادي القرى فاستقبلوا المسلمين بالرمي، فأصيب خادم لرسول ﷺ من جراء رميهم، فقاتلهم المسلمون، وفتحوا بلدهم عنوة وأبقاهم الرسول ﷺ على العمل في النخل

(١)البخاري، فتح الباري، ج ٢٦١/١٢؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٣٣٧؛ الواقدي، المغازي، ج ٢ /٦٧٧؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥/٢٠٨.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ج٣/٣٣٨، وانظر: وفاة النبي ﷺ من هذا الكتاب

بالنصف كفعله مع أهل خيبر.[١] فلما بلغت أخبار خيبر ووادي القرى بقية مناطق شمال الحجاز بادرت إلى مصالحة النبي ﷺ، وخصوصًا فَدَك وتيماء وأيلة وغيرها.[٢]

عمرة القضاء:- [٣]

وتسمى عمرة الصلح، كان من بنود صلح الحديبية رجوع الرسول ﷺ عامه ذاك (وإذا كان عامك قابلاً خرجنا عنك

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٣٣٨؛ الواقدي، المغازي، ج ٧٠٩/٢؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٢٢٩/٥.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ / ٣٥٣، الواقدي، المغازي، ج٢ /٧٠٦؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٢١٤/٥.

(تيماء): بليد صغيرة بين الشام ووادي القرى على طريق الحج الشامي، وقد اشتهرت بحصن الأبلق، وكان يقطنها جماعة من اليهود زمن الرسول ﷺ وهي (بلد حاضرة إلى اليوم). انظر: البكري معجم ما استعجم، ج ٣٢٩/١، وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٦٧/٢.

(أيلة): تقع شمال بلاد الشام وهي ميناء على خليج العقبة وتسمى حالياً إيلات (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ ٢٩٢).

(فداك): من أعمال المدينة بينها وبين خيبر مسيرة يومين (انظر: البكري معجم ما استعجم، ج ١٥/٣،١٠).

(٣) وضع البخاري في صحيحه باباً بعنوان: " عمرة القضاء "، كتاب المغازي، ج٨٤/٤.

فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيره).[(١)] وكان ﷺ قد وعد أصحابه دخول مكة حين ذهب معهم في غزوة الحديبية بناءاً على رؤيا رآها الرسول ﷺ. وقد أشارت الآيات إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾[الفتح]. كان بعلم الله وأمره تقديم فتح قريب وهو فتح خيبر[(٢)] على دخوله ﷺ مكة معتمراً.

وفي شعبان من السنة السابعة للهجرة بعد استكمال سنة من صلح الحديبية أمر ﷺ بأن يخرج معه معتمراً من شهد الحديبية، فخرج من عاش منهم وخرج آخرون حتى وصل عددهم ألفي معتمر، سوى من معهم من النساء والصبيان وحمل ﷺ السلاح الخفيف المذكور في الصلح، وساق الهدى وأحرم مع أصحابه، وقاد معه مائة فرس احتياطاً، ولم يظهر أي شكل للقتال، بل

---

(١) انظر: صلح الحديبية.

(٢) انظر: فتح خيبر.

كان خروجاً سلمياً، فيه تلبية وتكبير وإحرام.[١]

وقـدّم الرسـول ﷺ محمـد بـن مسـلمة بالخيـل إلى مـر الظهـران، فلمـا رأتـه قـريش علمـت أن رسـول الله ﷺ قـادم، وحـين وصـوله ﷺ تـرك السـلاح في وادٍ قـرب التنعـيم[٢] وأخلـت قـريش لـه مكـة، وصـعدوا في الجبـال يتفرجـون علـى الرسـول ﷺ. وكـان عبـدالله بـن رواحـه أخـذ بناقـة رسـول الله ﷺ وهـو يـدخل مكـة في مظهـر يـدل علـى احـترام المسـلمين وتقـديرهم وحمـايتهم لرسـول الله ﷺ ويردد أبياتاً منها:

خلُّوا بني الكُفّار عن سبيـله
خلُّوا فكل الخير في رسـوله
يا رب إني مؤمـن بقيله
أعـرف حق الله في قبـولـه
نحن قتلناكم على تأويـله

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٧٠.
(٢) التنعيم، مكان معروف على طريق المدينة حالياً، وبه مسجد عائشة، حيث يحرم منه المعتمرون من مكة اليوم. البلادي، معجم الأماكن الواردة في السيرة ص ٦٥

كما قتلناكم على تنزيـــله

ضربا يزيل الهام عن مقيـــله

ويذهل الخليل عن خليـــله(١)

وقـــد أشـــاعت قـــريش أن رســـول الله ﷺ بـــه ضـــعف، فعمـــد إلى مـــا يـــريهم صـــحته وصـــحة أصـــحابه وقـــوة أجسادهم بما يغيظ أعداءهم.

روى البخـاري عـن ابـن عبـاس قـال: صـفّوا لـه عنـد دار النـدوة لينظـروا إليـه وإلى أصـحابه، فلمـا دخـل رسـول الله ﷺ المسـجد اضـطبع بردائـه وأخـرج عضـده اليمنـى، ثـم قـال: رحـم الله امـرأءاً أراهـم اليـوم مـن نفسـه قـوة، ثـم استلم الـركن وخـرج يهـرول ويهـرول أصـحابه معـه، حتـى إذا جـاء واراه البيـت مـنهم، واسـتلم الـركن اليمـاني، مشـى حتـى يسـتلم الـركن الأسـود، ثـم هـرول كـذلك ثلاثـة أطـواف، ومشـى سـائرها، فكـان ابـن عبـاس يقـول: كـان النـاس يظنـون أنهـا ليسـت علـيهم، وذلـك أن رسـول الله ﷺ إنمـا صـنعها لهـذا الحـي مـن قـريش للـذي بلغـه عـنهم،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٧١.

حتى إذا حج حجة الوادع فلزمها فمضت السنة بها).(١)

وبعد أن أدى العمرة تزوج الرسول ﷺ ميمونة بنت الحارث ولم يبنِ بها، وبقي بمكة ثلاثة أيام، وفي نهايتها جاءه حويطب بن عبد العزى في نفر من زعماء مكة وطلبوا منه الخروج فقال ﷺ: ((وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه قالوا: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا، فخرج رسول الله ﷺ وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة، حتى أتاه بها بسرف، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة)).(٢)

وعند خروج الرسول ﷺ من مكة لحقت به ابنة عمه حمزة، وكانت يتيمة فأخذ بيدها علي رضي الله عنه وأعطاها فاطمة وقال لها دونك ابنة عمك احمليها، فحرص كل من جعفر وزيد بن حارثة أن يضموها إليهم، حتى تنازعوا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه كل منهم يريد ضمها والنفقة عليها، واختصموا عند رسول الله ﷺ كل يريد

(١) ابن هشام، السيرة، ج٣/٣٧١، انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ج٥/٨٦.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٧٢.

أجـر برهـا والإحسـان إليهـا وتربيتهـا، فقضـى بهـا رسـول الله ﷺ لجعفـر لوجـود خالتهـا عنـده، وقـال ((الخالـة بمنزلـة الأم)) (١)

ولعـل في هـذا إشـارة إلى أن حنـان الخالـة قريـب مـن حنـان الأم، وسـتكون الصـغيرة عنـد خالتهـا أكثـر راحـة وأمانا.

غزوة مؤتة (جمادى الأولى سنة ٨هـ):- (٢)

مـع فـتح خيـبر كتـب رسـول ﷺ كتبًـا إلى الملـوك والأمـراء يـبلغهم دعـوة الله. وكانـت إحـدى هـذه الرسـائل موجهـة إلى حـاكم [بصـرى] بالشـام، وقـد أعطـى الرسـول ﷺ هـذه الرسـالة إلى الحـارث بـن عمـير الأزدي ليحملـها إلى ملـك بصـرى مـن قبـل [هرقـل] (الحـارث بـن أبـي شمـر الغسـاني)، لكـن أحـد أمـراء غسـان في الشـام ويـدعى (شـرحبيل بـن

(١) انظر : صحيح البخاري، باب عمرة القضاء، ج٥/٨٥.

(٢) وضـح ابـن أبي شـيبه في المغـازي عنوانـاً " مـا حفظـت في بعـث مؤتـه "، ص ٣٦٦.

وانظـر: أبـو مايلـة العمـري، بريـك بـن محمـد بـن بريـك، غـزوة مؤتـة والسـرايا والبعـوث النبويـة الشـمالية، ط١، عمـادة البحـث العلمـي بالجامعـة الإسلامية، المدبنة المنورة، ١٤٢٤هـ.

عمرو الغساني) قبض على مبعوث النبي ﷺ، فلما علم أنه يحمل رسالة من النبي ﷺ قتله، مع أن الرسل لا تقتل عادة.(١)

ولما علم النبي ﷺ بمقتله غضب، وجمع جيشًا قوامه ثلاثة آلاف من المسلمين، وأمر عليهم مولاه زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب ﵁، فإن قتل فعبد الله بن رواحه ﵁،(٢) فإن قتل فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم.(٣)

وكان خالد بن الوليد ﵁ مع الجيش حديث عهد

---

(١) انظر: الواقدي، المغازي، ج٢/٥٧٥، ٥٧٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/١٢٨، ويرى أكرم العُمري في كتابه السيرة الصحيحة، ج٢/٤٦٧، ورزق الله في كتابه السيرة الصحيحة، ص ٥٤٣ ضعف هذا الخبر، وعلى أي حال فإن رسول الله ﷺ كان يتطلع إلى الجهاد ضد الروم ويبشر به أصحابه في فترات سابقة لهذه الغزوة، وإن كان هناك سبب معين في توقيت الغزوة فالجهاد في الأصل ماض ضد الروم وغيرهم ممن ظلم الناس واعتدى عليهم ومنعهم من سماع الحق، ، وذلك لإبلاغ كلمة الله وإعلائها لا فرضها.

(٢) البخاري، فتح الباري، ج ١٦/٩٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٧٣؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص٣٦٧.

(٣) الواقدي، المغازي، ج٢/٧٥٦ ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/١٢٨.

بإسلام جنديًا في صفوف المجاهدين، وأمر الرسول ﷺ الجيش بالتوجه إلى أطراف الشام وتأديب وتهييب القبائل النصرانية العربية، وإظهار قوة المسلمين والعودة مرة أخرى إلى المدينة، وقبل أن يتحرك الجيش التقى بهم رسول الله ﷺ وأمرهم بتقوى الله، وذكرهم بتعاليم دينهم في الحرب، ثم سلم الراية إلى زيد بن حارثة ﵁ وشيعهم وودعهم.(١)

وسلك الجيش طريقه إلى أطراف بلاد الشام.(٢) هذا يعني تحرشاً مباشرًا لأول مرة بمملكة الروم وحدودها. وقد علم الروم والغساسنة بتحرك الجيش فأعدوا له جيشًا آخر لمقابلته، اشترك فيه متنصرة العرب من لخم وبهراء وجُذام وبلي، وكان ذلك الجيش يزيد على مائة ألف مقاتل، وقد عسكرت جيوش الروم في أرض البلقاء في الأردن حاليًا، وقد علم جيش المسلمين بذلك التجمع، فأرادوا أن يكتبوا للرسول ﷺ لعله يمدهم بمزيد

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣٧٣؛ الواقدي، المغازي، ج ٢/٧٥٦، وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١٦/ ١٢٨.

(٢) وضع البخاري في صحيحه بابًا سماه: (باب غزوة مؤتة من أرض الشام)، انظر: فتح الباري، ج ١٦/ ٩٧.

مـن المجاهـدين،[١] لكـن الوقـت قصـير والعـدو قريـب ولـن يمهلــهم، وأبطــال المســلمين يشــجع بعضــهم بعضًــا علــى القتــال، فــالتقوا مــع الــروم في مكــان يســمى مؤتــة،[٢] فقـاتلوا قتـال الأبطـال، وكـان حامـل الرايـة زيـد يـن حارثـة ﵁ ((أخـذ الرايـة زيـد فأصـيب ثـم أخـذ جعفـر فأصـيب، ثـم اخـذ عبـد الله بـن رواحـه فأصـيب))،[٣] فأخـذ الرايـة أحـد الأنصـار ودعـا النـاس إلى الاجتمـاع، ثـم دفـع الرايـة إلى خالـد بـن الوليـد،[٤] الـذي تمكـن بعـون الله ثـم بخبرتـه العسـكرية مـن إعـادة تنظـيم صـفوف المسـلمين، وقيـادتهم في القتــال، ومــن ثــم الانســحاب بهــم في خطــة محكمــة (حتــى أخـذ الرايـة سـيف مـن سـيوف الله حتـى فـتح الله علــيهم،[٥] وقــد جنــب المســلمين المزيــد مــن الخســائر، فـرغم الفـارق الكـبير بـين جـيش الأعـداء وجـيش المسـلمين

---

(١) ابـــن هشـــام، الســـيرة النبويـــة، ج ٣ / ٣٧٥؛ الواقـــدي، المغـــازي، ج٢/٧٦٠.

(٢) تقــع مؤتــة في بــلاد الأردن حاليًــا، ولمزيــد مــن التفصــيلات راجــع علــي الغيوم، تجربة مؤتة، مكتبة الرسالة، عمان الأردن، ١٤٠٦هـ.

(٣) من رواية البخاري، فتح الباري، ج ١٦ /١٠٠.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٣٧٩.

(٥) من رواية البخاري، فتح الباري، ج ١٦ /١٠١.

فإن خسائر المسلمين كانت خمسة عشر شهيدًا،[(١)] وهذا في تصوري يعد نصرًا للمسلمين، مقارنة بموازين القوى في المعركة، وقد كان الرسول ﷺ يثني خيرًا على أولئك الشهداء ويقول عنهم: ((ما يسرني أو يسرهم أنهم عندنا)).[(٢)]

وقد عاد الجيش بعد ذلك إلى المدينة، يقوده سيف الله خالد بن الوليد ﵁، حيث كانت هذه أول معركة جهادية له في صفوف المسلمين بعد إسلامه، وقد أخبر الرسول ﷺ أهل المدينة بما جرى قبل وصول الجيش، فقد روى البخاري عن أنس بن مالك ﵁ : ((أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحه للناس، قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحه فأصيب ــ وعيناه تذرفان ــ ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم)).[(٣)] وهي فتح كما سماها رسول الله ﷺ .

---

(١) انظر: ابن هشام السيرة النبوية، ج ٣٨٨/٣، الواقدي المغازي، ج٧٦٩/٢.

(٢) البخاري، فتح الباري، ج ١٥٢/١٢.

(٣) من رواية البخاري، فتح الباري، ج ١٠٠/١٦.

وقد حزن ﷺ على وفاة جعفر وغيره ودعا لهم: "اللهم اخلف جعفراً في أهله بأفضل ما خلفت عبداً من عبادك الصالحين ".[١] فتزوج بعد ذلك أبو بكر الصديق من أسماء بنت عميس زوجة جعفر واحتضن أولاده من بعده ثم تزوجها بعد ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأحتضن أولادها من جعفر وأبي بكر.[٢]

وعند قدوم الجيش إلى المدينة استقبلهم أهلها، وقد سمع الرسول ﷺ بعضهم يقول لهم: يا فرارون أفررتم وأنتم في سبيل الله؟ فقال ﷺ: ليسوا بفُرار ولكنهم كُرار إن شاء الله.[٣] وكانت لهم كرة وأي كرة، وذلك في فتوح الشام في اليرموك على يد خالد بن الوليد وأمثاله رضي الله عنهم. ممن شارك في معركة اليرموك وتحطيم قوى الروم، وفتح دمشق وبيت المقدس وغيرها من بلدان الشام المباركة.

أخبر الرسول ﷺ بفضل شهداء مؤتة، وكان يرى أسامة بن زيد بعد وفاة أبيه زيد فيرق له وتدمع عيناه،

(١) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٧٠.
(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣١.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٨٢، الواقدي، المغازي، ج٢/٧٦٥.

وكـذلك حينمـا يـرى أبنـاء جعفـر بـن أبـي طالـب ﷺ، وقـد أخـبر ﷺ أنهـم مـن الشـهداء، مـن أهـل الجنـة، وأخـبر أن لجعفر جناحين في الجنة فعرف في الأمة بهذه الصفة.[1]

فتح مكة (**٢٠ رمضان سنة ٨هـ**):-

كـان ضـمن شـروط صـلح الحديبيـة ((أن مـن شـاء أن يـدخل في عقـد محمـد دخـل فيـه، ومـن شـاء أن يـدخل في عقـد قـريش دخـل فيـه))، فـدخلت خزاعـة في عقـد الـنبي ﷺ، ودخلـت بكـر في عقـد قـريش،[2] فاعتـدت بكـر علـى خزاعـة وسـاعدتهم في ذلـك قـريش، فعُـد هـذا نقضًـا للعهـد مـن قبـل قـريش، وقـد جـاء أحـد زعمـاء خزاعـة وهـو عمـرو بـن سـالم الخزاعـي فأنشـد الرسـول ﷺ أبياتًـا يسـتحثه فيهـا علـى العهـد ومسـاعدتهم بنـاءً علـى العهـد، وخصوصًـا أن قريشًـا سـاعدت حلفاءهـا. وهـذا اعتـداء علـى حلفهـم مـع المسلمين.

وكان مما قال:

---

(١) انظـر: ابـن أبي شـيبه، المغـازي، ص ٣٧٤، ٣٧٥؛ وابـن سـعد، الطبقات، ج٤/٤١.

(٢) انظـر: ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج ٤/ ٣١٨ ؛ ابـن أبي شـيبه، المغـازي، ص٣٢٦.

يا رب إني ناشد محمـــــدا

حلف أبينا وأبيه الأتلــدا[١]

فانصر هداك الله نصراً اعتدا

وادعُ عباد الله يأتوا مدد

إلى آخـر القصـيدة، فقـال ﷺ: نصـرت يـا عمـرو بـن سـالم،[٢] ثـم جـاء وفـد آخـر مـن خزاعـة يطلـب مناصـرة الـنبي ﷺ فوعـدهم، ثـم إن قريشًـا أحسـت بـالخطر، وجـاء زعيمهـا (أبـو سـفيان بـن حـرب) إلى المدينـة ليجـدد العهـد مـع الـنبي ﷺ، فـدخل بيـت ابنتـه أم المـؤمنين (حبيبـة بنـت أبـي سـفيان)، حيـث كـان صـهرًا للـنبي ﷺ، فلمـا دخـل حجـرة ابنتـه أم المـؤمنين أم حبيبـة، وأراد أن يجلـس علـى فـراش الـنبي ﷺ رفعتـه أم حبيبـة عنـه، فقـال أبـو سـفيان: يـا بنيـه مـا أدري أرغبـت بـي عـن الفـراش أم رغبـت بـه

---

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج ٣٩٤/٤؛ ابـن كثـير، السـيرة النبويـة، ج٣ /٥٢٧، الصـالحي الشـامي، سـبل الهـدى والرشـاد، ج ٥/ ٣٠٨ ؛ ابـن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٢٠.

(٢) انظـر: ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج ٤/ ٣٩٥، ابـن كثـير: السـيرة النبويـة ج٥٢٧/٣، (وانظـر إلى تخـريج د. اكـرم العمـري لهـا في السـيرة النبويـة الصحيحة ج٤٧٣/٢).

عـني؟ قالـت: بـل هـو فـراش رسـول الله ﷺ، وأنـت رجـل مشـرك نجـس فلـم أحـب أن تجلـس علـى فـراش رسـول الله ﷺ، فقـال: والله لقـد أصـابك بعـدي شـر، ثـم إن أبـا سـفيان أتـى الـنبي ﷺ فكلمـه فلـم يـرد عليـه،[1] ثـم أتـى أبـا بكـر رضي الله عنه ليتوسـط لـه عنـد الـنبي ﷺ فقـال: مـا أنـا بفاعـل، ثـم كلـم عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه فقـال: أنـا اشـفع لكـم عنـد رسـول الله ﷺ؟ والله لـو لم أجـد إلا الـذر لجاهـدتكم بـه، ثـم أتـى عليًـا وعنـده فاطمـة رضـي الله عنهمـا والحسـن بـن علـي بينهمـا غـلام صـغير، فقـال لـه علـي: والله لقـد عـزم رسـول الله ﷺ علـى أمـر لا نسـتطيع أن نكلمـه فيـه، فقـال لفاطمـة (رضـي الله عنهـا): يـا بنـت محمـد هـل لـك أن تـأمري ابنـك هـذا أن يجـير النـاس فيكـون سـيد العـرب؟ فقالـت مـا بلـغ ابـني هـذا أن يجـير النـاس، فلمـا اشـتد عليـه قـال لعلـي رضي الله عنه: انصـحني فقـال لـه علـي: أنـت سـيد كنانـة فقـم فـأجر بـين النـاس، ثـم الحـق بـأرض قومـك: قـال أو تـرى ذلـك يغـني عـني شـيئًا؟ قـال علـي رضي الله عنه: لا ولكـن لا أجـد لـك غـير ذلـك، فقـام أبـو سـفيان في المسـجد وقـال إنـي قـد أجـرت بـين النـاس، فلمـا قـدم مكـة قـال لـه أهلـها مـا زاد

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣٩٧/٤.

علي على أن سخر بك.[1]

ثـــم إن رســـول الله ﷺ جهـــز النـــاس للغـــزو، وكـــان حريصًـا علــى أن لا تعلـم قـريش بخـبر تحركـه، وأرسـل إحـدى سـراياه الطلائعيـة إلى جهـة غـير مكـة حتـى يظـن النـاس أنـه يجهـز لتلـك الجهـة، وفي الوقـت نفسـه أخـبر خاصـة أصـحابه أنـه متوجـه إلى مكـة وطلـب مـنهم أن يكتمـوا الخـبر، وقـال اللـهم خـذ العيـون والأخبـار عـن قريش حتى نبغتها.

وخـرج الرسـول ﷺ إلى مكـة في رمضـان وخـرج معـه خمسـة آلاف مـن المهـاجرين والأنصـار، ولحقـت بـه جمـوع مسـلمة مـن قبائـل مزينـة وسُـليم وغِفـار وجُهينـة وتمـيم وأسـد، حتـى كـان مجمـوع جيشـه حـين وصـل قـرب مكـة عشـرة آلاف مقاتـل،[2] نـزل بهـم رسـول الله ﷺ مـر الظهران.

وقابـل العبـاس بـن عبـد المطلـب رضي الله عنه الرسـول ﷺ وهـو

(١) انظـر: ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج ٣٩٦/٤، ابـن كثـير، السـيرة النبويـة، ج٥٣١/٣؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٢٦.

(٢) مـن روايـة البخـاري، ابـن حجـر، فـتح البـاري، ج ١١١/١٦، ابـن هشـام، السيرة النبوية، ج ٤٠٠/٤، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١٣٥/٢.

في الطريــق إلى مكــة مظهــرًا إســلامه، [١] وقيــل إنــه كــان يكـتم إسـلامه قبـل ذلـك بوقـت طويـل، ولـه ومواقفـه مـع الـنبي ﷺ منـذ بيعـة العقبـة الثانيـة تـدل علـى ذلـك، [٢] وكـان العبـاس حريصًـا علـى إسـلام قومـه، فركـب بعـد ذلـك بغلـة الـنبي ﷺ وأخـذ يبحـث عـن مـن يبعثـه إلى قـريش في مكـة لعلـهم يـأتون الـنبي ﷺ يأمنونـه أو يسـلمون، وكـان ﷺ قـد أمــر المســلمين أن يكثــروا نيرانهــم ـــ وكــانوا في الليــل ـــ ليرعبـوا أهـل مكـة حتـى لا يقـاتلوا، فأشـعلت قرابـة عشـرة آلاف نـار في وقـت واحـد، [٣] فلمـا رأتهـا قـريش خـرج أبـو سـفيان ليسـتطلع الخـبر وكـان زعيمهـا، فلقيـه العبـاس ﷺ عـم الـنبي ﷺ فأمنـه، ثم أتـى بـه الـنبي ﷺ فأمضـى تـأمين العبـاس إيـاه، فلـم يعـرض لـه المسـلمون بشـر، وفي الصـباح

---

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج ٤٠٢/٤، ابـن كثـير ، السـيرة النبويـة، ج ٣ / ٥٤٣؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٢٩.

(٢) انظـر: ابـن عبـد الـبر: الاسـتيعاب (بهـامش الإصـابة ج ٩٥/٣)، ابـن حجـر، فـتح البـاري، ج ٢٢٣/١٤؛ الإصـابة، ج٢/٢، الـذهبي، سـير أعلام النبلاء، ج٧٨/٢.

(٣) انظـر: ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج ٤٠٣/٤؛ ابـن كثـير، السـيرة النبويـة، ج٥٤٧/٤، الصـالحي الشـامي، سـبل الهـدى والرشـاد، ج٣٢٤/٥،٣٢٥ ؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٢١.

جـاء بـه العبـاس ﵁ إلى الـنبي ﷺ فـأعلن إسـلامه، ثـم إن العبـاس قـال للـنبي ﷺ : إن أبـا سـفيان يحـب الفخـر عنـد قومه فلو أمنت من دخل داره.(١)

وكان النبي ﷺ حريصًا أشد الحرص على أن يكون دخوله إلى مكة سلميًا، وأن لا يراق دم، ولذا فعند دخوله مكة قسم جيشه إلى أربعة أقسام تدخل من جهات مكة الأربع، مظهرة قوتها، وكافة عن الناس، حتى يستسلم أهل مكة للأمر الواقع ويسلموا بسلام، وفي الوقت نفسه أعلن الرسول ﷺ: ((أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن))،(٢) وبذلك أتاح كل فرص الأمان لمن رغب فيه، ودخل رسول الله ﷺ مكة بسلام وركزت رايته في الحجون.(٣)

---

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٤/٤٠٣؛ ابـن كثـير ؛ السـيرة النبويـة، ج٣/٥٤٨، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٥/٣٣٠.

(٢) البخـاري، فـتح البـاري، ج١٦/١٢٢؛ ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج ٤/٤٠٣؛ ابـن كثـير، السـيرة النبويـة، ج٣/٥٤٩؛ الصـالحي الشـامي، سـبل الهدى والرشاد، ج٥/٣٣٠ ؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٤٤.

(٣) البخاري، فتح الباري، ج ٦ /١١٨.

ولقد لقيت كتيبة خالد بن الوليد ﷺ المسلمة بعض المقاومة من مقاتلي قريش المشركين التي سرعان ما سقطت،[١] وفر المشاركون فيها إلى بيوتهم أو إلى خارج مكة. وكان دخول رسول الله ﷺ دخول المتواضعين لله حيث كان مطأطئ الرأس خاشعًا لله تعالى،[٢] وكان يقرأ سورة الفتح،[٣] ثم توجه إلى الكعبة وطاف بالبيت سبعة أشواط ثم قال ﷺ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل دم أو مأثرة فهو تحت قدميِّ هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ثم قال: يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرًا اخ كريم وأبن أخ كريم. فقال ﷺ قولته المشهورة: اذهبوا فأنتم الطلقاء.[٤] ثم دعا بسادن الكعبة فأخذ

(١) البخاري، فتح الباري، ج ١١٩/١٦؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤٠٧/٤، ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٥٦٠/٣؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٢٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤٠٥/٤؛ ابن كثير ، السيرة النبوية، ج ٥٥٥/٣؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٣٤٢/٥.

(٣) البخاري، فتح الباري، ج ١٢٣/١٦؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٥٥٥/٣.

(٤) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج ١٢٩/١٦؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤١١/٤،٤١٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥٧٠/٣؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٣٦٤/٥.

منه المفتاح ففتحت له الكعبة،[(١)] فوجد بها صورًا فأمر بها فطمست، ثم دار على الأصنام في الحرم، وكانت ثلاثمائة وستين صنمًا _بما يقارب عدد أيام السنة_وكان يشير إليها ويقرأ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء]، فأسقطها جميعًا وأمر بها فحطمت.[(٢)] ولم يدع رسول الله ﷺ شيئاً من الأصنام إلا حطمة ولا صورا إلا مسحها.[(٣)]

وقد ورد عن ابن أبي شيبه بسند صحيح أن النبي ﷺ دخل مكة حين دخلها وهو معتمر بشقة بُردٍ أسود، فطاف على راحلته القصواء وفي يده محجن يستلم به الأركان، فما وجدت لها مناخاً في المسجد حتى نزل على أيدي الرجال، ثم خُرج بها حتى أنيخت بالوادي، ثم خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: (أيها الناس إن الله قد وضع عنكم عيبه الجاهلية وتعظمها بابائها)، الناس رجلان فبر تقي كريم

---

(١) البخاري، فتح الباري، ج١٦/١٢٨؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٢٣.

(٢) رواه البخاري، فتح الباري، ج ١٦/١٢٧؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٣٣.

(٣) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤١.

على الله، وكافر شقي هين على الله، أيها الناس إن الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ [الحجرات]، أقول هذا واستغفر الله لي ولكم، ثم عدل إلى جانب المسجد، فأتى بدلو من ماء زمزم فغسل بها وجهه ما تقع قطره إلا في يد إنسان، إن كانت قدر ماء يحسوها، وإلا مسح بها، والمشركون ينظرون فقالوا: ما رأينا ملكاً قط أعظم من اليوم، ولا قوماً أحمق من القوم، ثم أمر بلالاً فرقى على ظهر الكعبة، فأذن بالصلاة، وقام المسلمون فتجردوا في الأزر وأخذ الدلاء وارتجزوا على زمزم يغسلون الكعبة ظهرها وبطنها، فلم يدعوا أثراً من المشركين إلا محوه أو غسلوه.(١)

وفي هـذه الروايـة وصـف دقيـق لأفعـال الرسـول ﷺ وخطبته بعد الفتح.

ثـم بـايع الرسـول ﷺ مـن بـايع مـن الرجـال علـى

(١) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٤١.

الإسـلام، ثـم بُويعـت النسـاء علـى الإسـلام وعلـى شـروط أخـرى خاصـة بهـن،[١] وحـين حضـرت صـلاة الظهـر رفـع بـلال صـوت الحـق مـن علـى ظهـر الكعبـة معلنًـا الله أكـبر، أشـهد أن لا إلـه إلا الله، أشـهد أن محمـدًا رسـول الله. وقـد كـره بعـض حـديثي الإسـلام مـن قـريش رؤيـتهم وسمـاعهم لـذلك، ثـم نـدموا علـى مـا قـالوا بعـد أن حسـن إسـلامهم.[٢] وهكـذا تطهـرت مكـة مـن الشـرك وانتهـت قوتهـا المعانـدة للإسـلام، وأصـبحت أحـد مـدن المسـلمين، بـل أهمهـا، حيـث نظمهـا رسـول الله ﷺ وعـين عليهـا عتابـاً ابن أسيد أميرًا.[٣]

وقد اهتم رسول الله ﷺ بتعليم أهل مكة الإسلام، حيث بقي عندهم تسعة عشر يومًا،[٤] غادر بعدها لملاقاة قبيلتي ثقيف وهوازن اللتين استعدتا لقتال رسول الله ﷺ بعد أن فتح مكة، وقد كان فتح مكة سببًا عظميًا في خفة حدة العرب في حر

---

(١) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥/٣٧١.

(٢) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة ج ٤/٤١٣، ابـن كثـير : السـيرة النبويـة ج٤ /٥٧٥، الصالحي الشامي :سبل الهدى والرشاد ج٥/٣٧٢.

(٣) ابـن سـعد، الطبقـات الكـبرى، ج٥/٤٤٦ و ابـن حجـر، الإصـابة، ج٢/٤٥٢ والطبري، تاريخه، ج٣/١٦٢

(٤) صحيح البخاري (فتح الباري) ج ١٦ / ١٣٢.

ب الإسلام، حيث دخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجًا، [(١)]
بعد دخول قريش فيه وسقوط أقوى قوى الشرك المعادية للإسلام.وصدق الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾
[النصر: ١ – ٣]

غزوة حنين والطائف (**شوال سنة ٨هـ**):– [(٢)]

تأهبت هوازن، وعلى رأسها ثقيف، لملاقاة المسلمين بعد أن فتحوا مكة، وخرجت معهم غطفان وغيرها، واخذوا معهم بنيهم وذراريهم ليصمدوا في القتال ومواجهة النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين، [(٣)] وتأكد الرسول ﷺ من صحة الخبر، فخرج بجيش الفتح

(١) انظر البخاري : (فتح الباري) ج ١٦/ ١٣٤.
(٢) عقد البخاري بابًا سماه باب قوله تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ إلى﴿غفور رحيم ﴾ انظر: فتح الباري، ج٥/٩٨؛ كما وضع باباً سماه " باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان "، ج٥/١٠٢؛ ووضع ابن أبي شيبه عنوان " ما ذكروا في الطائف، ص ٣٥٩، وعنواناً آخر " غزوة حنين وما جاء فيها "، ص ٣٧٨.
(٣) انظر: البخاري، فتح الباري، ج ١٦/١٧٢؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٤٣٨.

وهـم عشـرة آلاف مقاتـل ((كمـا خـرج معـه ﷺ عشـرة آلاف مـن الطلقـاء))[١]ـ مسلمة الفتح ـ حتـى أن بعضـهم أغـتروا بكثـرتهم وقـالوا: لـن نغلـب اليـوم مـن قلـة، واسـتعار الرسـول ﷺ أسـلحة مـن يعلـى بـن أميـة عاريـة مضـمونة، وكـان مـن المؤلفـة قلـوبهم، ثـم أعادهـا إليـه بعـد الغزوة وشكره على ذلك.[٢]

كانـت هـوازن قـد اجتمعـت في حـنين يتزعمهـا مالـك بـن عـوف، وقـد أمـر قومـه أن يحملـوا نسـاءهم وأمـوالهم حتـى يكـون ذلـك دافعًـا لهـم علـى الثبـات عنـد اللقـاء، وقـد عـاب عليـه دريـد بـن الصُـمة وكـان مـع هـوازن شـيخًا لا يغـني شـيئًا، لكنه صـاحب حكمـة، وكـان ممـا قـال لـه: إنهـا إن كانـت لـك لم تنفعـك إلا رجـل بسـيفه ورمحـه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك.[٣]

ودخـل المسـلمون وادي حـنين، ولم يكونـوا يعلمـون أن القـوم قـد كمنـوا لهـم، وذلـك في مطلـع الصـبح، وكـان

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري، ج ١٦/١٧٢.

(٢) انظر: تخريج ذلك عند رزق الله، السيرة النبوية، ص ٥٨٣.

(٣) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٣/ ٤٣٨؛ الصـالحي الشـامي، سـبل الهـدى والرشاد ج ٥/٤٦٠.

جيش المسلمين كثيفاً، وفيه من القبائل والطلقاء وغيرهم أكثر مما فيه من المهاجرين والأنصار، وقد فوجئت جموع المسلمين بهجوم مباغت من هوازن، فتفرقت طلائعهم وخصوصًا تميم والطلقاء من أهل مكة واضطربت صفوف الجيش، فثبت رسول الله ﷺ ومعه بعض المهاجرين والأنصار، منهم عمه العباس وأبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم، وانحاز ﷺ يمين الجيش وجعل ينادي ((فنادى نداءين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال يا معشر الأنصار، قالوا لبيك يا رسول الله، ابشر نحن معك. ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الأنصار، قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، وهو على بغلة بيضاء، فنزل فقال: أنا عبدالله ورسوله،[(١)] أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله أنا محمد بن عبدالله، ثم أمر الرسول ﷺ عمه العباس وكان جهور الصوت أن ينادي يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة، وكان ﷺ ينادي " أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب"،[(٢)] فلما سمع

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري، ج ١٦/ ١٧٢.

(٢) من رواية البخاري، فتح الباري، ج١٦/١٤٣؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية ج٣/٤٤٥،٤٤٤؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى

المهـــاجرون والأنصـــار النـــداء أجـــابوا لبيـــك لبيـــك، فـــاجتمعوا علـــى رســـول الله ﷺ فاســـتقبل بهـــم الأعـــداء. واشـــتد القتـــال بـــين المســـلمين وهـــوازن حتـــى قـــال ﷺ "الآن حمـــي الـــوطيس"، [١] فهـــو أول مـــن قالهـــا.[٢] وقاتـــل المســـلمون مـــع رســـول الله ﷺ قتـــال الأبطـــال، وأخـــذ الرسـول حفنـة مـن الـتراب فرمـى بهـا وجـوه القـوم وهـو يقـول: "شـاهت الوجـوه"، [٣] فـانهزموا. وبعـد وقـت قصـير تأكـــدت الهزيمـــة في صـــفوف الأعـــداء ورجـــع المســـلمون بالأسـرى والغنـائم، [٤] وقتـل مـن الأعـداء مـا يزيـد علـى سبعين رجلاً، واستشهد جماعة من المسلمين.[٥]

وأرســل الرســول الســرايا لملاحقــة المهــزومين، والقضــاء علــيهم أو تفريــق قــوتهم، ونجحــت بعــوث الرســول ﷺ وأمـــر ﷺ بالغنـــائم والســـبايا والأســـرى فجمعـــوا

والرشاد، ج٥/٤٧١؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٧٨.

(١) ابـــن هشـــام، الســـيرة النبويـــة ج ٤/ ٤٤٥، وانظـــر: تخريجهـــا في رزق الله، السيرة النبوية ٥٨٩.

(٢) انظر: السهيلي، الروض الأنف، ج ٤ / ١٣٨.

(٣) رواه مسلم، انظر: رزق الله، السيرة النبوية، ص ٥٨٩.

(٤) انظر: البخاري، فتح الباري، ج ١٦/ ١٧٢.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٤٤٩.

بالجُعرانـة.[١] وبعـد أن هـدأت الأمـور واصـل الرسـول ﷺ مسـيرته إلى الطـائف، وهـي المقـر الرئيسـي لثقيـف الـتي جمعت بقية هوازن على حرب رسول الله ﷺ.

وكانـت الطـائف محصـنة بالأسـوار الـتي تطيـف بهـا وهـي سـبب تسـميتها،[٢] ولـذلك لم يـتمكن الرسـول ﷺ مـن اقتحامهـا، فحاصـرها نيفًـا وعشـرين ليلـة،[٣] ونصـب عليهـا المنجنيـق الـذي أشـار بـه سـلمان الفارسـي، ورماهـا بـه لكنـه لم يـؤثر في أهلـها،[٤] واستشـهد مجموعـة مـن

(١) انظـر: ابـن حجـر، فـتح البـاري، ج ١٦ /١٦٢؛ ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٤/٤٨٨؛ الصـالحي الشـامي، سـبل الهـدى والرشـاد، ج ٥ / ٤٨٩؛ د. أكـرم العمـري، السـيرة الصـحيحة، ج ٢ / ٥٠٤؛ رزق الله، السـيرة النبويـة، ص ٥٩٦؛ (والجِعْرَانـه: شـرقي مكـة تـرتبط بطريـق الطـائف السـيل السـريع، بطريـق فرعـي يظهـر لمـن ينظـر علـى الطريـق)؛ الـبلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٨٣.

(٢) يـاقوت الحمـوي، معجـم البلـدان ج٤/٩ ؛ وانظـر: د. عبـد الجبـار منسـي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، ص ١٦.

(٣) وقـد رأى قـوم غـير ذلـك في مـدة الحصـار، انظـر: الصـالحي الشـامي، سـبل الهـدى والرشـاد، ج٥/ ٥٦٥ ؛ د. أكـرم العمـري، السـيرة الصـحيحة، ج ٥٠٧/٢، رزق الله، السيرة النبوية، ص ٥٩٦.

(٤) ابـن هشـام: السـيرة النبويـة، ج ٤٨٣/٤، الصـالحي الشـامي، سـبل الهـدى والرشـاد، ج٥/٥٦٠، وانظـر: د. أكـرم الضـياء العمـري، السـيرة الصحيحة، ج٥٠٩/٢؛ رزق الله، السيرة النبوية، ص ٥٩٥.

الصحابة من رَمي أهل الطائف للمسلمين بالنبال وغيرها.

وقد حاول نفر من المسلمين اقتحام الأسوار عن طريق دبابة صنعوها من الخشب والجلود، احتموا داخلها واقتربوا بها من الأسوار فرمى عليها أهل الطائف قطع حديد محماة فأحرقت الجلود وأثرت في الخشب فخرج من بداخلها من المجاهدين، فرموهم من على الأسوار بالنبال فقتلوا منهم رجالاً.[١] ونزل بعض رقيق أهل الطائف إلى المسلمين فأعلنوا إسلامهم فأعتقهم الرسول ﷺ.[٢] ثم إن رسول الله ﷺ بعد أن طال الحصار أخبر أنه لم يُؤذن له في فتح الطائف، ورحل وتركها لا يأسًا منها ولكن طمعًا في أن يأتي أهلها مسلمين طوعًا من تلقاء أنفسهم، حيث دعا لهم قائلاً

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤٨٣/٤؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٥٦١/٥؛ وانظر: تخريج هذه الحادثة عند أكرم العمري، السيرة الصحيحة، ج ٥٠٩/٢؛ وانظر: عبدالعزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي، ص ٢٢٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري)، ج ١٦١/١٦؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤٨٥/٤؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٥٦٢/٥.

((اللــهم اهــدِ ثقيــف))،[١] وتوجــه الرســول ﷺ إلى مكــة وتوقـــف في الطريـــق بالجعرانـــة، حيـــث مقـــر الغنـــائم والأســرى والســبايا مــن هــوازن وأحلافهــم، وفي الجعرانــة انتظـر رسـول الله ﷺ اتصـالاً مـن هـوازن أو توبـة عمـا جـرى مـنهم مـع المسـلمين، وبعـد عـدة أيـام مـن الانتظـار قسـم رسـول الله ﷺ الغنـائم والسـبي علـى المسـلمين. ثـم جـاءت وفـود هـوازن معلنـة إسـلامها وتوبتهـا عمـا بـدر مـنهم في حـق رسـول الله ومـن معـه مـن المسـلمين وطلبـوا مـن الرســول ﷺ أن يــرد علــيهم أمــوالهم وأولادهــم، وقــال أحـد شـعرائهم قصـيدة طويلـة يستشـفع فيهـا برسـول الله ﷺ مطلعها:

أمنن علينا رسول الله في كرم

فإنك المرء نرجوه وندخر[٢]

فخيرهم الرسول ﷺ بين أن يأخذوا أموالهم، أو أولادهم ونساءهم، فاختاروا الأولاد والنساء ((فقال ﷺ: معي من

(١) انظر تخريجها عند رزق الله، السيرة النبوية، ص ٥٩٦.
(٢) انظــر: القصــيدة: عنــد الصــالحي الشــامي، ســبل الهــدى والرشــاد، ج ٥/ ٥٧١.

ترون، وأحب الحديث إلي أصدقه، وقد كنت استأنيت بكم، وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد لهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: فإنا نختار سبينا، فقام رسول ﷺ فأثنى على الله بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإنا إخوانكم قد جاءوا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، فقال الناس: قد طيبنا لك ذلك يا رسول الله)).(١)

وقد بادر المسلمون بالتنازل عن نصيبهم من السبي تقليدًا لرسول الله ﷺ، ثم أوصى الرسول ﷺ هوازن، وقال لهم: أخبروا مالك بن عوف ـ زعيم هوازن ـ إن أتاني مسلمًا رددت عليه أهله وماله ومائة بعير، فخرج من الطائف سرًا وأتى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه وعينه الرسول على من أسلم من القبائل التي حول الطائف، وأصبح يغير بهم على سرح مشركي ثقيف حتى ضيق عليهم.(٢)

(١) من حديث البخاري (فتح الباري)، ج ١٦/١٤٥ -١٤٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٤٩١؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣/٦٨٣.

وحينما قسم الرسول ﷺ الغنائم أعطى منها القبائل والمؤلفة قلوبهم من مسلمة الفتح وغيرهم، ولم يعط الأنصار منها شيئًا، فوجد بعضهم في نفسه فجمعهم الرسول ﷺ منفردين، وخطبهم ((وكان مما قال: يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله آمن. قال ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله؟ قال: لو شئتم لقلتم كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا وسلكوا شعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار)).[١] فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: ((بلي رضينا برسول الله قسمًا وحضًا وتفرقوا))،[٢] ثم أحرم الرسول ﷺ معتمرًا من الجعرانة، ودخل مكة، وبقي بها عدة أيام، غادر بعدها إلى المدينة، وبعد عدة أشهر كثر الإسلام حول الطائف وبين أهله. ثم قدم وفد منهم

(١) من رواية البخاري (فتح الباري)، ج ١٦/١٦٣ ــ ١٩٦؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٨٧.

(٢) انظر: البخاري (فتح الباري)، ج ١٦/١٧١، وشرح ابن حجر لما في الحديث؛ وابن الأثير، الكامل، ج ٤/٢٧٢.

على رسول الله ﷺ وفاوض الرسول ﷺ عن قومهم، وانتهت تلك المفاوضة بإسلامهم، ودخول مدينتهم في الإسلام وقبولهم تحطيم الأصنام.(١)

وبإسلام الطائف أصبحت جميع مدن الحجاز خاضعة للحكومة النبوية، يديرها أمراء عينهم رسول الله ﷺ.

وقد نزلت بعض الآيات تتحدث عن غزوة حنين، من ذلك قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة].

غزوة تبوك: رجب سنة ٩هـ:-(٢)

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٥٣٧، ٥٤١؛ وانظر: د. أكرم العمري، السيرة الصحيحة، ج ٢/٥١٢؛ د. رزق الله، السيرة النبوية، ص ٦٥٩؛ وانظر:وفد الطائف من هذا الكتاب.

(٢) لمزيد من التوسع حول أحداث هده الغزوة ورواياتها ودراسة تلك الروايات انظر: عبد القادر حبيب الله السندي: الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، مكتبة المعلا الكويت، ١٤٠٦هـ؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، عنوان " ما حفظ أبو بكر في غزو تبوك "، ص ٣٩٦.

كانت أحداث غزوة مؤتة التي وقعت بين المسلمين والروم وأعوانهم من نصارى العرب سنة ٨ هـ هي أول احتكاك بين المسلمين والروم، لا تزال ماثلة في ذهن الرسول ﷺ، حيث استشهد مجموعة من الصحابة. وعزم الرسول ﷺ على قتال الروم انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [التوبة]. ولذا فقد كانت هذه الغزوة موجهة أصلاً وبوضوح ضد الروم، ولذلك فإن الرسول ﷺ حينما ندب المسلمين لهذه الغزوة أخبرهم أنها متوجهة إلى نواحى بلاد الروم.[1] وكان يدرك أن للروم عيوناً من منافقي المدينة، كما أنه أراد من جنده الاستعداد، حيث إنهم سيبعدون الشقة، وكان الجو حارًا جدًا، والبلاد مجدبة، والناس في عسرة، وثمار المدينة من تمر وعنب وغيرها قد طابت،[2] والناس ينتظرونها طوال العام، ولذلك فإن الخروج إلى تبوك كان صعبًا.

---

(١) انظر: الحديث الذي رواه البخاري عن كعب بن مالك: البخاري (فتح الباري)، ج ٢٤٢/١٦.

(٢) عنوان البخاري لهذه الغزوة (باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة)، فتح الباري ج٢٣٧/١٦؛ انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٩٨.

وبالتالي فإن المنافقين قد سقطوا في مستنقع الكذب، حيث كانوا يعتذرون عن الخروج مع النبي ﷺ زورًا وبهتانًا ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[التوبة]،(١) وقد تداعى المنافقون إلى التخلف عن رسول الله ﷺ وعدم الخروج معه في زمن الحر وقال الله عنهم: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة].(٢)

ودعا النبي ﷺ أصحابه للنفقة في هذه الغزوة، فبادر أغنياء الصحابة في ذلك وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وغيرهم ﷺ، وأنفق عثمان ﷺ نفقة كبيرة كان فيها ثلاثمائة بعير وألف دينار حتى قال الرسول ﷺ ما ضر عثمان ما فعل بعد ذلك)). وقال عنه: ((من جهز جيش العسرة فله الجنة))، (٣) كما قال ﷺ: (اللهم أرض عن

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥١٦/٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٨٩٨/٢.

(٣) من حديث البخاري (فتح الباري)، ج١٩٥/١٤.

عثمان فإني راض عنه).[١] وقد جاء رجال من المسلمين إلى النبي ﷺ وهم أهل حاجة ويرغبون في الخروج مع الرسول ﷺ ولكن الحاجة وعدم وجود الراحلة منعتهم من ذلك . فذكروا حاجتهم للنبي ﷺ فقال لهم : ((لا أجد ما أحملكم عليه))، فرجعوا وأعينهم تفيض من الدمع ،[٢]وجاء مُعذرون من الأعراب ليعتذروا.

وتخلف ثلاثة من الصحابة تكاسلاً ، وهم يريدون اللحاق بالرسول ﷺ ، لكنهم كانوا صادقين في ذكر حالهم فعفى الله عنهم ونزلت فيهم آيات قرآنيه.[٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ

(١) ابن هاشم، السيرة النبوية، ج٣/٥١٨.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٠٢.

(٣) انظر: حديث كعب بن مالك عند البخاري (فتح الباري)، ج١٦/٢٤١؛ وعند ابن أبي شيبه في المغازي، ص ٣٩٨.

﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ التوبة: ١١٧ - ١١٨

كانت هذه الغزوة بحق امتحانًا للمجتمع المسلم غنيهم وفقيرهم مؤمنهم وضعاف الإيمان منهم، كما كان للمنافقين وبقايا اليهود دور في التثبيط، حيث كان لكل صف موقف ولكل حادث حديث، وكانت هذه الغزوة آخر غزوات الرسول ﷺ وقد تقدمت به السن، حيث تجاوز الستين من عمره ﷺ، ورغم ذلك حرص على أن يقودها بنفسه، إذ تعد مقدمة غزوات المسلمين في بلاد الروم، وفي الانطلاقة العالمية للإسلام.

تجمع من المسلمين ثلاثون ألف مقاتل خرج بهم رسول الله ﷺ كان منهم عشرة آلاف فارس، (١) وهذا الجيش يعد أكبر جيش للمسلمين تجمع في حياة الرسول ﷺ وأخذ المسلمون طريق تبوك، ومروا في طريقهم على مدائن صالح، (٢) فأمرهم النبي ﷺ بالعجلة وأن لا

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/٢٤٢، ابن هشام، السيرة النبوية ج٤/٥٢٠؛ الصالحي الشامي، وانظر: د. رزق الله، السيرة النبوية، ص ٦٢٣؛ د. أكرم العُمري، السيرة الصحيحة، ج ٢/٥٣١.

(٢) روى البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: ((لما مر النبي ﷺ بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما

يدخلوا بيوت القوم إلا باكين أو متباكين.

وقد واصل الرسول ﷺ مسيره حتى وصل إلى تبوك فأقام بها بضع عشرة ليلة، كان خلالها يبعث سراياه وطلائعه لمعرفة أخبار الروم، كما كان يبعثها إلى المواقع المجاورة. وكان زعماء القبائل وحكام القرى القريبة منه يأتون إليه. وقد أَسَر خالد بن الوليد في أحد سراياه أُكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل فجاء به إلى الرسول ﷺ، فعقد الذمة لنفسه ولقومه وأقر بدفع الجزية فأطلقه ﷺ، [(١)] كما جاء (يحنة بن رؤبه) صاحب أيله فدفع الجزية لرسول الله ﷺ وعقد الذمة لقومه، وجاءه أهل أذرح والجرباء، فأمنهم الرسول جميعًا وعقد لهم الذمة وكتب لهم كتبًا.[(٢)]

ويظهر أن الروم كانوا على علم بتحرك الرسول ﷺ،

أصابهم. إلا ان تكونوا باكين. ثم قنع رأسه وأسرع حتى أجاز الوادي)) (فتح الباري، ج١٦/٢٥٥).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٢٦، ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٣٠.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٢٥، ٥٢٦، ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٢٩.(انظر: كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل الروم من هذا الكتاب)

ومن معه ووصولهم إلى تبوك وإظهار قوتهم في أطراف بلاد الروم، بل إن بعضها يعد داخل حدود الروم.[١] ومع كل هذا فإن قواتهم لم تتحرش بالمسلمين أو تحاول مصادمتهم أو عرقلتهم مع قدرتها على ذلك، ولعل مما يؤكد متابعتها للموقف بدقة أن ملك غسان قد أرسل إلى (كعب بن مالك)، وهو أحد المخلفين الذين تاب الله عليهم، يطلب منه أن يقدم إليهم في الشام، وكان هذا بعد غزوة تبوك وهو في المدينة.[٢] وقد وصلت معلومات ملك غسان وهو من عملاء الروم إلى معرفة تامة بحال فرد من المسلمين في هذه الغزوة، وموقف الرسول ﷺ منه، فمن باب أولى أن يكون على اطلاع بتحرك جيش الرسول ﷺ من المدينة إلى تبوك، والإعداد لهذا الجيش قبل التحرك، خصوصًا أن وجهته كانت معلنة وجواسيس الروم يصلون إلى المدينة، ولعل ملك الروم

---

(١) نقل ابن كثير عن الإمام أحمد رواية عن وصول رسول من ملك الروم هرقل إلى رسول الله ﷺ في تبوك وتبليغه إياه رسالة منه وهي قصة عجيبة قال عن إسنادها لا بأس به (انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٢٧ ـــ ٢٩) وانظر: تلك الرواية عند أحمد في المسند، ج ٣/٤٤٢.وانظر: كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل من هذا الكتاب)

(٢) انظر: حديث كعب بن مالك عند البخاري (فتح الباري)، ج١/٢٤٢.

كـان علـى يقـين تـام بصـدق الرسـول، ولـذلك آثـر عـدم التعـرض لهـذا الجـيش خوفًـا منـه وإدراكـاً أن الرسـول ﷺ ظـاهر علـيهم عـاجلاً أم آجلاً، حيـث إن هرقـل مـا أن تسـلم رسـالة الرسـول ﷺ واسـتمع أخبـاره ممـن يعرفونـه، حتـى قـال لمحدثـه: والله لـئن كنـت صـدقتني: "يوشـك أن يملـك مـا تحـت موضـع قـدمي هـاتين"،(١) وقـد عـاش حتـى شاهد المسلمين بعد ذلك يملكون ما تحت قدميه.(٢)

وبعـد أن أثبـت الرسـول ﷺ قـوة المسـلمين في أطـراف جزيـرة العـرب عـاد مـرة أخـرى إلى المدينـة. وفي الطريـق لقـي الأذى ﷺ مـن بعـض المنـافقين، حيـث حاولـت مجموعـة مـنهم قـدرت بأربعـة عشـر رجـلاً قتـل رسـول الله ﷺ، حينمـا كـان ﷺ يسـير في عقبـة ليتجاوزهـا، وأمـر مـن ينـادي في النـاس: إن رسـول الله أخـذ العقبـة فـلا يأخـذها أحـد ـــ والعقبـة طريـق ضـيق في الجبـل لا يكـاد يمـر منـه الراكـب ـــ وكـان يقـود بالرسـول ﷺ حذيفـة بـن اليمـان ويسوق به عمار بن ياسر رضي الله عنهم.

---

(١) من لفظ البخاري (فتح الباري)، ج١٢/٧١.

(٢) انظر: كتاب الرسول إلى هرقل الروم.

وانظر: الطبري، تاريخه، ج٤/٣٨؛ والأزدي، فتوح الشام، ص ٢٣٦.

فأقبل مجموعة من الرجال ملثمين على رواحلهم حتى غشوا عمارًا ﷺ وهو يضرب وجوه رواحلهم ليبعدهم عن رسول الله، فقال ﷺ لحذيفة: قد. قد، وحين هبط رسول الله ﷺ قال لعمار ﷺ: هل عرفت القوم؟ قال عمار: قد عرفت الرواحل والقوم ملثمين: قال له الرسول ﷺ: هل تدري ما أرادوا؟ قال عمار ﷺ الله ورسوله أعلم، قال أرادوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه.(١)

وقد عاد الرسول ﷺ إلى المدينة فلما أقبل عليها قال: ((هذه طابة وهذا جبل أحد يحبنا ونحبه))،(٢) وخرج النساء والصبيان لاستقبال المسلمين، وكان الصبيان ينشدون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع(٣)

---

(١) انظر: الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج٥/٣٩٠، ٣٩١، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥ /٦٦٩.

(٢) البخاري (فتح الباري)، ج ٢٥٦/١٦ ؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص٣٩٧.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٢٥٩/١٦، وانظر د. رزق الله،

كانت هذه الغزوة تربية للمجتمع المسلم بكافة فئاته للمشاركة في الجهاد بالنفس والمال، وتربية للأمة كلها على بعد النظر والطموح العالي، حيث أن الرسول ﷺ قبل أن يودع أمته إلى الرفيق الأعلى لفت نظرها إلى الروم، في حركة جهادية عملية لتقوم بالفتوح في نواحيها، بعد ذلك لم تنته قضايا تلك الغزوة بوصول الرسول ﷺ إلى المدينة، بل ارتبطت به قضية مسجد الضرار، وكذلك قضية المخلفين الذين جاءوا يعتذرون إلى الرسول بسبب تخلفهم عنه، فمنهم المنافقون الذين اعتذروا بالكذب وبالباطل ففضحهم الله، ومنهم الذين تخلفوا ولكنهم التزموا الصدق في اعتذارهم لرسول الله ﷺ، وهم الثلاثة الذين خلفوا وعلى رأسهم كعب بن مالك، فهجرهم الرسول فترة من الوقت، ثم تاب الله عليهم في قرآن يتلى إلى يوم القيامة.[1] وقد تحدثت بعض الآيات في القرآن الكريم عن غزوة تبوك في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم

السيرة النبوية، ص ٦٣١.

(١) انظر: تفاصيل حال المعتذرين في حديث كعب بن مالك السابق ذكره في (فتح الباري)، ج ٢٤٢/١٦؛ وابن أبي شيبه، المغازي، بسند متصل، ص ٣٩٨.

بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا
أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ
إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي
ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ
فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾
ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ
عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ
ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ
يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ
عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ
وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ

﴿٤٥﴾ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ
ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾
لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ
يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ
بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ
ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ
﴿٤٨﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾
إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ
يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ
﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ
إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ
بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم
مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ [التوبة].

ويقول تعالى أيضًا عن هذه الغزوة في السورة نفسها ﴿
ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن
يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا
يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ

خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ
يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ
لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ
رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ
عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ
وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ
وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ
مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ
ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ
ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٠﴾ لَّيۡسَ
عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا

يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن
سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ
لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ
وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾
إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ
بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿٩٣﴾ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن
نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ
عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ
رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ [التوبة].

ويقول الله سبحانه وتعالى راضيًا عن المؤمنين الذين اتبعوا نبيه في هذه الغزوة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ

ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ
عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ
عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ
ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا
يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا
نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ
ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ
عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا
يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا
كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا
كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ
طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم
مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [التوبة].

حج أبي بكر بالناس (سنة **٩** هـ):- (١)

(١) أنظر، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس ج٥/١١٥.

فتح الرسول ﷺ مكة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة، ولم يحج في نفس السنة، ولم يؤمِّر على الحج، ثم انشغل ﷺ باستقبال الوفود وعدد من الغزوات والسرايا منها غزوة تبوك. وحينما جاء موسم الحج في السنة التاسعة للهجرة كره ﷺ أن يحج ذاك العام، في وقت يَحضُر الحج مشركو العرب كعادتهم، ولذلك قال ﷺ: ((إنه يحضره عراة مشركون يطوفون بالبيت فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك)).(١)

واختار الرسول ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج لذلك العام، وبعد خروجه دعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحمله صدر سورة براءة (التوبة) ليبلغها الناس في الحج، وفيها إعلان للمشركين أن لا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، ونبذ لعهود من له عهد حول الحرم من المشركين، ولذلك حرص الرسول أن يبلغ عنه أحد من أهل بيته، وقال لعلي رضي الله عنه: ((لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا أحد من أهل بيتي)).(٢)

(١) أنظر : محمد أبو شهبه، السيرة النبوية ج ٢ / ٥٣٦ .
(٢) أنظر : رواية البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله فسيحوا في الأرض، ج٥/٢٠٢،
والإمام أحمد في مسنده، ج٣/٢٨٣، والترمذي في صحيحه، ج٥/٣٧٢.

وخرج علي ﷺ على العضباء ناقة رسول الله ﷺ فلحق بأبي بكر الصديق في ذي الحليفة، ولما رآه الصديق سأله بكل أدب أمير أم مأمور؟ فرد علي ﷺ بكل أدب بل مأمور.[(١)]

وواصلا الطريق إلى مكة، وتعاون الصديق وعلي رضي الله عنهما، حيث كان الصديق أمير الحج وخطيبهم وإمامهم وعلي ﷺ يتلو الآيات من سورة براءة على الناس وفيها قوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟

---

(١) أنظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٦٩، وأنظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله فسيحوا في الأرض، ج٥/٢٠٢.

سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٥) وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ (٦) كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ
عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ
ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ
يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ (٧) كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا
يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ
وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ (٨) ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا
فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٩) لَا
يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ
(١٠) فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ
فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (١١) وَإِن نَّكَثُوٓاْ
أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ
أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ (١٢)
أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ
ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ
فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (١٣) قَٰتِلُوهُمۡ
يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ
وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ (١٤) وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ

قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾
أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ
وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ
وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن
يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ
أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ
أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ
ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا
نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ
عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ
وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن
يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ
ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ

ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ
أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ
فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ
عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا
رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ
رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟
ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً
فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ : [التوبة: ١ — ٢٨].

وكان بعض الصحابة يبلغون تلك الآيات للناس مع علي ﷛ الذي ناب عن النبي ﷺ في هذا الأمر، ويؤكدون عليهم أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. روى البخاري عن أبي هريرة (أن أبا بكر الصديق ﷛ بعثه في الحجة التي أمَّره عليها النبي ﷺ قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط

يؤذّن في الناس لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان).[١]

ولا شك أن علياً ﷺ من آل البيت يمثل النبي ﷺ ويستوثق منه الناس، وخصوصاً من كان له عهد مع النبي ﷺ وعلي أقرب أهل البيت إلى النبي ﷺ، ومن عادة العرب (في عقد العهود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه)، [٢] فكان قيام علي ﷺ بهذه المهمة تأكيداً للجميع أن هذا ما أراد الله ورسوله، وقد سئل علي ﷺ بأي شيء بعثت في الحجة؟ قال بعثت بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مسلم وكافر بالبيت الحرام بعد عامه هذا، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فعهده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله إلى أربعة أشهر.[٣]

وأما الذين استفادوا من الحادثة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما فليس هذا في محله، فكل منهما له فضله وله مهمة بأمر الرسول ﷺ، وكل منهما يقوم بما أمر به،

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس، ج ١١٥/٥.

(٢) محمد أبو شهبه، السيرة النبوية، ج ٢ / ٥٣٩

(٣) ابن القيم، زاد المعاد ص ٦٥٥ رواه الترمذي في صحيحه، حديث رقم: ٣٠٩١ وأحمد في المسند ١ /٧٩

ويحب الآخر ويحترمه ويتأدب معه بل إنهما (رضي الله عنهما) كلاً منهما ساهم في عمل الآخر، وساهم معهم بقية الصحابة، سواء في إدارة الحج وشؤونه أم في تبليغ آيات سورة براءة إلى الناس في الحج، فهم يكمل بعضهم بعضاً، هدفهم واحد، هو إعلاء كلمة لا إله إلا الله في الحج وفي غيره، وإذا كنا في هذا الزمان نؤكد ما بلغه علي ﷺ عن رسول الله ﷺ بمنع المشركين والعراة من الحج، فمن باب أولى أن يكون الصحابة في زمن علي ﷺ يقومون بالعمل معه، لنفس الهدف أثنا وجود المشكين، الذين انقطعوا عن مكة بحمد الله بعد سماعهم من علي ومن سانده، وما احتاج المسلمون لتكرار ذلك عبر القرون لانقطاع المشركين عن مكة تماما.

كان هذا الإنذار وكانت هذه الحجة تمهيداً لحج الرسول ﷺ في العام الذي يليه ((حجة الوداع))،[١] حيث كانت البقاع الطاهرة خالية من المشركين ونفوس الحجيج صافية لاستقبال الرسول ﷺ في حج الموحدين لله وفي وداع رسول الله ﷺ لكافة الناس، ليبلغ الشاهد منهم الغائب.

---

(١) أنظر: حجة الوداع من هذا الكتاب.



رسول الله وخاتم النبيين

دين ودولة

القسم الثالث

إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً

- "وثيقة المدينة" معاهدة مدنية لتنظيم عادل ومسؤولية اجتماعية ومرجعية نظامية موثقة يُرجع إليها، تشبه بعض الأنظمة في الدول الحديثة التي تتيح حرية الدين وعدم الإكراه عليه، مع الالتزام بالأمن والنظام المشترك والمسؤولية الجماعية، فكانت أساساً في قيام دولة المدينة النبوية وتركيز المسؤولية فيها بيد الرسول ﷺ، أعدل الناس.
- حياة رسول الله ﷺ مقاومة للشرك، مليئة بالجهاد بمفهومه الشامل، ومنه قتال للمشركين بعد مرحلة الإذن بالقتال، وبلغت غزواته ﷺ وسراياه ما يزيد على (الستين).
- كان للجهاد والمغازي في أيامه أعظم أسباب التمكين له ﷺ والإعداد للانطلاقة الكبرى للفتوح الإسلامية لمنع الظلم عن الناس وسماع كلمة الحق مع التأكيد على أنه (لا إكراه في الدين).

رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته

كرسي المهندس عبد المحسن الدريس للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة